الفصل السادس

أسرار عظمة الصحابة

بقدر عظمة المربي تكون عظمة الجيل الذي رباه،

وكلما المربي أخلص وأعلم وأصبر

كانت التربية أحسن أثرًا

فكيف بمن رباهم سيد الكل وإمام الخلق وأحق الناس بالحق

ذلكم رسول الله ﷺ ؟!

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل السادس

أسرار عظمة الصحابة

ما كان حديثًا يُفترى، وما كان خيالًا يحاك ولا أسطورة تحكي ذلكم النبأ العظيم الذي دوَّى في سمع الزمان، واهتزت لجلاله الدنيا، وانبهرت بعظمته الأيام حيث استفاق التاريخ على موكب من نور، وشموس من التقى تبث ضياءها ونورها في ربوع المعمورة، ويبدِّد سناه دياجير الظلام، وتنكسر لهيبته شوكة الكفر والطغيان.

ذلكم النبأ هو تخرج جيل الصحابة في مدرسة النبوة أولئك الذين صاروا مشاعل هدى وينابيع تقى تشرق الأرض بنور هديهم أينما حلوا، ويرتجف الظلم والجهل ويلملم أذياله أينما رحلوا. فتغير مجرى التاريخ وتبدَّلت معالم السنين بمجيء هذا الجيل الفريد الذي لم ولن تشهد الدنيا له نظيرًا أو مثيلًا، فقد تربوا على يد سيد الأنبياء وقدوة الخلق أجمعين.

جاء الإسلام فبعث فيهم روح الحياة فعاشوا به وله. ونصروا هذا الدين ونشروه، وجاهدوا عنه وأيدوه، ودمدموا الباطل وأزهقوه، واكتست الأرض بنضارة الإيمان في معظم ربوعها، وامتلأت الليالي والأيام بأصدق العبادات وأخلص القربات، وأعظم التضحيات، وأشرق الليل بطيب مناجاتهم وتهجدهم لربهم، فكانوا في الليل كأنهم الشموع، يصفون أقدامهم بين يدي ربهم بخضوع وخشوع، وتبتل وذل وتضرع لله رب العالمين.

فإذا طلع النهار عليهم كانت قلوبهم أضوأ من سناه، وأبهى من ضحاه، تطيب النفوس بالنظر إليهم وتزكو القلوب بدعوتهم، وترفرف راية التوحيد في الحواضر والبوادي بصدق جهادهم في سبيل الله. وتخضع لحُسن أخلاقهم القلوب وتميل إلى

الاقتداء والاقتفاء بهم الفطر والضمائر، يقول الحافظ ابن كثير: فالصحابة رضي الله عنهم خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم، فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم قال مالك رضي الله عنه: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون: والله، لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا وصدقوا في ذلك فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نوَّه الله تعالى بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة[1].

ولقد بلغ الصحابة الكرام ذروة العبودية لله ونالوا أعظم الثناء وأبلغ التزكيات ومن عظيم شرفهم ونبلهم وفضلهم أثنى عليهم ربهم في قرآنه المجيد وفي كتبه السابقة كالتوارة والإنجيل، وأثنى عليهم أعلم الخلق وأصدق البشر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلهم في هذا الدين أعلى وأعظم مكانة، وأرفع الدرجات وأعظم الحسنات، فما هو السر في عظمة هؤلاء الصحابة الكرام؟ تلك العظمة التي جعلت القلوب والبلاد والنفوس تهوى إلى دين الله وتؤثره، وترنو إلى الاقتفاء بهم.

تعالوا نذكر ونتذاكر شواهد ومشاهد من حياتهم لنقف على حقيقة هذا السمو الإيماني العالي، وهذا اليقين الراسخ الراسي الذي وصلوا إليه والذي إذا أخذنا بأسبابه وتمسكنا بأهدابه حقق الله لنا العزة والنصرة والتمكين كما حققها لهذا الجيل العظيم.

---

(1) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير [٧/ ٣٦٦] ط. دار الحديث.

أولاً - حسن الاستجابة لله وللرسول وتعظيم أمرهما

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦].

وقال جلَّ ذكره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤].

كان الصحابة أعظم الخلق طاعة لله وأكثر وأسرع الخلق استجابة لأمره لم يكونوا ينتظرون ويجادلون ويؤخرون ويسوِّفون ويتذرعون بأسباب للهروب من الطاعة، بل كانوا إذا سمعوا أمر الله ورسوله بادروا وسارعوا بالاستجابة والإذعان سواء كان فرضًا أو سنة لم يكن عندهم هذا البرود السمج وهذا العناد المقنع لأدلة الشرع الشريف وها هي أمثلة على ذلك.

١- كانت الخمر في حياة العرب مظهرًا من مظاهر الحياة الطبيعية فهي عندهم كالطعام والشراب بل الكريم منهم من يسقي ضيوفه أجود الخمور وأثمنها.

وكان شأن الصحابة في ذلك شأن العرب حتى نزل تحريم الخمر على مراحل ثلاث في كتاب الله تعالى، فلما نزل التحريم سارع الصحابة إلى الإذعان بذلك والتسليم له كما في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت ساقي القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة، وما شرابهم إلا الفضيخ والبسر والتمر فإذا منادٍ ينادي قال: أخرج فأهرقها. فقالوا: أو قال بعضهم: قتل فلان وفلان وهي في بطونهم فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ [المائدة:٩٣] (١).

---

(١) رواه البخاري برقم [٢٤٦٤] ومسلم [١٥٧٠].

وفي لفظ عن ابن جرير الطبري في التفسير عن أنس رضي الله عنه قال: بينما أنا أدير الكأس على أبي طلحة وأبي عبيدة بن الجراح وأبي دجانة ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء حتى مالت رءوسهم من خليط بسر وتمرٍ فسمعت مناديًا ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت قال: فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال وتوضأ بعضنا، واغتسل بعضنا وأصبنا من طيب أم سليم ثم خرجنا إلى المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]. إلى قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ فقال رجل: يا رسول الله، فما ترى فيمن مات وهو يشربها؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ [المائدة: ٩٣].

فقال رجل لقتادة: أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، أو حدثني من لم يكذب، ما كنا نكذب ولا ندري ما الكذب(١).

تلك هي العبودية الحقة لله وهي الطاعة المطلقة له سبحانه فالعبد الحقيقي من لا تستعبده شهوة وتتحكم فيه نزوة، وكثير من الناس في عصرنا لازال عاجزًا أن يترك سيجارة لله! لازال عاجزًا أن يترك الربا أو الزنا والتسكع مع الساقطات اللاهيات. كم يسمع من آيات وعظات لكن نوم قلبه ثقيل وغفلته شديدة فأين استجابة مثل هذا ومثل هذه لأمر الله. أين استجابة المتبرجة لحكم الله؟! أين استجابتك يا تارك الصلاة؟! يا ثقيل الرأس عن القيام لصلاة الصبح أين تعظيمك لأمر الله؟! أين

---

(١) «تفسير الطبري» [١٠/ ٥٧٨].

إجلالك لنظره إليك واطلاعه عليك؟! انظر إلى حجم البون الشاسع بين استجابتنا واستجابتهم لتعرف سبب ما نحن فيه من ضنك وذل وضعف.

٢- في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله، كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والجهاد والصيام والصدقة، وقد نزلت عليك هذه الآية لا نطيقها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**» فلما اقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله تعالى في إثرها: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله عز وجل: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا ﴾. قال: نعم ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا ﴾ قال: نعم ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. قال: نعم(١).

---

(١) رواه مسلم برقم [١٢٥].

ومثل هذا الموقف ما جرى في حادثة تحويل القبلة حيث إن الرسول ﷺ أمِر أن يستقبل بيت المقدس في أول أمره فكان بمكة يصلي بين الركنين فتكون الكعبة بين يديه وفي نفس الوقت يكون مستقبلًا لبيت المقدس كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير - عليه رحمه الله -: ثم قال: فلما هاجر إلى المدينة تعذَّر عليه الجمع بينهما فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس قاله ابن عباس والجمهور[١] ثم نزل الأمر بعد ذلك بتحويل القبلة إلى الكعبة فتجلَّت حينئذٍ الاستجابة العظيمة العاجلة لحكم الله - جل جلاله - حتى إن الخبر قد وصل إلى جماعة من الصحابة وهم في الصلاة فتوجهوا كلهم ناحية الكعبة. إنها استجابة فورية تبرهن على صدق العبودية لله عز وجل.

في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آتٍ فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا على الكعبة[٢].

وفي رواية لمسلم والترمذي أنهم كانوا ركوعًا فاستداروا كما هم إلى الكعبة وهم ركوع. وهذا الحدث يدل على كمال طاعة الصحابة لله وللرسول وانقيادهم لأمر الله عز وجل فرضي الله عنهم أجمعين، وعلى قدر الاستجابة تكون المنزلة والكرامة، بقدر استجابتك لأمر الله ورسوله بقدر ما يرفعك الله ويرقيك في الدنيا والآخرة قال رسول الله ﷺ: «**من أراد أن يعلم ما له عند الله فلينظر ما لله عنده**».

---

(1) «تفسير القرآن العظيم» [١/ ١٩٥] ط. دار المعرفة بيروت.

(2) متفق عليه. رواه البخاري برقم [٢٤١٨] ومسلم برقم [١/ ٣٧٥].

وقال بعض السلف: كن لله كما يريد يكن لك مثلما تريد وفوق ما تريد. وإذا أردت أن تعرف مقامك فانظر أين أقامك.

٣- وهذا هو الصديق الأكبر رضي الله عنه يكظم غيظه، ويخالف هواه ويستجيب لأمر مولاه عز وجل، ففي حديث الإفك الطويل تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: فلما أنزل الله براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه - وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره-: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [النور:٢٢].

قال أبو بكر: بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي، فرجع على مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا[١].

يا لعظمة الإيمان، ويا لروعة الطاعة والاستجابة لحكم الله!! هذا رجل سُبَّ عرضه وما رمي بذلك في جاهلية ولا إسلام، ومن أشق الأشياء على الحر أن يُنال من عرضه، وممن؟ من رجل ينفق عليه ويحسن إليه فلا ملام عليه أن يقطع عنه صدقته ولكن القرآن يتنزل ليربي الصديق الصادق على أكمل الأخلاق وأسمى الصفات فيستجيب الصديق فورًا لأمر الله جلَّ جلاله.

وهذا هو الفاروق عمر رضي الله عنه توقفه آية وتحول بينه وبين الغضب ففي صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عيينة بن حصن فنزل على ابن أخيه الحُرِّ بن قَيْس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر

---

(١) رواه البخاري برقم [٤٧٥٠].

ومشاورته كهولًا كانوا أو شبابًا فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هـذا الأمير فاستأذن لي عليه قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر فلما دخل عليه قال: هيه يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل فغضب عمر حتى همَّ به فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقَّافًا عند كتاب الله[1]، إن الغضب جمرة مزلزلة تدفع المرء دفقًا قويًا إلى الانتقام والاشتفاء وقد علم مدى شدة وقوة غضبه لكن هذا كله يزول وينمحي ويذهب ويكظم الغيظ ويتجرع مرارة الغضب حين تتلى عليه آية من كتاب ربه جل جلاله.

وها هو عمر رضي الله عنه في مشهد آخر عظيم يذعن بالعبودية الكاملة لله عز وجل وينقاد انقيادًا عظيمًا لسنة المصطفى ﷺ كما في الصحيحين عن عباس بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقبل الحجر - يعني الأسود - ويقول: إني أعلم أنك حجر ما تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك.[2] إنه التسليم والإذعان لحكم الله - عز وجل - وحكم رسول الله ﷺ.

وهذا عقبة بن الحارث يضرب مثلًا رائعًا عظيمًا في الاستجابة الفورية لحكم الله سبحانه ونذكر هذا المشهد عظة وعبرة وقدوة لكثير من الناس أولئك الذين يتثاقلون

---

(1) رواه البخاري برقم [٤٦٤٢].

(2) رواه البخاري برقم [١٥٩٧] ومسلم برقم [١٢٧٠].

ويتخاذلون عن تنفيذ أمر الله عز وجل، ألا فليعلم أن مقتضى العبودية هو التسليم التام والإذعان المطلق، والتعظيم الكامل لأمر الله ورسوله، بذلك تحصل السعادة، بذلك تنال الكرامة، وبذلك يعيش الإنسان في هذا الدين فيطمئن قلبه ويطيب عيشه ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

أخرج البخاري في صحيحه عن عقبة بن الحارث رضي الله عنه أنه تزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز فأتته امرأةٌ فقالت: إني قد أرضعت عقبة والتي تزوج فقال لها عقبة: ما أعلم أنك أرضعتني ولا أخبرتني فركب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فسأله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كيف وقد قيل؟**» ففارقها عقبة ونكحت زوجًا غيره(١)، إنها استجابة سريعة لحكم الله ورسوله.

وذلك هو عمير بن الحمام رضي الله عنه لما دنا المشركون من المسلمين يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض**» فقال عمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «**نعم**» قال: بخ بخٍ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما يحملك على قولك: بخٍ بخٍ؟!**» قال: لا والله يا رسول الله! إلا رجاء أن أكون من أهلها قال: «**فإنك من أهلها**» فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل(٢).

---

(1) رواه البخاري برقم [٨٨].

(2) رواه مسلم برقم [١٩٠١].

وهذا حنظلة بن أبي عامر رضي الله عنه يبادر ويسارع إلى الخروج في سبيل الله ليجاهد ويجالد ويدافع عن دينه، ومن عظيم سرعته عجل عن الاغتسال فخرج وهو جنب فقتل رضي الله عنه كما روى الحاكم وغيره بسند حسن عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند قتل ابن أبي عامر حين علاه شداد بن الأسود بالسيف فقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن صاحبكم تغسله الملائكة فاسألوا صاحبته عنه**» فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة وهو جنب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لذلك غسلته الملائكة**»(١).

وهذا صحابي لا نعرف اسمه ولا نسبه ولكن يكفيه أن يذكر إلى يوم القيامة بهذا الأدب العالي وتلك الاستجابة التامة لحكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ففي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال: «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده**».

فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذ خاتمك انتفع به قال: لا والله! لا آخذه أبدًا وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢).

كم من الناس اليوم يقع في مخالفات صريحة واضحة ويكابر فيها ويرفض الالتزام بما أمر الله ورسوله ثم يتذرع بحيل وأعذار ليتفلت من هذا الحكم الصريح، إنك حين تخاطب من يلبس الذهب اليوم من الرجال وتقول له: إن هذا حرام- ترى من التذمُّر والتغير والتنكر والاستنكار لما تقول الشيءَ العجيب، فأين الاستجابة لدين الله

(1) سبق تخريجه وهو حسن كما تقدم.

(2) رواه مسلم برقم [٢٠٩٠].

وشرعه؟! أين الطاعة لله ورسوله والانقياد لحكمها؟! إن الواقع الذي نعيشه يضج بمخالفات كثيرة لصريح القرآن وصريح السنة النبوية في أفراحنا بل وفي أحزاننا وجنائزنا وفي عاداتنا وتقاليدنا وأخلاقنا، وتقدم الأعراف والعادات وتُحترم أكثر من الشرع الشريف وهذا هو سبب الضنك والذل الذي تحياه الأمة في هذا الزمان ولو عادت الأمة إلى الله لعاد الله لنصرتها وإعزازها قال الله جل وعلا: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

ولهذا امتلأت قلوب الصحابة وحياتهم بالطاعات والبركات بسبب حسن الاستجابة لهذا الدين العظيم؛ لذلك أقول لك أخي: ما مدى استجابتك أنت لحكم الله ورسوله؟ إن في هذه الاستجابة حياه قلبك وسعادة حياتك قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وقال جل ذكره: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣]

وخذ هذا المثل الآخر لعبد الله بن أنيس رضي الله عنه فقد روى أبو داود والبيهقي بسند حسن عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نبيع يجمع لي الناس ليغزوني وهو بعرفة فأته فاقتله قال قلت: يا رسول الله، انعته لي حتى أعرفه قال: إذا رأيته وجدت له قشعريرة.

قال: فخرجت متوشحًا سيفي حتى وقعت عليه بعرفة مع ظعن يرتاد لهن منزلًا وحين كان وقت العصر، فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من القشعريرة فأقبلت نحوه وخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة فصليت وأنا أمشي نحوه أومئ برأسي الركوع والسجود فلما انتهيت إليه قال: مَن الرجل؟ قال: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لهذا قال: أجل أنا في ذلك.

قال: فمشيت معه شيئًا حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف حتى قتلته ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه. فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآني فقال: «**أفلح الوجه**» قال: قلت: قتلتُه يا رسول الله. قال: «**صدقت**» قال: ثم قام معي رسول الله ﷺ فدخل بيته فأعطاني عصا فقال: أمسك هذه عندك يا عبد الله ابن أنيس قال: فخرجتُ على الناس فقالوا: ما هذه العصا؟ قال قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ وأمرني أن أمسكها.

قالوا: أولا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله عن ذلك؟ قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت: «لماذا أعطيتني هذه يا رسول الله؟» قال: «**تكون آية بيني وبينك يوم القيامة**». فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فضمت معه في كفنه ثم دفنا جميعًا(١).

وهذا مثل آخر لحسن استجابة الصحابة لله وللرسول ﷺ حتى تهلَّل وجه الرسول ﷺ فرحًا بهذه الاستجابة الفورية العظيمة فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي عمرو جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاءه قومٌ مجتابي النمار أو العباء، متقلدي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر، فتمعَّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالًا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ**﴾ [النساء: ١]، والآية الأخرى التي في آخر الحشر: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ**

(١) رواه أبو داود برقم [١٢٤٩] والبيهقي في «السنن» [٣/ ٢٥٦] وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره [١/ ٢٩٥]: إسناده جيد، وقال ابن حجر في «الفتح» [٢/ ٣٥٠]: إسناده حسن.

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر:١٨] «**تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع برِّه، من صاع تمره**» حتى قال: «**ولو بشق تمرة**»، فجاء رجل من الأنصار بِصُرَّة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة. فقال رسول الله ﷺ: «**من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»(١).

قال الإمام النووي: في الرياض: مجتابي النمار. النمار جمع نمرة وهي كساء من صوف مخطط، ومعنى مجتابيها أي: لابسيها قد خرقوها في رءوسهم والجواب القطع ومنه قوله تعالى: ﴿**وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ**﴾ [الفجر:٩]. أي: نحتوه وقطعوه. وقوله: تمعَّر أي: تغيَّر(٢).

وهذه صورة أخرى لاستجابة المجتمع الإسلامي كله لأمر رسول الله ﷺ تلمح ذلك في قصة الصحابي كعب بن مالك رضي الله عنه حيث نهى النبي ﷺ الناس أن يكلموه هو وصاحبيه هلال بن أمية ومرارة بن الربيع فكان كما أمر رسول الله ﷺ رغم أن النبي لا يراهم ولا يشاهد ما يفعل الناس لكن المدينة كلها كفَّت وامتنعت عن كلام أولئك الثلاثة.

---

(1) رواه مسلم برقم [١٠١٧].

(2) «رياض الصالحين للنووي» [ص:٧٩-٨٠] بتصرف يسير.

والقصة في الصحيحين من حديث كعب رضي الله عنه وفيها أنه قال: ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال: فاجتنبنا الناس أو قال: تغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض فما هي بالأرض التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في السوق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي: هل حرَّك شفتيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلي قريبًا منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليَّ، وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال ذلك عليَّ من جفوة المسلمين مشيت حتى تسوَّرتُ جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إليَّ، فسلمت عليه فوالله ما رد عليَّ السلام.

فقلت له: يا أبا قتادة! أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فسكت، فعدتُ فناشدته فسكت، فعدت فناشدته فقال: الله ورسوله أعلم ففاضت عيناي وتولَّيت حتى تسوَّرتُ الجدار.

فبينا أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطي من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدلُّ على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له إليَّ حتى جاءني فدفع إليَّ كتابًا من ملك غسَّان وكنت كاتبًا فقرأته فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحقْ بنا نواسك، فقلت حين قرأتها: وهذه أيضًا من البلاء فتيممتُ بها التنور فسجرتها.

حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحي إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت

أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا بل اعتزلها فلا تقربنها، وأرسل إلى صاحبيَّ بمثل ذلك فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر[١].

إنها استجابة عامة لله وللرسول فالمدينة كلها مذعنة منقادة لحكم الله ورسوله وكل صحابي يعظِّم رقابة الله له واطلاع الله عليه فهو يطيع أمر النبي ابتغاء وجه الله وطلبًا لمرضاته جل جلاله.

وهذه استجابة أخرى من نساء الصحابة رضي الله عنهم روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ومعه بلال فظن أنه لم يسمع فوعظهن وأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تلقي القرط والخاتم وبلالٌ يأخذ في طرف ثوبه[٢].

وفي صحيح البخاري من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:٣١]. شققن مروطهن فاختمرن بها[٣].

وفي رواية أنها قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواش فاختمرن بها.

هذا هو الإيمان وهذا هو الصدق، وتلك هي الاستجابة لحكم الله ورسوله أما أصحاب القلوب المتلوثة من أهل عصرنا فهم يسوِّفون ويؤجِّلون ويلتمسون المعاذير ويحاولون التفلُّت بكل سبيل للهروب من حكم الله ورسوله، والله بهم عليم وبنواياهم

---

(1) رواه البخاري برقم [٤٤١٨] ومسلم برقم [٢٧٦٩].

(2) البخاري برقم [٩٨].

(3) رواه البخاري برقم [٤٧٥٨]، [٤٧٥٩].

خبير. إنك لو قارنت بين استجابة الصحابة واستجابتنا لرأيت البون شاسعًا والفارق عظيمًا ولن تعود للأمة عزتها وكرامتها إلا إذا استجابت وأذعنت لحكم من يعلم السر وأخفى ولحكم من لا ينطق عن الهوى، هذا الاستسلام هو الذي سيشكل شخصية الأمة وسيجعلها بحق وجدارة خير أمة أخرجت للناس. فذلك هو السبيل.

ثانيًا - خشيتهم لله ومراقبتهم له

على قدر العلم بالله وصفاته تكون خشيته في القلوب وتوقيره - جل جلاله - في النفوس. وعلى قدر الجهل بالله تكون الجرأة على معاصيه والغفلة عن دينه. وما عرفت الدنيا بعد الأنبياء قومًا أتقى لله وأخشى لله من صحابة رسول الله ﷺ أولئك الذين امتلأت قلوبهم بالإجلال والتعظيم لنظر الله جل جلاله. وانصدعت قلوبهم لآيات الوعيد تلك الآيات التي تزلزل كل قلب حي. ويرتجف لهولها كل بصير لبيب وهم أول من خوطب بها كقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]. وقوله عز من قائل: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]. وقوله عز اسمه: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وقوله جل جلاله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢-١٠٥].

هذه الآيات وغيرها تُفزعُ الفؤاد الحي، وترهب القلب اليقظ، ومن أولى بذلك من أولئك الأخيار؟! وهم أرق الخلق قلوبًا وأزكاهم نفوسًا وأعلمهم بالله سبحانه وتعالى. لاسيما وقد صاحبوا سيد الخائفين وإمام المتقين وقدوة الخاشعين المخبتين

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والذي رباهم على ذلك وأَصَّل في قلوبهم تلك المعاني، وتأمل هذا المشهد تعلم حقيقة ما أقول.

عن أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - قال: خطبنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطبة ما سمعتُ مثلها قط. فقال: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا**» فغطى أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجوههم ولهم خنين، والخنين هو البكاء مع غنة أي بكاء بصوت مكتوم. والبكاء من خشية الله - عز وجل - ينجي العبد من عذاب الله.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يلج النار رجلٌ بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبارٌ في سبيل الله ودخان جهنم**»[(١)].

كما أنه البكاء من خشية الله يجعل صاحبه في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله كما في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله منهم: «**رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**».

والبكاء من خشية الله إنما يتصف به السعداء المتقون الذين عمرت قلوبهم بخشية الله سبحانه، وقد وصف الله به رسله ووصف به العالمين من خلقه فقال تعالى في الأنبياء والرسل: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم:٥٨].

يقول الحافظ ابن كثير: أي إذا سمعوا كلام الله المتضمن حججه ودلائله وبراهينه، سجدوا لربهم خضوعًا واستكانة، وحمدًا وشكرًا على ما هم فيه من النعم العظيمة، والبكيُّ جمع باكٍ فلهذا أجمع العلماء على شرعية السجود هاهنا اقتداء بهم واتباعًا لمنواهم[(٢)].

---

(1) رواه الترمذي [٢٣١١] وقال: حسن وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٧٧٧٨].

(2) «المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير» [ص:٨٣٠].

وكذلك وصف الله أهل العلم بذلك فقال تعالى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء:١٠٩]، فبالعلم تكون الخشية والخشوع والبكاء والدموع.

وهذا هو الصِّدِّيق الأكبر العالم الخاشع الخائف الوجل المخبت يتصف بهذا الوصف العظيم ويكون هو حاله حال عبادته لربه - جل جلاله - كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه قيل له في الصلاة فقال: «**مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**» فقالت عائشة رضي الله عنها: إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن غلبه البكاء. فقال: مروه فليصل.

وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت: إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء(١).

رضي الله عن هذا الصديق الصادق صاحب القلب الحي الرقيق وصاحب العلم الراسخ العميق، والفهم السديد الدقيق. هذا حاله فما حالنا؟! هذه صفته في صلاته فما هي صفتنا؟! جفت منا المآقي، وقست منا القلوب وعظمت غفلتنا فياربنا أيقظ قلوبنا من غفلاتها، واملأ أفئدتنا بخشيتك ومراقبتك يارب.

ولازلت مع الصديق ولن أترك الحديث عنه حتى أروي ظمأ القلوب بطيب سيرته وعظيم مناقبه رضي الله عنه. تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: لم أعقل أبويَّ قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرةً وعشيًا، فلما ابتُلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر:

---

(١) رواه البخاري برقم [٧١٣] ومسلم برقم [٤١٨].

أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي. قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق؟! فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة: مُر أبا بكر فليعبد ربه في داره ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره.

ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدًا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقذف عليه نساء المشركين وأبناءهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلًا بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدًا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا بمقر لأبي بكر الاستعلان: قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة أبا بكر فقال: قد علمت الذي عاقدتُ لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترجع إليَّ ذمتي فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرتُ في رجل عقدت له. فقال أبو بكر: فإني أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل [(١)].

إن مشهد خشوع الصديق في صلاته يحرك القلوب المشركة، ويؤثر في النفوس

(١) رواه البخاري برقم [٣٩٠٥].

الكدرة، فيسارع إليه الناظرون وهم يتعجبون من حسن صلاته وحسن تلاوته ورقة قلبه وبكائه.

ذلكم المشهد العظيم الذي لم يعهده المشركون ولم يسبق لهم أن يشاهدوه في واقع حياتهم ولك أن تتخيل مدى تأثر الكفار بأخلاقه وحسن سمته وحسن معاملته وحكيم دعوته، وصادق وعظه، إذا كانوا يتأثرون بمجرد رؤيته وهو يصلي فكيف إذا تساقطت على قلوبهم قطرات من لؤلؤ وعظه وكلمات من صادق نصحه؟! هذه هي القدوة الطيبة التي تخضع لها القلوب وتهتدي به العقول والأرواح. ليتنا نعيش الإسلام واقعًا حيًا في حياتنا في كل لفظة وفي كل نظرة وفي كل كلمة وفي كل حركة وسكنة.

ليتنا نوجد منا نماذج في الدعوة والعبادة والخلق العظيم تتحرك بين الناس بذلك، فإن لذلك أعظم الأثر في نجاح الدعوة إلى الله وتحقيقها القبول لدى المخالطين من سائر طوائف الناس.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله سبحانه وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف، ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن. ومن تأمل أحوال الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف، ونحن جمعنا بين التقصير بل التفريط والأمن فهذا الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: وددتُ أنى شعرة في جنب عبدٍ مؤمن. ذكره أحمد عنه وذكر عنه أنه كان يمسك بلسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد.

وكان يبكي كثيرًا ويقول: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عودٌ من خشية الله عز وجل، وأتى بطائر فقلبه ثم قال: ما صيد من صيد، ولا قطعت من شجرة إلا بما ضيعت من التسبيح.

فلما أُحْتضُر قال لعائشة: يا بنية، إني أصبت من مال المسلمين هذه العباءة، وهذا الحلاب، وهذا العبد، فأسرعي به إلى ابن الخطاب(١).

وهذا موقف رقيق رقراق ينبض بصدق القلوب ورقتها وعظمة الإيمان فيها. إنه موقف الخيرين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حينما يجهش كل منهما بالبكاء في بيت أم أيمن فما هو الموقف؟! روى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها فلما انتهيا إليها بكت. فقالا لها: ما يبكيك؟ أما تعلمين أن ما عند الله تعالى خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟! قالت: إني لا أبكي، أني لأعلم أن ما عند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها(٢).

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ سورة الطور حتى بلغ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾ [الطور :٧]. فبكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه.

وقال له ابن عباس: مصَّر الله بك الأمصار، وفتح بك الفتوح وفعل وفعل فقال: وددتُ أن أنجو لا أجر ولا وزر(٣).

وعن قسامة بن زهير قال: وقف أعرابي على عمر بن الخطاب فقال:

يا عمر الخير جزيت الجنة ... جهز بنياتي واكسُهُنّه

---

(1) «الداء والدواء» [ص:٥٩] تحقيق مسعد بن كامل رحمه الله.

(2) رواه مسلم برقم [٢٤٥٤].

(3) «الداء والدواء» [ص:٦٠] وصحح سنده مسعد كامل.

أقسم بالله لتفعلنه. قال: فإن لم أفعل يكون ماذا يا أعرابي؟

قال: أقسم بالله لأمضينه.

قال: فإن مضيت يكون ماذا يا أعرابي؟

فقال:

واللّه عن حالي لتسألنه ثم تكون المسألات عنّه

والواقف المسئول بينهنه إما إلى نار وإما إلى جنّه

قال: فبكى عمر حتى اخضلت لحيته بدموعه ثم قال: يا غلام، أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره، والله ما أملك قميصًا غيره(١).

وها هو الفاروق عمر صفحة من نور تتلألأ بضياء الخشية من الله والمراقبة لله عز وجل؛ لتكون عظة وعبرة لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد بينا عثمان بن عفان في مالٍ له بالعالية في يوم صائف شديد الحر إذ رأى رجلًا يسوق بكرين من الإبل وعلى الأرض مثل الفراش من الحر فقال: ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد أو يروح ثم دنا الرجل فقال عثمان لمولاه: انظر من هذا؟

فنظر فقال: أرى رجلًا معتمًا بردائه يسوق بكرين ثم دنا الرجل فقال: انظر فنظر فإذا عمر بن الخطاب! فقال: هذا أمير المؤمنين.

فقام عثمان فأخرج رأسه من الباب فإذا نفح السموم فأعاد رأسه حتى حاذاه فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟!.

---

(١) «أسد الغابة» لابن الأثير بسند صحيح [٤/ ١٥٥].

فقال عمر: بكران من إبل الصدقة تخلفا. وقد مُضِي بإبل الصدقة فأردت أن ألحقهما بالحمى وخشيت أن يضيعا فيسألني الله عنهما.

فقال عثمان: يا أمير المؤمنين هلمَّ إلى الماء والظل ونكفيك.

فقال: عد إلى ظلك يا عثمان!

فقال عثمان: من أحب أن ينظر إلى القوي الأمين فلينظر إلى هذا فعاد فألقى إلينا نفسه.

وعن قتادة قال لما ورد عمر الشام صُنِعَ له طعام لم ير قبله فلما أُتى به قال: هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين باتوا لا يشبعون من خبز الشعير؟ فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: لهم الجنة، فاغرورقت عيناه فقال: إن كان حظنا هذا ويذهب أولئك بالجنة لقد بانوا بونًا بعيدًا[1].

ولما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي - عليه من الله ما يستحق - دخل عليه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال: أبشر بالجنة يا أمير المؤمنين، أسلمت حين كفر الناس، وجاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خذله الناس، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض ولم يختلف اثنان، وقتلت شهيدًا فقال عمر: أعد عليَّ. قال: فأعدتُ عليه فقال: والله الذي لا إله إلا هو لو أن لي ما في الأرض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع.

وجاء في رواية البخاري: أما ما ذكرت من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه فإن ذلك من الله - جل ذكره - منَّ به عليَّ وأما ما ترى من جزعي فهو من

---

(1) «أسد الغابة» لابن الأثير [٤/ ١٦٠] بسند صحيح.

أجلك وأجل أصحابك. والله لو أن طلاع الأرض ذهبًا لافتديتُ به من عذاب الله - عز وجل - قبل أن أراه(١).

وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه كان إذا وقف على القبر يبكي حتى يبل لحيته(٢). وقال: لو أنني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتهما يؤمر بي لاخترتُ أن أكون رمادًا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.

وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل: فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسى الآخرة. إلا وان الدنيا قد ترحلت مدبرة ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل(٣).

وكان عبد الله بن عباس أسفل عينيه مثل الشراك البالي من الدموع(٤).

وهذا هو عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة الذين بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وتوفي وهو عنه راض انظر إلى عظيم خشيته لربه - عز وجل - ففي صحيح البخاري عن سعد بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أتي بطعام وكان صائمًا فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني كفن في بردة

---

(1) رواه البخاري برقم [٣٦٩٢] وانظر: «صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق» [ص:٣٨٣]، و«فصل الخطاب في سيرة عمر بن الخطاب» للصلابي [ص:٦٤٦].

(2) أخرجه أحمد في «الزهد» وحسنه مسعد كامل في «تحقيق الداء والدواء» [ص:٦٠].

(3) «صفة الصفوة» [١/ ١٢٦] وصححه مسعد كامل في «تحقيق الداء والدواء» [ص:٦١].

(4) رواه أحمد في «الزهد» [١٨١] وسنده حسن.

o p e i k a n d i . c o m

إن غُطِّي رأسه بدت رجلاه، وإن غُطِّي رجلاه بدا رأسه، وأراه قال: قتل حمزة وهو خير مني ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط - أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا - وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام(١).

وعن مسروق بن الأجدع قال: قال رجل عند عبد الله بن مسعود: ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين، أكون من المقربين أحب إليَّ. فقال عبد الله: لكن ها هنا رجلٌ ودَّ أنه إذا مات لا يبعث. يعني نفسه.

وعن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قال:** قال عبد الله بن مسعود: لو وقفت بين الجنة والنار فقيل لي: اختر أيهما تكون أحب إليك أو تكون رمادًا لأحببتُ أن أكون رمادًا.

وعن أبي وائل قال: قال عبد الله بن مسعود: وددتُ أن الله غفر لي ذنبًا من ذنوبي وأنه لا يُعرف نسبي(٢).

وعن عون بن عبد الله قال: قال عبد الله بن مسعود: ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية(٣).

وهذه الصدِّيقة بنت الصديق عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قدوة القانتات الصالحات وأسوة لهذه الأمة في فقهها وعلمها بالله وخشيتها له سبحانه قال ابن أخيها القاسم بن محمد: كنت إذا غدوتُ أبدأ ببيت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فأسلِّم عليها فغدوت عليها يومًا فإذا هي قائمة تسبِّح (تصلي الضحى) وتقرأ: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الطور: ٢٧]. وتدعو وتبكي وترددها. فقمت حتى مللت القيام فذهبت السوق

(1) رواه البخاري برقم [١٢٧٥].
(2) «صفة الصفوة» [١/ ١٦١].
(3) «السابق» [١/ ١٦٤].

obeikandl.com

لحاجتي، ثم رجعت فإذا هي قائمة تصلي وتبكي[(١)].

وروى البخاري عن ابن أبي مليكة قال: استأذن ابن عباس على عائشة قبيل موتها وهي مغلوبة. قالت: أخشى أن يثني عليَّ. فقيل: ابن عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين. قالت: ائذنوا له. فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيتُ قال: فأنت بخير إن شاء الله تعالى، زوجة رسول الله ﷺ، ولم ينكح بكرًا غيرك، ونزل عذرك من السماء، ودخل ابن الزبير خلافه فقالت: دخل ابن عباس فأثنى عليَّ، ووددتُ أني كنتُ نسيًا منسيًا[(٢)].

يا الله!! كل هذه المناقب وكل هذه الفضائل، وكل هذا الثناء العظيم، والشرف النبيل، والقربة من الله ورسوله. فهي أحب الناس إلى رسول الله ﷺ وما كان النبي ﷺ ليحب إلا طيبًا، وإلا ما كان حبيبًا إلى الله عز وجل.

ومع كل ذلك فهي الصَّوامة القوامة، المخبتة الوجلة الفقيهة العاقلة الذكية الزاكية ومع هذا تقول: وددت أني كنت نسيًا منسيًا!!

وها هي ذات يوم تعطي عطاء بسخاء كما عودها سيد الأنبياء ﷺ فكان من ابن أختها عبد الله بن الزبير هذا الموقف.

روى البخاري عن مالك بن الطفيل أن عائشة رضي الله عنها حدثت أن عبد الله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة: والله لتنتهين أو لأحجرنَّ عليها. فقالت: أهو قال هذا؟ قالوا: نعم. قالت: هو لله عليَّ نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبدًا فاستشفع ابن

---

(1) «السابق» [١/ ٣٣٧].

(2) رواه البخاري [٤٧٥٣].

الزبير إليها حين طالت الهجرة فقالت: والله لا أشفع فيه أبدًا. فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المسور بن مخرمة وعبد الله بن الأسود بن عبد يغوث وهما من بني زُهْرة بن كلاب وقال لهما: أنشدكما الله إلا أدخلتماني على عائشة فإنها لا يحل لها أن تنذر قطيعتي.

فأقبل به المسور بن مخرمة وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة رضي الله عنها فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أندخل؟ قالت عائشة: ادخلوا. قالوا: كلنا؟ قالت عائشة: نعم ادخلوا كلكم، ولا تعلم أن معهما ابن الزبير فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة وطفق يقبل رأسها ويبكي، وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلا كلَّمته وقبلت منه ويقولان لها: إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عما قد علمت من الهجرة، فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام أو ليال فلما أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج طفقت تذكرهما وتبكي وتقول لهما: إني نذرتُ والنذر شديد، فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير وأعتقت في نذرها أربعين رقبة، وكانت تذكر نذرها بعد ذلك وتبكي حتى تبل بدموعها خمارها(١).

رضي الله عن أمنا، رضي الله عن زوجة نبينا، رضي الله عن الصديقة بنت الصديق، رضي الله عنها وعن الصحابة أجمعين.

وهذا هو حكيم هذه الأمة أبو الدرداء رضي الله عنه ذلكم الحافظ للقرآن القائم به آناء الليل والنهار، إنه المخبت الخاشع الوجل التقي.

قال رضي الله عنه: أخوف ما أخاف أن يقال لي يوم القيامة: أعلمت أم جهلت؟ فإن قلت: علمت لا تبقى آية آمرة أو زاجرة إلا أخذت بفريضتها الآمرة هل ائتمرت؟

---

(١) رواه البخاري [٦٢٣٧].

obeikandl.com

والزاجرة: هل ازدجرت؟ فأعوذ بالله من علم لا ينفع، ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع وكان يقول: ويل لكل جماع فاغرٍ فاه كأنه مجنون يرى ما عند الناس ولا يرى ما عند الله عز وجل، ولو يستطيع لوصل الليل، ويله من حساب غليظ وعذابٍ شديد.

وعن جبير بن نفير قال: لما فتحت قبرص فرق بين أهلها فبكى بعضهم إلى بعض. فرأيت أبا الدرداء جالسًا وحده يبكي فقلت: يا أبا الدرداء، ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: ويحك يا جبير، ما أهون الخلق على الله - عز وجل - إذا تركوا أمره، بينا هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فرأيتهم كما ترى.

وعن قتادة: كان أبو الدرداء يقول: ابن آدم طأ الأرض بقدمك، فإنها عن قليل تكون قبرك. ابن آدم إنما أنت أيام فكلما ذهب يوم ذهب بعضك. ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك من يوم ولدتك أمك[(1)].

وقال رضي الله عنه: أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث، أضحكني مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل ليس بمغفول عنه، وضاحك بملء فيه وهو لا يدري أأرضى الله أم أسخطه، وأبكاني فراق الأحبة محمد صلى الله عليه وسلم وحزبه، وهول المطلع عند غمرات الموت، والوقوف بين يدي الله - عز وجل - يوم تبدو السريرة علانية ثم لا يدري إلى الجنة أو إلى النار[(2)].

وهذا التقي الأوَّاب عبد الله بن عمر بن الخطاب، وهذا خبر خشيته من ربه عز وجل من ذلك ما قاله القاسم بن أبي بزة قال: حدثني من سمع ابن عمر قرأ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا

(1) انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي [١/ ٢٥٧-٢٦١].
(2) «علو الهمة» للمقدم [ص:٢٣٥].

يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥﴾ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين:١-٦]. حتى بلغ: ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ قال: فبكى حتى حنَّ وامتنع من قراءة ما بعد(١).

وعن البراء بن سليم قال: سمعت نافعًا يقول: ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قط من آخر سورة البقرة إلا بكى: ﴿ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ ﴾ [البقرة:٢٨٤]. ثم يقول: إن هذا لإحصاء شديد.

وعن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه قال: جاء سائل إلى ابن عمر فقال لابنه: أعطه دينارًا، فلما انصرف قال له ابنه: تقبل الله منك يا أبتاه، فقال: لو علمت أن الله يقبل مني سجدة واحدة وصدقة درهم لم يكن غائب أحب إليَّ من الموت. أتدري ممن يتقبل؟ إنما يتقبل الله من المتقين(٢).

وعن سمير الرياحي عن أبيه قال: شرب عبد الله بن عمر ماء مبردًا فبكى فاشتد بكاؤه فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ذكرتُ آية من كتاب الله عز وجل: ﴿ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ ﴾ [سبأ:٥٤].

فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئًا شهوتهم الماء وقد قال الله عز وجل: ﴿ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف:٥٠](٣).

وهذا أبو ذر الغفاري - رضي الله تعالى عنه - وعظيم خشيته وعبادته لربه عز وجل عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي ذر قال: والله لو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم إلى نسائكم ولا تقاررتم على فرشكم، والله لوددتُ أن الله -عز وجل- خلقني يوم خلقني شجرة تعضد ويؤكل ثمرها.

---

(1) رواه أحمد في «الزهد» [ص:٢٤٠-٢٤١] أي امتنع عن قراءة ما بعدها لشدة البكاء.
(2) «صفة الصفوة» لابن الجوزي [ص:٢٣٤].
(3) «السابق» [ص:٢٣٥].

o p e l k a n a . c o m

وعن سفيان الثوري قال: قام أبو ذر الغفاري عند الكعبة فقال: يا أيها الناس، أنا جندب الغفاري، هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق. فاكتنفه الناس. فقال: أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفرًا أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه؟ قالوا: بلى، قال: فإن سفر القيامة أبعد فخذوا ما يصلحكم. قالوا: وما يصلحنا؟ قال: حجوا حجة لعظائم الأمور، وصوموا يومًا شديدٌ حرُّه لطول النشور وصلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور كلمة خير تقولها أو كلمة شر تسكت عنها لوقوف يوم عظيم تصدق بمالك لعلك تنجو من عسيرها، اجعل الدنيا مجلسين، مجلسًا في طلب الحلال، ومجلسًا في طلب الآخرة. الثالث يضرك ولا ينفعك. اجعل المال درهمين درهمًا تنفقه على عيالك من حله، ودرهمًا تقدمه لآخرتك، الثالث يضرك ولا ينفعك[(١)].

وعن نافع الطاحي قال: مررتُ بأبي ذر فقال لي: ممن أنت؟ قلت: من أهل العراق. قال: أتعرف عبد الله بن عامر؟ قلت: نعم قال: فإن قدمت البصرة فتراءى له فإنه سيقول: ألك حاجة فقل له: أخلني ثم قل له: أنا رسول أبي ذر إليك وهو يقرئك السلام ويقول لك: إنا نأكل من التمر، ونشرب من الماء ونعيش كما تعيش. قال: فلما قدمت تراءيت له فقال:ألك حاجة؟ فقلت: أخلني أصلحك الله.

فقلت: أنا رسول أبي ذر إليك فلما قلتها خشع لها قلبه وهو يقرأ عليك السلام ويقول لك: إنا نأكل من التمر ونشرب من الماء ونعيش كما تعيش قال: فحل إزاره ثم أدخل رأسه في جيبه ثم بكى حتى ملأ جيبه بالبكاء[(٢)].

---

(1) «صفة الصفوة»لابن الجوزي [١/ ٢٤١-٢٤٣].

(2) «السابق» [١/ ٢٤١-٢٤٣].

وهذا أمين الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنها يقول عنه عمران بن نمران: كان أبو عبيدة يسير في العسكر فيقول: ألا رُبَّ مبيض لثيابه، مدنس لدينه! ألا رب مكرمٍ لنفسه وهو لها مهين! بادروا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات(١).

ورضي الله عن شداد بن أوس. فعن أسد بن وداعة أن شداد بن أوس رضي الله عنه كان إذا دخل الفراش يتقلب على الفراش لا يأتيه النوم فيقول: اللهم إنَّ النار أذهبت مني النوم، فيقوم فيصلي حتى يصبح.

وعنه قال: «كان شداد بن أوس رضي الله عنه إذا أوى إلى فراشه كأنه حبة على مقلى. فيقول: اللهم إن النار قد أسهرتني. ثم يقوم إلى الصلاة».

وعن زياد بن ماهك قال: «كان شداد بن أوس يقول: إنكم لن تروا من الخير إلا أسبابه، ولن تروا من الشر إلا أسبابه. الخير كله بحذافيره في الجنة، والشر كله بحذافيره في النار، وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر، ولكلٍّ بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا»(٢).

وهذا تميم الداري - رضي الله تعالى عنه - قرأ ليلةً سورة الجاثية فلما أتى على هذه الآية: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية:٢١].جعل يرددها ويبكي حتى أصبح(٣).

---

(1) «السير للذهبي» [١/ ١٨].

(2) «صفة الصفوة» [١/ ٢٩٥].

(3) أخرجه أحمد في «الزهد» [٢٢٧] وصححه مسعد كامل في «تحقيق الداء والدواء» [ص:٦٢].

هؤلاء هم الصحابة وهذا هو خوفهم من ربهم ذلكم الخوف الذي دفعهم إلى بذل الأرواح وبذل الأعمال العظيمة والتضحية في سبيل الله بكل شيءٍ فداءً للنفوس من عذاب الله فرارًا منه إليه، وهذا حال الصادقين العالمين العاقلين أما الفارغون التافهون، أما السادرون اللاهون العابثون فهم في غيهم يعمهون. وفي شهواتهم غارقون وفي تيه الأماني متخبطون، ومع كل هذا الطيش والتيه ومع كل هذه الغفلة والإعراض فهم آمنون مطمئنون كأنهم قد أوحي إليهم أنهم عن النار مبعدون!! وهذا غرور وجهل وخذلان وحمق!! من يؤمنك وماذا يؤمنك أن تنجو غدًا من عذاب الله؟! احذر يا عبد الله أن تكون من المغرورين. قال معروف الكرخي: رجاؤك رحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق.

وقال بعض العلماء: من قطع عضوًا منك في الدنيا بسرقة ثلاثة دراهم لا تأمن أن تكون عقوبتة في الآخرة على هذا النحو.

وقيل للحسن: نراك طويل البكاء فقال: أخاف أن يطرحني في النار ولا يبالي.

وقيل يقول: إن قومًا ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة يقول أحدهم: لأني أحسن الظن بربي وكذب لو أحسن الظن لأحسن العمل.

وها هو أثر عن الصحابة - رضوان الله عليهم - يزعج القلب ويؤلمه تأمله وتدبره وانظر كم حجم غفلتنا وكم هو حجم غرورنا!! والأثر رواه البخاري في صحيحه عن ابن أبي ملكية قال: أدركتُ ثلاثين من أَصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل[(١)].

---

(1) رواه البخاري معلقًا في كتاب «الإيمان» باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

ليتنا نعي ما وعاه الصحابة عن الله ورسوله!! ليتنا نقف على خطر ما نهجم عليه غدًا في يوم القيامة!!

إنه لو نجحنا في غرس الخوف من الله والمراقبة له سبحانه في قلوبنا أولًا وفي قلوب من حولنا ثانيًا؛ لأنزل الله علينا كثيرًا من البركات والتوفيق والسداد في أعمالنا وأحوالنا.

لو خفنا من ربنا حقًا لجعلنا دينه أغلى وأعز علينا من دمائنا ونفوسنا... أي أخي، احذر أن يحاسبك الله على تقصيرك في نصرة دينك، احذر أن يدخلك الله النار بجرأتك على معاصيه، احذر أن يرفع الله عنك ستره بإصرارك على السيئات، احذر أن تموت قبل أن تتوب فتلقي ربك عاصيًا! قال الحسن البصري: ما خافه إلا مؤمن وما أمنه إلا منافق.

وكان يقول: يحق لمن يعلم أن الموت مورده، وأن الساعة موعده، وأن الوقوف بين يدي الله تعالى مشهده أن يطول حزنه.

وبعدُ،

أي أخي، هل عملت ليوم القيامة بما فيه من دواهٍ وأهوال؟!

هل استعددت غدًا للوقوف بين يدي ذي العزة والجلال؟!

هل استحضرت معنى قدومك على الله وقيامك بين يديه؟! ترى بما تردُّ على الله وكيف تأتيه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟!

هذه بعض سير الصحابة في حال خوفهم من ربهم فاقتدِ بهم وسر على نهجهم يكن مصيرك مصيرهم، والله هو المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا به.

ثالثًا - تزكية النفوس بكثرة القربات والطاعات لله جل جلاله

إن إشراقة القلوب والوجوه، وخفة الأرواح وطهر النفوس إنما تحصل بالعبادة الخالصة المتصلة المتقنة، وهي علامة على تعلق القلب بالله وتقود إلى ذلك وترفع صاحبها إلى مراتب المقربين من رب العالمين، وقد كان من أهم معالم الرسالة النبوية المباركة تزكية النفوس وتطهيرها، وتربيتها على مبادئ الإسلام القويمة قال الله جل جلاله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، ومن أهم وسائل تزكية النفس وصقل الإيمان وتعميقه فيها كثرة التعبد وحسن التعبد لله عَزَّ وَجَلَّ، والتقرب إليه بالأعمال الصالحة وذلك هو كنز الإنسان ورصيده الذي يقدم به يوم القيامة على ربه، بل هو الصورة العملية الواقعية لحسن الاستجابة لله وللرسول، فتعالوا بنا نتأنق في رياض الصالحين ونرطب القلوب بذكر خير الخلق أجمعين بعد الأنبياء والمرسلين.

هذا هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يصف الصحابة وصفًا عامًا يملأ القلب بالرهبة والإكبار والتعظيم، لهذا الجيل الكريم الذي لم ولن تشهد الدنيا له مثيلًا.

«صلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلاة الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه، ثم مكث كأن عليه كآبة ثم قلب يده وقال: لقد رأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما أرى اليوم شيئًا يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثًا صفرًا غبرًا بين أعينهم أمثال ركب المعزي قد باتوا لله سجدًا وقيامًا يتلون كتاب الله، يراوحون بين جباههم وأقدامهم فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم، والله لكأني بالقوم باتوا غافلين ثم نهض، فما رُئي بعدُ ضاحكًا حتى

قتله ابن ملجم»[1].

وهذا هو الصديق والفاروق يتلألأ ليلهم بعبادة ربهم، فعن أبي قتادة قال: إن النبي ﷺ خرج ليلة فإذا هو بأبي بكر الصديق يصلي يخفض من صوته. قال: ومرَّ بعمر وهو يصلي رافعًا صوته. قال: فلما اجتمعا عند النبي ﷺ قال النبي ﷺ: «**يَا أَبَا بكر، مَررتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصلِّي تخفض مِنْ صَوتك**» قال: قد أسمعت من ناجيت يا رسول الله. قال: وقال لعمر: «**مَرَرتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي رافعًا صَوتك**» قال: فقال: يا رسول الله، أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان. فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «**يَا أَبَا بَكر، ارْفَع مِنْ صَوتك شَيْئًا**» وقال لعمر: «**اخْفِض مِنْ صَوتك شَيْئًا**»[2].

وقال أسلم العدوي مولى عمر بن الخطاب: «كنا نبيت عند عمر أنا ويرفأ فكانت له ساعة من الليل يصليها فربما لم يقل - أي ينام القيلولة - فنقول: لا يقوم كما كان يقوم فيكون أبكر ما كان قائمًا، وكان إذا صلى من الليل ثم فرغ قرأ هذه الآية: ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا** ﴾ [طه: ١٣٢]»[3].

وقال أسلم العدوي أيضًا: قدم المدينة رفقة من تجار فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: هل لك أن نحرسهم الليلة؟ قال: نعم، فباتا يحرسانهم ويصليان[4].

---

(1) «صفة الصفوة» [١/ ١٣] - ط دار المنار.

(2) رواه الترمذي برقم [٤٤٧]، وأبو داود برقم [١٣٢٩]، وصححه الألباني في «المشكاة»، والأرناؤوط في التعليق على «شرح السنة» [٤/ ٣١].

(3) رواه الطبري في «التفسير» (٨/ ٤٨٠) - ط دار الكتب العلمية.

(4) «البداية والنهاية» لابن كثير [٧/ ١٤٩].

وهذا هو الحي الشهيد ذو النورين أمير البررة وقتيل الفجرة القانت القائم بين يدي ربه بالقرآن عثمان بن عفان.

قال ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قالت امرأة عثمان: لقد قتلتموه وإنه ليحيي الليل كله بالقرآن في ركعة(١).

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد روي من غير وجه أنه صلى بالقرآن العظيم في ركعة واحدة عند الحجر الأسود أيام الحج، وقد كان هذا دأبه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولهذا روينا عن ابن عمر أنه قال في قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا ﴾ [الزمر: ٩]، قال: هو عثمان بن عفان. قال: وإنما قال ابن عمر ذلك لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالليل وقراءته حتى إنه ربما قرأ القرآن في ركعة(٢).

وهذا هو حافظ السنة وراوية الإسلام أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال أبو عثمان النهدي: تضيفت أبا هريرة سبعًا فكان هو وامرأته وخادمه يقسمون الليل ثلاثًا يصلي هذا ثم يوقظ هذا(٣).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أخرج ابن سعد بسند صحيح عن عكرمة أن أبا هريرة كان يسبِّح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة ويقول: أسبح بقدر ذنبي.

وفي تاريخ أبي العباس السراج بسند صحيح عن مضارب بن حزن قال: كنت أسير من الليل فإذا رجل يكبر فلحقته فقلت: من هذا؟ فإذا أبو هريرة فقال: أكثر شكر الله على أن كنت أجيرًا لبُسرة بنت غزوان لنفقة رحلي وطعام بطني فإذا ركبوا سقت

---

(1) «الزهد» للإمام أحمد [ص١٢٧]، و«صفة الصفوة» [١/ ١١٩].

(2) انظر: «تفسير ابن كثير» [٧/ ٧٦] - ط دار الحديث.

(3) «الإصابة» للحافظ ابن حجر [٧/ ٣٦٠] دار الكتب العلمية، وصححه ابن حجر.

بهم، وإذا نزلوا خدمتهم فزوجنيها الله فأنا أركب وإذا نزلت خُدمت(١).

وهؤلاء هم الأشعريون المتبتلون العابدون المتهجدون في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعرف صوت الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كُنْتُ لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار**»(٢).

إنهم يُسمع لهم بالليل دوي كدوي النحل، قلوبهم يقظة، وعيونهم دامعة، ونفوسهم طيبة مطيبة بطيب التلاوة، وحسن القيام بين يدي الله جل جلاله، وهذا واحد منهم يمر عليه رسول الله ﷺ في المسجد فإذا هو في تبتل وتلاوة، وقراءة وصلاة علامة على حبه لمولاه وصدقه في إيمانه وتقواه لله جل جلاله، وهذا الصحابي الجليل صاحب صوت رائع ماتع جذاب، يأخذ بالعقول والألباب، حينما يترنم بآيات الكتاب، إنه عبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري والحديث أخرجه أحمد وغيره بسند حسن عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: إن رسول الله ﷺ دخل المسجد فأخذ بيدي فدخلت معه فإذا رجل يقرأ ويصلي قال: «**لقد أوتي هذا مزمارًا من مزامير آل داود**». وإذا هو عبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري قال قلت: يا رسول فأخبره قال فأخبرته فقال: لم تزل لي صديقًا(٣).

وهذا أسيد ين حضير يطيب أجواء الكون من حوله ويطرب آذان الزمان بصوت خاشع متبتل يترنم بآيات الذكر الحكيم في هدأة الليل وسكونه فتتنزل ملائكة الله لكي

---

(1) نفس المرجع السابق.

(2) رواه البخاري برقم [٤٢٣٠]، ومسلم برقم [٢٤٩٩].

(3) رواه أحمد [٥/ ٣٥٩] وحسنه شيخنا العدوي في «فضائل الصحابة» [ص:٣٧٦].

تنصت لطيب تلاوته وقد سبق ذكر الحديث في قلائد المناقب. وهذا ابن مسعود هو الآخر قائم يصلي ويتلو كلام ربه سبحانه فيمر عليه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ثم يجلس ليدعو فيؤمن النبي ﷺ على دعائه، وسوف يأتي ذكر الحديث في مسابقة الصحابة إلى رضوان الله، ولعلك تقف على صدق التعبد وشدة الحرص عليه في هذا المشهد الجليل لصحابيين كريمين وهما سلمان الفارسي وأبو الدرداء وقد كان النبي ﷺ قد آخى بينهما. عن أبي جُحَيفة قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مبتذلة فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا فقال له: كُل فإني صائم فقال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان من الليل ذهب أبو الدرداء يقوم قال: نم فنام، ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال له النبي ﷺ: «**صدق سلمان**»(١).

وهذا شبيه أبيه العابد الفقيه التقي الأواب عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما في الصحيحين عنه رضي الله عنه أنه قال: كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على النبي ﷺ فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبي ﷺ، وكنت غلامًا أعزب وكنت أنام في المسجد على عهد النبي ﷺ فرأيت في المنام كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان كقرني البئر، وإذا فيها ناسٌ قد عرفتهم فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار.

---

(١) رواه البخاري برقم [١٩٦٨].

فلقيهما ملك آخر فقال لي: لن تراع. فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على النبي ﷺ فقال: نِعْمَ الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل، قال سالم: فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلًا(١).

قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: وعند ابن سعد بسند صحيح قيل لنافع: ما كان ابن عمر يصنع في منزله؟ قال: الوضوء لكل صلاة والمصحف فيما بينهما. وعند الطبراني وهو في الحلية بسند جيد عن نافع أن ابن سيرين قال: كان ابن عمر كلما استيقظ من الليل صلَّى.

وعند ابن سعد بسند جيد عن نافع أن ابن عمر كان لا يصوم في السفر ولا يكاد يفطر في الحضر.

وعن نافع قال: كان ابن عمر إذا فاتته صلاة العشاء في جماعة أحيا بقية ليلته.

وقال: وفي الزهد للبيهقي بسند صحيح أن ابن عمر ما ذكر رسول الله ﷺ إلا بكى ولا مر على ربعهم إلا غمض عينيه. وأخرج الدارمي من هذا الوجه في تاريخ أبي العباس السراج بسند جيد عن نافع قال: كان ابن عمر إذا قرأ هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]. يبكي حتى يغلبه البكاء(٢).

وهذه عودة لأبي الدرداء رضي الله عنه بعد أن ذكرنا حديثه مع سلمان رضي الله عنهما أورد الذهبي في السير عن ابن حلبس قال: قيل لأبي الدرداء - وكان لا يفتر من الذكر-: كم

(١) متفق عليه. رواه البخاري برقم [٣٧٣٨] ومسلم برقم [٢٤٧٩].
(٢) «الإصابة» للحافظ ابن حجر العسقلاني [٤/ ١٦٠-١٦١] بتصرف يسير ط . دار الكتب العلمية.

تسبح في كل يوم قال: مائة ألف إلا أن تخطئ الأصابع(1).

ولله دره حين يقول: اعبد الله كأنك تراه، وعدَّ نفسك في الموتى، وإياك ودعوة المظلوم، واعلم أن قليلًا يغنيك خير من كثير يطغيك. وأن البر لا يبلى وأن الإثم لا يُنسى(2).

وهذا أبو طلحة الأنصارى الشهيد يقول عنه أنس بن مالك رضي الله عنه: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالًا من نخل فقال: يا رسول الله، إن أحبَّ مالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال: «**بخٍ ذلك مال رابح! وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**» وقال أنس رضي الله عنه: كان أبو طلحة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لا يفطر إلا في سفر أو مرض(3).

وقال أنس وهو ربيبه - أي: ابن زوجته أم سليم - رضي الله عنهم: إن أبا طلحة قرأ: ﴿**ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا**﴾ [التوبة: ٤١]. فقال: استنفرنا الله وأمرنا شيوخنا وشبابنا جهزوني فقال بنوه: يرحمك الله! إنك قد غزوت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر ونحن نغزو عنك الآن قال: فغزا البحر فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير(4).

وقد قيل بأنه سرد الصيام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفطر إلا في فطر أو أضحى فرضي الله عنه وأرضاه.

---

(1) «السير» للإمام الذهبي [٢/ ٣٤٨] ط . دار الرسالة

(2) «السير» [٢/ ٣٥٠] ط . دار الرسالة.

(3) «سير أعلام النبلاء» للذهبي [٢/ ٣٣] ط . دار الرسالة.

(4) نفس المصدر السابق [٢/ ٣٤] وصححه الأرناؤوط في هذا الموضع.

وهذا العبَّاد السجاد القانت القاري تميم بن أوس الداري يقول عنه ابن حجر في الإصابة: كان كثير التهجد قام ليلة بآية حتى أصبح وهي: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية:٢١][١].

وعن جعفر بن عمرو قال: كنا فئة من أبناء أصحاب النبي ﷺ قلنا: إن كان آباؤنا سبقونا بالهجرة وصحبة النبي ﷺ فهلموا نجتهد في العبادة لعلنا ندرك فضائلهم. قال: عبد الله بن الزبير ومحمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر ومحمد ابن طلحة ومحمد بن عبد الرحمن بن يغوث قال: فاجتهدنا في العبادة بالليل والنهار وأدركنا تميمًا الداري شيخًا فما قمنا له ولا قعدنا من طول الصلاة[٢].

وهذا عدي بن حاتم رضي الله عنه عن الشعبي أنه رضي الله عنه قال: ما دخل وقت صلاة قط إلا وأنا أشتاق إليها.

وقال: ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء[٣] وهذا حمامة المسجد الصوام القوام المبادر إلى كل خير عبد الله بن الزبير، قال ثابت البناني: كنت أمُرُّ بابن الزبير وهو خلف المقام كأنه خشبة منصوبة لا تتحرك، وعن مسلم بن بناق قال: ركع ابن الزبير يومًا ركعة فقرأنا البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وما رفع رأسه.

---

(1) «الإصابة» [١/ ٤٤٨] وصححه ابن حجر.

(2) «الزهد» للإمام أحمد [ص:٢٠٠]

(3) «السير» [٣/ ٣٦٩] ط. الرسالة، «الإصابة» [٤/ ٧٥] ط. دار الكتب العلمية.

وعن عمرو بن دينار قال: كان ابن الزبير يصلي في الحجر والمنجنيق يصبُّ تُوبه فما يلتفت. يعني لما حاصروه[١].

وهذا عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يقول عنه عبد الرحمن بن أبي ليلى: تزوج رجل امرأة عبد الله بن رواحة فسألها عن صنيعه يعني في بيته فقالت: كان إذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين، وإذا دخل بيته صلى ركعتين لا يدع ذلك . قالوا: وكان عبد الله أول خارج إلى الغزوة وأول قافل[٢].

وهذه لفتات من بيت النبوة فهذه زينب بنت جحش وأمها هي أميمة عمة النبي صلى الله عليه وسلم وهي التي كانت تفخر على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول: زوجكنَّ أهالكنَّ وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات[٣].

وتشتهر بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بالصدقة وتبذل للمساكين حتى كانت تسمى أم المساكين، وقد روى مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**أسرعكن لحاقًا بي أطولكن يدًا**» **قالت:** فكن يتطاولن أيتهن أطول يدًا. قالت: فكانت أطولنا يدًا زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصدَّق[٤].

وهذه حفصة بنت عمر يشهد جبريل عليه السلام بأنها صوامة قوامة ويخبر رسول الله بذلك فعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يطلق حفصة

---

(1) «السير» [٣/ ٣٦٩] والتوب هو حجر المنجنيق الذي يقذف به.
(2)«الإصابة» لابن حجر [٣/ ٣٦٩] وصحح الحافظ ابن حجر سنده في هذا الموضع
(3) رواه البخاري برقم [٧٤٢٠].
(4) رواه مسلم برقم [٢٤٥٢].

obeikandl.com

فجاء جبريل فقال: «**لا تطلقها فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة**»(١).

ولا ريب أن هذا وحي من الله تعالى فيشهد الخالق العليم الخبير لحفصة رضي الله عنها بأنها صوامة قوامة فيا للفخر!!

وهذه الصديقة بنت الصديق حبيبة الحبيب الفقيهة الخيرة الذكية العاقلة العابدة التقية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها . عن عروة عن أبيه أن عائشة رضي الله عنها كانت تسرد الصوم.

وعن القاسم بن محمد قال: كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها فغدوت يومًا فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾

[الطور: ٢٧]

وتدعو وتبكي وترددها فقمت حتى مللت القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتي ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي(٢).

وعن محمد بن المنكدر عن أم ذرة وكانت تغشى عائشة رضي الله عنها قالت: بعث إليها الزبير بمال في غرارتين قالت: أراه ثمانين ومائة ألف فدعت بطبق وهي صائمة يومئذٍ (فقسمتها) فلما أمست قالت: يا جارية، هلمي فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها أم ذرة: أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحمًا نفطر عليه فقالت: لا تعنفيني لو كنت ذكرتيني لفعلت(٣).

---

(1) رواه أبو داود [٢٢٨٣،] وابن سعد في «الطبقات» [٨/ ٥٨] بلفظ قريب، وحسنه الألباني في «الصحيحة» برقم [٢٠٠٧] و«صحيح الجامع» برقم [٤٣٥١].

(2) «صفة الصفوة» [١/ ٣٣٧] وقد سبق ذكره.

(3) «حلية الأولياء» لأبي نعيم [٢/ ٥٨] ط. دار الكتب العلمية.

وهذا ابن مسعود يُرسي ويرسم منهجًا لحملة كتاب الله وهو ما ينبغي أن يحرص عليه الصادقون من المؤمنين يقول ابن مسعود: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا محزونًا حليمًا حكيمًا سكيتًا، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيًا ولا غافلًا ولا سخابًا ولا صياحًا ولا حديدًا.

وكان رضي الله عنه يقول: لا ألفين أحدكم جيفة ليل قُطْرَبَ نهار(١).

وعن المسيب بن رافع قال: قال عبد الله بن مسعود: إني لأبغض الرجل أن أراه فارغًا ليس في شيءٍ من عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة.

وقال رضي الله عنه: ما دمت في صلاة فأنت تقرع باب الملك، ومن يقرع باب الملك يفتح له.

وقال رضي الله عنه: كونوا ينابيع العلم، مصابيح الهدى، أحلاس البيوت، سرج الليل، جُدد القلوب، خلقان الثياب تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض(٢).

وهذا الزاهد العابد التقي، أبو ذر الغفاري، كما أورد الإمام الذهبي، عن أبي عثمان النهدي قال: رأيت أبا ذر يميد على راحلته وهو مستقبل مطلع الشمس فظننته نائمًا فدنوت وقلت: أنائمٌ أنت يا أبا ذر؟ قال: لا، بل كنت أصلي(٣).

---

(1) «الحلية» [١/ ١٣٠]، و«صفة الصفوة» [١/ ١٦٤].

(2) «صفة الصفوة» لابن الجوزي [١/ ١٦٤-١٦٥] ط. دار المنار.

(3) «سير أعلام النبلاء» [٢/ ٧٨].

وهذا الأحنف بن قيس رضي الله عنه كان يكثر الصيام رغم كبر سنه. فقيل له: إنك كبير والصوم يضعفك قال: إني أعده لسفرٍ طويل. وقيل: كانت عامة صلاة الأحنف بالليل. وكان يضع إصبعه على المصابيح ثم يقول: حس، ويقول: ما حملك يا أحنف على أن صنعت كذا يوم كذا(1).

وهذا ربيب بيت النبوة وخادم الرسول صلى الله عليه وسلم إنه أنس بن مالك العابد الزاهد العالم المتبتل قال ثابت البناني: قال أبو هريرة: ما رأيت أحدًا أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن أم سليم يعني أنسًا.

وقال أنس بن سيرين: كان أنس بن مالك أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر.

وعن ثمامة قال: كان أنس يصلي حتى تتفطر قدماه دمًا مما يطيل القيام رضي الله عنه(2).

وهذا ابن عباس يبيت ليلة في بيت خالته ميمونة فتذكر هذه الليلة في التاريخ مدرسة في العلم والعبادة والأدب وأجدني أشتهى أن أذكر هذه الرواية لجمالها وحسن وقعها في النفوس يقول ابن عباس رضي الله عنه: صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بيدي فجرَّني حتى جعلني حذاءه، فلما أقبل على صلاته خنست فلما انصرف قال لي: ما شأنك؟ فقلت: يا رسول الله أو ينبغي لأحدٍ أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله! فدعا لي أن يزيدني الله فهمًا وعلمًا(3).

وفي صفة الصفوة عن سماك أن ابن عباس سقط في عينيه الماء فذهب بصره فأتاه هؤلاء الذين ينقبون العيون ويسيلون الماء فقالوا: خل بيننا وبين عينيك نسيل ماءها

(1)«سير أعلام النبلاء» للذهبي [٤/ ٩١-٩٢].
(2)«السير» للذهبي [٣/ ٤٠٠].
(3)«الإصابة» [٤/ ١٢٤].

ولكنك تمكث خمسة أيام لا تصلي [يعني قائمًا] قال: لا والله ولا ركعة واحدة إني حدثت أنه من ترك صلاة واحدة متعمدًا لقي الله - عز وجل - وهو عليه غضبان(١).

وقال علي بن أبي طالب لولده الحسن رضي الله عنه: كن في الدنيا ببدنك وفي الآخرة بقلبك(٢).

ولما خاصم أهل حمص سعيد بن عامر وشكوا على عمر رضي الله عنه أنه لا يجيب أحدًا بليل قال له عمر: ما تقول؟ فقال سعيد: إن كنت لأكره ذكره، إني جعلت النهار لهم، والليل لله عز وجل(٣).

وهذا عامر بن ربيعة كما ذكر الحافظ في الإصابة وأبو نعيم في الحلية أنه لما نشب الناس في الطعن على عثمان رضي الله عنه قام عامر يصلي في الليل وقال: اللهم قني من الفتنة بما وقيت به الصالحين من عبادك. فما خرج إلا في جنازته وعند ابن حجر في الإصابة فقام يصلي ثم اشتكى فما خرج بعد إلا بجنازته(٤).

أيها الإخوة، هذه صفحات من حياة العالمين اليقظين، تنبيك عن فقه سديد، وهدى رشيد، سار عليه أولئك الأخيار وواصلوا العبادة لله بالليل والنهار، وتعطرت بطيب مناجاتهم نسائم الأسحار، واستقاموا على ذات الدرب الذي خطه لهم نبينا المختار، فياليتنا نعي الدرس ونملأ ألسنتنا وأعيننا وجوارحنا وقلوبنا بطاعة ربنا، فعلى قدر قرة عينك بعبادة ربك يكون حب الله لك وحفظه لك وولايته لك ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾.

---

(1) «صفة الصفوة» [١/ ٣٢٥].

(2) «حلية الأولياء» لأبي نعيم [٢/ ٤٦] ط. دار الكتب العلمية.

(3) «السابق» [١/ ٣١٠].

(4) «الإصابة» [٣/ ٤٦٩]، «الحلية» [١/ ٢٣٤].

obeikandl.com

رابعًا - زهدهم في الدنيا وإيثار الآخرة عليها

لما كان الصحابة الكرام هم أعلم الخلق بالله، وأعرف البشر بدين الله عز وجل كانت نظرتهم إلى الدنيا هي النظرة الأكمل والأصوب جعلوها مزرعة للآخرة وعرفوا أنها ظل زائل، وعارية مسترجعة وأن الآخرة خير وأبقى. فالله - جل جلاله - رباهم على ذلك في كتابه وهم أول من استجاب له وهم أصدق من انقاد لحكم الله - جل جلاله - قال الله تبارك اسمه: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ [الحديد:٢٠]. وقال جلَّ ذكره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ [فاطر:٥]، ﴿ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء:٧٧].

ثم إن الرسول ﷺ غرس فيهم صدق الزهد في هذه الدار وعظمة الرغبة في الآخرة الباقية وذلك بسنته وسيرته وحاله في حياته ﷺ، وهذا باب عظيم لو أخذنا في سرده لطال بنا المقام لكن نكتفي بذكر مثال عملي تربوي من الرسول ﷺ والحديث رواه مسلم من حديث جابر رضي الله عنهما قال: مرَّ رسول الله ﷺ بالسوق والناس كنفتيه، فمرَّ بجَدْي أسك ميت تناوله فأخذ بأذنه ثم قال: «**أيكم يحبُّ أن يكون هذا له بدرهم؟**» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيءٍ وما نصنع به؟ ثم قال: «**أتحبون أنه لكم؟**» قالوا: والله لو كان حيًا كان عيبًا إنه أسك، فكيف وهو

ميت؟! فقال: «**فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم!**»[(١)].

وبين لهم ﷺ بسنته القولية حقارة هذه الدنيا وذل من آثرها على الآخرة من ذلك أنه ﷺ أخبر أن البئيس التعيس، المهين الذليل هو الذي غرق في شهوات هذه الدنيا وانخرط في عبودية المال والمظاهر والعياذ بالله، والحديث رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**تَعِس عبد الدنيا، والدرهم والقطيفة والخميصة إن أُعطي رضي، وإن لم يعطَ لم يرضَ**»[(٢)].

وأما سنة النبي ﷺ في ذلك فالأحاديث كثيرة مشهورة فهو سيد الزاهدين ﷺ تعالوا ننظر في سير قوم آثروا دار الحيوان وعملوا للآخرة وسعوا لها سعيها.

لقد مرَّ بنا كيف أنهم هجروا ديارهم وأموالهم في سبيل مرضاة ربهم جل جلاله، ومرَّ بنا كيف أن الصديق بذل كل ماله، وبذل عمر شطر ماله إلى غير ذلك من مواقفهم العظيمة رضي الله عنهم.

يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: إني لأول العرب رمى بهم في سبيل الله، ولقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الحبلة وهذا السمر حتى إن كان أحدنا ليضع كما تضع الشاة ما له خلط[(٣)]، والحبلة والسمر نوعان معروفان من شجر البادية لم يكن لهم طعام غير ورق الشجر من هذين النوعين الغليظين ورغم ذلك

---

(1) رواه مسلم برقم (٢٩٥٧).

(2) رواه البخاري برقم (٢٨٨٧).

(3) متفق عليه. رواه البخاري برقم (٦٤٥٣)، ومسلم برقم (٢٩٦٦).

كانوا يجاهدون ويبذلون ويعملون لأنهم يريدون الآخرة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه **قال:** لقد رأيت سبعة من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء. إما إزار وإما كساء. قد ربطوا في أعناقهم منها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته[(١)].

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة وهم أصحاب الصفة حتى يقول الأعراب: هؤلاء مجانين. فإذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف إليهم فقال: «**لو تعلمون ما لكم عند الله تعالى لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة**»[(٢)].

وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنهما قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمَّر علينا أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه نتلقى عيرًا لقريش وزودنا جرابًا من تمر لم يجد لنا غيره. فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة فقيل: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: كنا نمصها كما يمص الصبي ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل. وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله قال: وانطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم، فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر فقال أبو عبيدة: ميتة.

ثم قال: لا بل نحن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكلوا فأقمنا عليه شهرًا ونحن ثلاثمائة حتى سَمِنَّا. ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينه بالقلال الدهن ونقطع منه الفِدَر كالثور، أو كقدر الثور. ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة

---

(1) رواه البخاري برقم (٤٤٢).

(2) رواه الترمذي (٢٣٦٨) وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (٢١٦٩).

عشر رجلًا فأقعدهم في وقب عينه وأخذ ضلعًا من أضلاعه فأقامها ثم رحَّل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمه وشائق، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له فقال: «**هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم من لحمه شيءٌ فتطعمونا؟**» فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله[1].

أرأيت هذه المواقف وهناك مثلها الكثير والكثير. تأمل كيف كان عيشهم ثم انظر كيف كان جهادهم. وكيف كانت معاناتهم بسيرهم في الصحراء في مواجهة أعتى الأمم. وكيف انتشروا في ربوع الأرض يعزون دين الله - جل جلاله - ويبذلون أرواحهم ودماءهم في سبيل الله عز وجل، وهذا حافظ السنة وإمام الحفاظ أبو هريرة رضي الله عنه يزهد في هذه الدار ليحصل علمًا تحيا به القلوب وتزكى به النفوس ويذكر به الله، ويقام به الدين فقد روى البخاري عنه رضي الله عنه قال: والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ولقد قعدتُ يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه فمر النبي ﷺ فتبسَّم حين رآني وعرف ما في وجهي وما في نفسي ثم قال: «**أباهر!**» قلتُ: لبيك يا رسول الله. قال: «**الحقْ**» ومضى فاتبعته.

فدخل فاستأذن. فأذن لي فدخلت فوجد لبنًا في قدح فقال: «**من أين هذا اللبن؟**» قالوا: أهداه لك فلانٌ أو فلانة قال: «**أباهر!**» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «**الحق أهل الصفة**» قال: وأهل الصفة هم أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد وكان إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل

---

(١) رواه مسلم برقم (١٩٣٥).

إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها فساءني ذلك فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاءوا وأمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن.

ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بُدٌّ فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا واستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت قال: «**يا أبا هر!**». قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «**خذ فأعطهم**» قال: فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يردُّ عليَّ القدح حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روى القوم كلهم. فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إليَّ فتبسَّم فقال: «**أبا هر!**» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «**بقيت أنا وأنت**» قلت: صدقت يا رسول الله. قال: «**اقعد فاشرب**» فقعدت فشربت فقال: «**اشرب**» فشربت فمازال يقول: «**اشرب**» حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكًا قال: «**فأرني**» فأعطيته القدح فحمد الله تعالى وسمَّى وشرب الفضلة[(١)]، إنه صدق الرغبة فيما عند الله وإيثار الآخرة على زخارف الدنيا وبهارجها الزائفة الزائلة.

وعن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه، فنقبت أقدامنا، ونقبت قدمي وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب على أرجلنا من الخرق قال أبو بردة: فحدث أبو موسى بهذا الحديث ثم كره ذلك وقال: ما كنت أصنع بأن أذكره. قال: كأنه كره أن يكون شيئًا من عمله أفشاه[(٢)].

---

(1) رواه البخاري برقم (٦٢٤٦).

(2) متفق عليه. رواه البخاري برقم (٤١٢٨). ومسلم برقم (١٨١٦).

وذكر الذهبي في السير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربع مئة دينار فقال لغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة ثم تله ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع قال: فذهب بها الغلام فقال: يقول لك أمير المؤمنين: خذ هذه، فقال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان حتى أنفذها فرجع الغلام إلى عمر وأخبره فوجده قد أعدَّ مثلها لمعاذ بن جبل فأرسله بها إليه فقال معاذ: وصله الله يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا ولبيت فلان بكذا فاطلعت امرأة معاذ فقالت: ونحن والله مساكين فأعطنا، ولم يبق في الخرقة إلا ديناران فدحا بهما إليها ورجع الغلام فأخبر عمر فَسُرَّ بذلك وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض(١).

وأورد كذلك أن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أتاه مالٌ من حضر موت سبعُ مئة ألف. فبات ليلته يتململ فقالت له زوجته: مالك؟ قال: تفكرت منذ الليل فقلت: ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته؟ قالت: فأين أنت من بعض أخلائك فإذا أصبحت فادعُ بجفان وقصاع فقسمه فقال لها: رحمك الله إنك لموفقةٌ بنت موفق وهي أم كلثوم بنت الصديق فلما أصبح دعا بجفان فقسمها بين المهاجرين والأنصار فبعث إلى عليَّ منها بجفنة فقالت له زوجته: أبا محمد، أما كان لنا في هذا المال من نصيب؟ قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشأنك بما بقى قالت: فكانت صرة فيها نحو ألف درهم(٢).

وفي الصحيح عن سهل بن سعد رضي الله عنه **قال**: إن كنا لنفرح بيوم الجمعة، كانت لنا عجوزٌ تأخذ أصول السلق فتجعله في قدر لها وتجعل فيه حبات من شعير، إذا صلينا زرناها فقربته إلينا(٣).

---

(1) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٥٦).

(2) «السير» (١/ ٣١).

(3) رواه البخاري برقم (٩٣٨).

قال عروة بن الزبير: لقد رأيت عائشة رضي الله عنها تقسم سبعين ألفًا وهي ترقع درعها[(١)].

وقال عبد الله بن الزبير: ما رأيت امرأة قط أجود من عائشة وأسخى كانت تجمع الشيء إلى الشيء حتى إذا اجتمع عندها وضعته مواضعه، وأما أسماء فكانت لا تمسك شيئًا لغد[(٢)].

وعن نافع أنه لما مات خالد بن الوليد لم يدع إلا فرسه وسلاحه وغلامه فقال عمر: رحم الله أبا سليمان كان على ما ظنناه به[(٣)].

ومن تمام فقه ابن مسعود رضي الله عنه **أنه كان يقول**: من أراد الآخرة أضر بالدنيا، ومن أراد الدنيا أضر بالآخرة، يا قوم فأضروا بالفاني للباقي.

وأخبار الصحابة رضي الله عنهم في هذا الجانب كثيرة جدًا تراها في سيرة عبد الله بن عمر، وأبي ذر الغفاري، وأبي عبيدة بن الجراح وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وغير ذلك كثير ولكن تكفي هذه الإشارة.

ولكن تعالوا ننظر لحالنا نحن مع الدنيا بالمقارنة لحال الصحابة تعالوا نتأمل في حالي وحالك مع هذه الدنيا، كثير منا قد مالت به الدنيا وأرهقته همومها وشغلته عن الله، كثير من الناس تعرقل في شباك الدنيا وتعطل سيره إلى الله بسبب خدعها وزخارفها الفانية الباطلة، صرنا نرى التحاسد والتقاطع بل القتال من أجل دنيا فهذا شقيق يقتل

---

(1) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٤٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ١٣١).

(2) أخرجه البخاري في«الأدب المفرد» (٢٨٠) والذهبي في «السير» (٢/ ٢٩٢).

(3) «السير» (١/ ٣٨٣).

شقيقه من أجل شبر من أرض، وذاك يعق أباه وأمه ويقطع رحمه من أجل دراهم معدودات!! وهذا يغرق في أوحال المنكرات والمحرمات من أجل أن يحاكي جاره ومن أجل أن يتشبه بأصحاب الأموال من جيرانه وزملائه!! والرسول ﷺ يعلمنا أن ننظر إلى من هو دوننا في الدنيا لنشكر نعمة الله علينا وأن لا نتطلع إلى من هو فوقنا حتى لا نجحد فضل الله ونعمى عن رزقه الذي رزقنا إياه ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**»[(١)].

أوليس الرسول ﷺ هو الذي علمنا أن هذه الدار فانية زائلة ولابد أن نعيش فيها كما يعيش الغريب في غير وطنه أو كعابر السبيل الذي لا يحط رحله إلا في موضع قصده وهو الجنة ففي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**» وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك»[(٢)].

إن مما يؤلم القلب أن ترى مسلمًا موحدًا بالله يسقط في رذائل الربا والرشوة، والبيوع المحرمة بل الغش والخداع من أجل تحصيل المال بأي سبيل، إنه لا ينظر إلى حلال أو حرام فهو يريد أن يعيش غنيًا وفقط!! والأدهى والأمر والأفظع والأخطر أن ترى بعض أولئك السكارى قد استولت الدنيا على قلوبهم وعقولهم فصاروا يتهارجون عليها تهارج الحمر ويتنافسون عليها تنافس الغافلين عن الآخرة يبيع

---

(1) متفق عليه. رواه البخاري برقم (٦٤٩٠)، ومسلم برقم (٢٩٦٣).

(2) رواه البخاري برقم (٦٤١٦).

أحدهم دينه، يبيع آخرته من أجل لذة حاضرة ودنيا رخيصة بل ترى أحدهم معرضًا عن بيوت الله، تاركًا للصلاة تتقاذفه أمواج الدنيا حتى تلقيه في غياهب الإعراض عن الله ونسيان لقائه. فيا للأسى حينما ترى مسلمًا ينتكس ويرتكس عن شعيرة من شعائر دينه من أجل أن يتطوَّس بثوب أو يتجشأ بطعام أو يتثاقل إلى دعة وراحة موقوتة سوف يعقبها في الآخرة حسرات!! إنه يريد أن يعيش الدنيا متمتعًا بكل ما يقدر عليه من زينتها يريد أن يشبع كل شهواته فيها وكم يقول بلسان حاله ومقاله تلك المقولة الفجَّة المنكرة التي تلوكها وترددها ألسنة الغافلين حينما يقول أحدهم: أحيني اليوم وأمتني غدًا.

فيا لحسرة أمة! صار أكثر رجالها ذباب طمع وذئاب جشع!! انظر إلى حال الصحابة وإلى حالنا لتعرف كم هو الفارق الكبير الذي بيننا وبينهم وتدرك مدى تلك الهوة السحيقة والدرك الأسفل الذي وصل إليه واقع المسلمين في هذه الأيام.

أين الدين في حياتنا؟! وأين الآخرة في خريطة اهتماماتنا؟ أيهما آثر عندك الدنيا أم الآخرة؟! أي الدارين تسيطر على حياتك وأعمالك؟! أحبتي إخوتي لعل نظرة تلقيها على واقع حياة الصحابة تبين لك كيف ينبغي أن تكون الدنيا وكيف ينبغي أن نعيشها. فخذ بنهجهم، واتبع سبيلهم، وسر على دربهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، والمنهاج القويم، واجعل الدنيا كدار فارقتها، واجعل الآخرة كدار دخلتها. وعش الحياة على مراد الله تسعد في الدنيا والآخرة.

واعلم أن الآخرة خيرٌ وأبقى، وأن وعد الله حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور.. فاللهم ارزقنا حسن الفهم عنك، وألهمنا السداد، وقنا شر نفوسنا إنك أنت العزيز الحكيم.

خامسًا - رغبتهم في الآخرة ومسارعتهم إلى رضوان ربهم

لقد فقه الصحابة الكرام حقيقة هذه الحياة وأدركوا أن النعيم الحقيقي والفوز العظيم هو دخول الجنة وحصول رضوان الله جل جلاله؛ لذا تعلقت قلوبهم بالآخرة وسعوا إليها بكل سبيل وسارعوا إليها، وحرصوا كل الحرص عليها، وإليكم هذه الشواهد في مسارعة الصحابة إلى الآخرة ورغبتهم الحقيقية فيها.

سبق أن ذكرنا تسابق الصديق وأبي بكر في بذل أموالهم وقول عمر رضي الله عنه: والله لا أسابقك إلى خير أبدًا. وهذا مشهد آخر من تسابق هذين الخيِّرين رضي الله عنهما والحديث في المسند بسند صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وهو بين أبي بكر وعمر وإذا ابن مسعود يصلي وإذا هو يقرأ النساء فانتهى إلى رأس المائة فجعل ابن مسعود يدعو وهو قائم يصلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**اسأل تعطه، اسأل تعطه**» ثم قال: «**من سره أن يقرأ القرآن غضًا كما أنزل فليقرأه بقراءة ابن أم عبد**» فلما أصبح غدا إليه أبو بكر رضي الله عنه ليبشره وقال له: ما سألت الله البارحة؟ قال: قلت: اللهم إني أسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة محمد في أعلى جنة الخلد. ثم جاء عمر رضي الله عنه فقيل له: إن أبا بكر قد سبقك. قال: يرحم الله أبا بكر ما سبقته إلى خير قط إلا سبقني إليه[(١)].

وهذا هو الصديق رضي الله عنه يسارع إلى كل طاعة ويضرب في كل قربة بسهم ويسابق الزمان في التقرب إلى الله - عز وجل - بكل سبيل رغبة منه في الآخرة وإيثارًا لها كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من**

---

(١) رواه أحمد (١/ ٤٥٤) وقال شيخنا العدوي: صحيح لغيره كما في الصحيح المسند (ص:٢٣٤).

أصبح منكم اليوم صائمًا؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «**فمن تبع منكم اليوم جنازة؟**» قال أبو بكر: أنا، قال: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟**» قال أبو بكر: أنا، قال: «**فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟**» قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة**»(١).

وهذا صحابي شاب عزب فقير لا مال له ولا بيت له ولا زوج له ومع كل ذلك فُتِحت له أبواب السماء وأُمِر بأن يطلب كل ما يريد ليُحَقَّق له ويناله فترى ماذا يطلب؟! يا ترى في أي شيءٍ يرغب؟! أيرغب في زوجة جميلة نسيبة غنية؟! أيرغب في بيت أنيق فخم؟! أيرغب في مال كثير وفير يستمتع به في هذه الحياة ولا بأس أن يستعين به على طاعة الله؟ كل هذا ما دار بباله، كل هذا لم يكن يشغل فكره وعقله بالدرجة الأولى بل كان كل همه منصرفًا إلى الآخرة إنه ربيعة بن كعب الأسلمي كما روى مسلم في صحيحه عنه رضي الله عنه قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ وآتيه بوَضُوئه وحاجته فقال: «**سلني**». فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: «**أو غير ذلك؟**» قلت: هو ذاك، قال: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**»(٢).

وها هم الفقراء يسارعون إلى الآخرة وينافسون فيها ويريدون تحقيق السبق والتفوق على غيرهم لكنهم يجدون أن إخوانهم من الأغنياء يسبقونهم بأعمال لا يستطيعون هم فعلها وذلك لفقرهم رضي الله عنهم.

---

(1) رواه مسلم برقم (١٠٢٨).

(2) رواه مسلم برقم (٤٨٩).

فيشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ لعلَّه يدلهم على أمرٍ يدركون به إخوانهم كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال: «**وما ذاك؟**» فقالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق فقال رسول الله ﷺ: «**أفلا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحدٌ أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين مرة، فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**»(١).

وهذا صحابي من صحابة رسول الله ﷺ لا نعرف اسمه ولا نسبه ولكن نعرف صدق إيمانه، ونعرف صدق يقينه، ونعرف عظيم رغبته في الآخرة ويكفيه أن الله عرفه بذلك وخلد ذكره في سنة الرسول ﷺ يقتدي به الأجيال ويتأسى أفراد هذه الأمة به ومدى الحياة، والحديث في صحيح مسلم من حديث أبي المنذر أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رجلٌ لا أعلم رجلًا أبعد من المسجد منه. وكان لا تخطئه صلاة فقيل له، أو فقلت له: لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء وفي الرمضاء فقال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي فقال رسول الله ﷺ: «**قد جمع الله لك ذلك كله**»(٢).

---

(1) متفق عليه. رواه البخاري برقم (٨٤٣)، ومسلم برقم (٥٩٥).

(2) رواه مسلم برقم (٦٦٢).

وتأمل كيف حرص الصحابة على الخير وبحثهم عن سبله وتسابقهم إليه في هذا المشهد الآتي والحديث في الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**عُرِضَتْ عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد إذ رفع سواد عظيم فظننتُ أنهم أمتي**» فقيل لي: «**هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**»، ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين وُلدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا وذكروا أشياء.

فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**ما الذي تخوضون فيه؟**» فأخبروه قال: «**هم اللذين لا يرقون**[1] **ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**».

فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «**أنت منهم**» ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «**سبقك بها عكاشة**»[2].

وفي هذا الحديث أكثر من شاهد منها خوض الصحابة لمعرفة من ينال تلك الكرامة ومسابقة عكاشة لنيل هذه الكرامة ومتابعته برجل آخر. ولعلك تلمح هذا

---

(1) لفظه «يرقون» في مسلم دون البخاري وقد حكم عليه بعض العلماء بأنها شاذة، وقبلها بعض العلماء وأولها أنهم لا يرقون الرقى الشركية وقالوا: هذا أولى من توهيم الثقات ولعل الراجح الأول والله أعلم.

(2) رواه البخاري برقم (٥٧٠٥)، ومسلم برقم (٢٢٠).

الحرص كذلك في حديث علي بن أبي طالب الذي تقدم وفيه: فبات الناس يدركون ليلتهم أيهم يعطاها.

وهذا مشهد آخر لصحابي لا نعرف اسمه كذلك ولكن يكفيه شرفًا أن حفرت له هذه المنقبة في ذاكرة التاريخ وسطرت صفحة من رغبته في الآخرة على جبين الأيام إنه يبادر لأخذ شيءٍ من النبي ﷺ فيظن الناس أنه يأخذه طمعًا في دنيا، ولكن الحقيقة التي كانت تتردد في قلبه وعلمها الله منه ووفقه إليها أنه أخذ هذا الثوب من رسول الله ﷺ رغبة أن يكفن فيه لأنه مسَّ بدن رسول الله ﷺ فأراد أن يلقى ربه برداء سيد الخلق ﷺ.

والحديث في صحيح البخاري من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ ببردة منسوجة فقالت: نسجتها بيديّ لأكسوكها فأخذها النبي ﷺ محتاجًا إليها فخرج إلينا وإنها لإزاره فقال فلان: اكسنيها ما أحسنها فقال: «**نعم**» فجلس النبي ﷺ في المجلس، ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه. فقال له القوم: ما أحسنت! لبسها النبي ﷺ محتاجًا إليها ثم سألته، وعلمت أنه لا يرد سائلًا فقال: إني والله ما سألته للبسها إنما سألته لتكون كفني. قال سهل: فكانت كفنه[(١)].

وفي هذا الحديث فوائد مهمة جدًا منها زهد النبي ﷺ في الدنيا حيث أخذها محتاجًا إليها، ومنها كرم النبي ﷺ فكان لا يردُّ سائلًا، ومنها شدة محبة الصحابة للنبي ﷺ حيث قامت هذه المرأة التي لم يصرح باسمها بنسج هذا الثوب لرسول الله ﷺ.

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٠٣٦).

ومنها صدق الرغبة في الآخرة عند الصحابة الكرام، فقد أراد أن يكون هذا الثوب كفنًا له فكان هذا الصحابي.

ثم تأمل ببصيرتك وقلبك هذا المشهد المهيب، وهذا الموقف العجيب، وهذا الصدق العظيم والرغبة الحقيقية في جنة الله جل جلاله.

عن شداد بن الهاد أن رجلًا من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه ثم قال: أهاجر معك. فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه. فلما كانت غزوة غنم فيها النبي ﷺ سبيًا فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له. وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي ﷺ فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما هذا؟ قال «**قسمت لك**» قال: ما على هذا اتبعتك ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى هاهنا وأشار إلى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة فقال: «**إن تصدق الله يصدقك**» فلبثوا قليلًا ثم نهضوا في قتال العدو فأُتي به إلى النبي ﷺ يحمل قد أصابه سهم حيث أشار فقال النبي ﷺ: «**أهو هو؟**» قالوا: نعم، قال: «**صدق الله فصدقه**» ثم كفنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ. ثم قدمه فصلَّى عليه فكان فيما ظهر من صلاته: «**اللهم هذا عبدك خرج مهاجرًا في سبيلك فقتل شهيدًا، أنا شهيد على ذلك**»(١).

إن المناقب والفضائل تحصل للعبد على قدر ما في قلبه من طهر وصدق وإيمان وتقوى.

---

(١) رواه النسائي برقم (١٩٥٣) وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» برقم (١٨٤٥).

فإذا علم الله ما في قلبه هيأ له أسباب السمو والارتقاء الإيماني فيتقلّد أنوار تلك الفضائل وينور بها ويختم له بما يبهج العقلاء الفاقهين.

وهذه صفحة من حياة ذلكم الصحابي الكريم، الذي بُشر بالجنة وهو لا يزال على قيد الحياة. وفدى بنفسه سيد الخلق رسول الله ﷺ رغبة منه فيما عند ربه، إنه الصحابي التقي النقي طلحة بن عبيد الله التيمي عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد وولى الناس كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلًا منهم طلحة فأدركه المشركون فقال النبي ﷺ: «**مَن للقوم؟**» قال طلحة: أنا قال: «**كما أنت**» فقال رجل: أنا قال: «**أنت**» فقاتل حتى قتل ثم التفت فإذا المشركون فقال: «**مَن لهم؟**» قال طلحة: أنا قال: «**كما أنت**» فقال رجل من الأنصار: أنا قال: «**أنت**» فقاتل حتى قتل فلم يزل كذلك حتى بقى مع النبي ﷺ طلحة فقال: «**مَن للقوم؟**» قال طلحة: أنا فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى قطعت أصابعه فقال: حَسّ فقال رسول الله ﷺ: «**لو قلت: بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون، ثم رد الله المشركين**»(١).

وقد سبق ذكر حديث البخاري عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ﷺ يوم أحد.

وهذا عمرو بن الجموح رضي الله عنه ينهض ويبادر إلى الجنة بهمة وثابة ويقين عظيم برغم أن الله قد عذره وذلك لأنه كان شديد العرج. ولكن أنَّى للقلوب التي ذاقت حلاوة الإيمان أن يهدأ لهيب حبها لدينها؟! أنى للقلوب اليقظة النيرة أن تقنع براحة

---

(١) رواه الحاكم (٣/ ٣٦٩)وصححه الألباني بمجموع طرقه في «الصحيحة» رقم (٢١٧١).

عاجلة؟! لقد كان عمرو بن الجموح رضي الله عنه أعرج شديد العرج وكان له أربعة أبناء شباب يغزون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أحد أراد أن يخرج معه فقال له بنوه: إن الله جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك وقد وضع الله عنك الجهاد. فأتى عمرو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن بني هؤلاء يمنعونني أن أجاهد معك، ووالله إني لأرجو أن أستشهد فأطأ بعرجتي هذه في الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد**» وقال لبنيه: «**وما عليكم أن تدعوه لعل الله - عز وجل - أن يرزقه الشهادة**». فخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل يوم أحد شهيدًا[(١)].

قال سعد بن أبي وقاص: لقيت عبد الله بن جحش يوم أحد فقال: يا سعد ألا تدعو الله عز وجل؟ فدعا عبد الله فقال: يارب إذا لقيت العدو غدًا فلقني رجلًا شديدًا بأسه أقاتله فيك ويقاتلني ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني؟ فإذا لقيتك غدًا قلت: يا عبد الله من جدع أنفك وأذنك فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت. قال سعدُ: فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط[(٢)].

أيها الإخوة! إن الآخرة خير وأبقى، ووعد ربنا أبر وأوفى. والساعة آتية لا ريب فيها، وليس لك بعد هذه الدنيا من دار إلا الجنة أوالنار فأي الدارين تختار؟! إنه لابد أن تصل إلى إحداهما ففيهما الخلود وفيهما البقاء فانظر كم رغبتك في الآخرة، وكم

---

(1) رواه ابن هشام (٢/ ١٣٩) وقال الألباني بهامش «فقه السيرة» (ص:٢٧٣): وهذا سند حسن إن كان الأشياخ من الصحابة وإلا فهو مرسل، وبعضه في «المسند» (٩/ ٢٩٩) من حديث أبي قتادة.... وسنده صحيح.

(2) «التبصرة» (١/ ٣٩٢).

حرصك عليها؟ وكم حبك للقاء الله - عز وجل - والشوق إلى رؤياه في جنات النعيم؟! «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**»(١). وكان من دعاء سيد الخلق رسول الله ﷺ أن يقول: «**وأسألك الشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة**»(٢).

وهذا موسى الكليم المحب لربه والذي ألقى عليه ربه محبة منه سبحانه يقول له ربه تعالى: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ [طه:٨٣-٨٤].

ومن سابق إلى ربه وبادر إليه وجد تكريم الله له، وحب الله له، ورضا الله عنه. ولن يجعل الله عبدًا أسرع إليه كعبد أبطأ عنه. وما يستوي أبدًا من بادر وعاجل إلى ما يرضي ربه ومن ارتكس في مهاوي التخاذل والتثاقل إلى شهوة نفسه وحظ ذاته، فبؤسًا وتعسًا لمن قدم رضا نفسه على رضا ربه جل جلاله! لقد ضرب الصحابة الكرام أروع الأمثلة وحققوا أصدق القدوات في الرغبة الحقيقية فيما عند الله والمسارعة إلى تحصيل ذلك بيقين وثبات وحسن بذل في سبيله سبحانه وبحمده، فأين موطنك أنت من هذه الرغبة؟! ما مدى رغبتك أنت فيما عند ربك ويقينك في ذلك وَبَذْلِكَ له؟! لابد من وثبة يقظةٍ، لابد من إفاقة من سكر الغفلة، وصحو من سبات الغرور الملهي. فهل آن لك أخي الحبيب! أن تقتدي بصحابة نبيك في ذلك؟! هل آن لك أن توقن بما عند ربك؟! لعله قد آن فهيا بادر واثبت وتوكل على ربك.

---

(1) متفق عليه. رواه البخاري برقم (٦٥٠٨)، ومسلم برقم (٦٩٩٨).

(2) رواه النسائي (١/ ٣٨٨)، والحاكم (٤/ ٤٤٧) وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» برقم (٢٤٩٧).

سادسًا - الأخوة الصادقة ونبذ الفرقة والاختلاف

في الأجواء الإيمانية وبين القلوب المخلصة التقية تنمو روح الأخوة وتزدهر معانيها وحقائقها، تأتلف القلوب وتتلاقى النفوس فترى المؤمنين جسدًا واحدًا، وبناءً متناسقًا، ترى حرص الأخ على أخيه وإيثاره له ومواساته ومشاركته في أفراحه وأتراحه، ونصيحته وحب الخير له، وترى مجتمعًا مثاليًا يحكمه قول ربنا جل وعلا: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ [الحجرات: ١٠]، وإنما توجد هذه الأخوة إذا حدث اعتصام حقيقي بدين الله، وإذا ضعف الإيمان في القلوب توارت الأخوة وحل التفرق والاختلاف قال الله جل جلاله: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾

[آل عمران: ١٠٣]

وها هو النبي ﷺ يؤصِّل ويؤسِّس في نفوس صحابته الكرام هذا المعنى العظيم حتى أشرقت قلوبهم بنوره وتلألأت أخلاقهم بضيائه فلم يُرَ في تاريخ بني آدم صورًا تتألق بروح الأخوة كما وجد بين هذا الجيل الفريد الذي رباه رسول الله ﷺ.

من ذلك أن رسول الله ﷺ قال: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا وشبك بين أصابعه»**(١) وورد في الصحيحين كذلك من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**(٢).

---

(1) متفق عليه. رواه البخاري برقم (٢٤٤٦)، ومسلم برقم (٢٥٨٥).

(2) متفق عليه. رواه البخاري برقم (٦٠١١)، ومسلم برقم (٢٥٨٦).

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه؛ كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة؛ فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة**»[1].

ويبين النبي صلى الله عليه وسلم أن من أعظم المنن على العبد أن يرزق الحب في الله فالحب في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان، وبالحب في الله يجد المرء حلاوة الإيمان، وبالحب في الله يكون المرء يوم القيامة في ظل عرش الرحمن، وبالحب في الله يحبك ربك فهل بعد ذلك من فضل؟! وكل جملة من هذه الجمل يدل عليها أحاديث شهيرة ولكن تكفي بمجرد الإشارة.

وتعالوا نعرض صورًا رائعة ومشاهد ماتعة لروح الأخوة بين هذا الجيل رضي الله عنهم أجمعين لعلنا بهم نقتدي، وبمنهجهم نهتدي.ها هم الأنصار يضربون أروع الأمثلة في الحب الصادق والإيثار العظيم لإخوانهم المهاجرين حتى أثنى عليهم بذلك رب العالمين في كتابه المبين فقال وهو أصدق القائلين: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾

[الحشر: ٩]

(١) متفق عليه. رواه البخاري برقم (٢٤٤٢) ومسلم برقم (٢٥٨٠).

يقول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يحبون من هاجر إليهم» أي: من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم، وروى البخاري عن أبي هريرة قال قالت الأنصار: «اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: لا، فقالوا: أتكفوننا المؤنة ونشرككم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا»(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ أي: ولا يجدون في أنفسهم حسدًا للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة. وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ يعني حاجة أي يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدءون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك(٢).

يقول الدكتور العاني حفظه الله: «صورة خروج الأنصار للقيا إخوانهم من المهاجرين وترحابهم الغالي بهم وإيثارهم على أنفسهم»، هذا الحب الذي لا يجود بمثله الزمان ووقائعه التي هي أغرب من الخيال، وأحلى من سنة النوم لمن اكتحلت عيناه بالسهر الأيام والليالي الطوال، فمنهم من يعرض زوجاته على أخيه أيتهن أحب ينزل له عنها ... ماذا بعد هذا؟! هذا الحب لا لضيعةٍ سبق من المهاجرين إليهم، أوليدٍ كانت لهم عليهم إنما هو الحب في الله(٣) هذا هو الحب الصادق والإيمان بالله في صوره الرائقة التي لا تُدانى ولا تُسامَى، وهذا هو سعد بن الربيع بعد ما آخى الرسول ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف يعرض على عبد الرحمن نصف ثروته ويعلمه بأنه من

---

(1) رواه البخاري برقم (٣٧٨٢).

(2) «المصباح المنير» في تهذيب تفسير ابن كثير، بتصرف يسير (١٣٨٥/ ١٣٨٦).

(3) «ترطيب الأفواه» ١/ ٤٠٥ – ٤٠٦.

أكثر الأنصار مالًا يريد منه أن يأخذ شطر ماله ونفسه طيبة بذلك راضية به بل محبة لـه، ثم يعرض عليه إحدى زوجتيه من أعجبته منهما يطلقها له برغم ما أثر عن العرب مـن شدة الغيرة التي كانت الحروب تقام من أجلها، فما الذي دفـع سعدًا أن يعـرض على عبد الرحمن زوجتيه ويقول: انظر إليهما فأيتهما أعجبتـك أطلقهـا فـإذا انقـضت عدتُها تزوجتها؟! ولكن هذا النبل في الإيثار لاقى نبلًا في العفاف فإذا تعجبت من إيثار سعد فاعجب كذلك لعفة عبد الرحمن. وهذا هو الحديث كما رواه البخاري في صحيحه عـن أنـس بـن مالـك رضي الله عنه قـال: «قـدم علينـا عبـد الـرحمن بـن عـوف وآخـى النبـي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيـع وكـان كثـير المـال فقـال سـعد: «قـد علمـت الأنصار أني من أكثرهم مالًا سأقسم مـالي بينـي وبينـك شـطرين، ولي امرأتـان فـانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلَّت تزوجتها»، قال عبد الـرحمن: «بـارك الله لـك في أهلك» فلم يرجع يومئذ حتى أفضل شيئًا من سمن وأقط فلـم يلبـث إلا يـسيرًا حتـى جـاء رسـولَ الله صلى الله عليه وسلم وعليـه وضرٌ مـن صـفرة فقـال لـه رسـول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَهْيم؟**» قال: «تزوجت امرأة من الأنصار، قال: «**ما سُقْت فيها؟**» قال: وزن نواة من الذهب أو نواة من الذهب فقال: «**أولم ولو بشاة**»(١)

وهذا مشهد آخر قمة في الإيثار وصدق الأخوة في الله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من يضم أو يضيف هذا؟**» فقال رجل من الأنصار: أنا فانطلق به إلى امرأتـه، فقـال: أكرمـي ضـيف رسـول الله صلى الله عليه وسلم،

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٧٨١).

فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاءً، فهيئت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعل يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين.

فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: «**ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما**» **فأنزل الله**: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] [(١)].

وذلك مشهد آخر يحدث في النفس دهشة عجيبة وذلك في موقعة اليرموك والحادثة شهيرة معروفة عن ابن الأعرابي قال: «استشهد باليرموك عكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، وجماعة من بني المغيرة، فأُتوا وهم صرعى بماء فتدافعوه حتى ماتوا ولم يذوقوه، أُتي عكرمة بالماء فنظر إلى الحارث بن هشام ينظر إليه فقال: ابدءوا به، فنظر سهيل إلى الحارث ينظر إليه فقال: ابدءوا بهذا، فماتوا كلهم قبل أن يشربوا، فمر بهم خالد بن الوليد فقال: بنفسي أنتم» [(٢)].

وعن حذيفة العدوى قال: «انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمٍّ لي ومعي شيءٌ من ماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، ومسحت به وجهه فإذا أنا به فقلت: أسقيك؟ فأشار إليَّ أن نعم فإذا رجل يقول: آه، فأشار ابن عمي إليه أن انطلق به إليه، فجئتُه فإذا هو هشام بن العاص، فقلت: أسقيك؟ فسمع به آخر فقال: آه، فأشار هشام

---

(1) رواه البخاري برقم (٣٧٩٨).

(2) «مواقف إيمانية» للدكتور أحمد فريد (٤٩٦) ونسبه للتبصرة لابن الجوزي(٢/ ٢٥٩).

انطلق به إليه فجئته فإذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات رحمة الله عليهم أجمعين[(١)].

إنها روح الأخوة التي تسري بين المؤمنين وتنبض في قلوبهم، ها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحب ألف أخ في الله يقول محارب بن دثار: سمعتُ عمر بن الخطاب يقول: «لقد أحببت في الله - عز وجل - ألف أخ كلهم أعرف اسمه واسم أبيه واسم قبيلته وأعرف مكان داره».

قال محارب: حيث قال: أعرف مكان داره علمتُ أنه كان يزورهم ويأتيهم[(٢)].

وخرج عمر رضي الله عنه ذات ليلة في سواد الليل فرآه طلحة فذهب عمر فدخل بيتًا ثم دخل بيتًا آخر فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا عجوز عمياء مقعدة فقال: ما بال الرجل يأتيك؟! قالت: إنه يتعاهدني من كذا وكذا يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى، فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة أعثرات عمر تُتَّبع؟![(٣)].

وعن أبي محذورة قال: كنتُ جالسًا عند عمر رضي الله عنه إذ جاء صفوان بن أمية بجفنه يحملها نفرٌ في عباءة فوضعوها بين يدي عمر رضي الله عنه فدعا عمر ناسًا مساكين وأرقاء من أرقاء الناس حوله فأكلوا معه ثم قال عند ذلك: لاحيَّ الله قومًا يرغبون عن أرقائهم أن يأكلوا معهم! فقال صفوان بن أمية: أما والله لا نرغب عنهم ولكنا نستأثرعليهم، ولا نجد والله من الطعام الطيب ما نأكل ونطعمهم[(٤)].

---

(1) «الإحياء» للغزالي ٣/ ٢٧٤.

(2) كتاب «الإخوان» لابن أبي الدنيا (١١٢) نقلًا عن «ترطيب الأفواه» (١/ ٣٧١).

(3) «الحلية» لأبي نعيم (١/ ٤٨).

(4) رواه البخاري في «الأدب المفرد» وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٩٣).

وعن زيد بن وهب قال: خرج عمر رضي الله عنه ويداه في أذنيه وهو يقول: يالبيكاه! يالبيكاه! قال الناس: ما له؟! قال: جاءه بريدٌ من بعض أمرائه أن نهرًا حال بينهم وبين العبور ولم يجدوا سفنًا، فقال أميرهم: اطلبوا لنا رجلًا يعلم غور الماء فأتى بشيخ فقال: إني أخاف البرد «وذلك في البرد» فأكرهه فأدخله، فلم يُلبثه البرد، فجعل ينادي: يا عُمراه ... يا عُمراه، فغرق، فكتب إليه فأقبل فمكث أيامًا معرضًا عنه وكان إذا وجد على أحد منهم فعل به ذلك ثم قال: ما فعل الرجل الذي قتلته؟! قال: يا أمير المؤمنين ما تعمَّدتُ قتله، ولم نجد شيئًا نعبر فيه وأردنا أن نعلم غور الماء ففتحنا كذا وكذا وأصبنا كذا وكذا (أي: من الغنيمة) فقال عمر: لَرَجلٌ مسلم أحب إليَّ من كل شيء جئت به، ولولا أن تكون سنة لضربت عنقك، اذهب فأعط أهله ديته واخرج فلا أراك[1].

وانظر حينما يتمنى عمر ماذا يتمنى؟ وكيف يكون حبه لإخوانه رضي الله عنهم.

قال عمر لأصحابه يومًا تمنوا، فقال بعضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهبًا أنفقه في سبيل الله وأتصدق.

وقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة زبرجدًا وجوهرًا فأنفقه في سبيل الله وأتصدق.

ثم قال عمر: تمنوا، قالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين، فقال عمر: أتمنى لو أنها مملوءة رجالًا مثل أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة وحذيفة ابن اليمان[2].

---

(1) رواه البيهقي (٨/ ٣٢٢).

(2) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٢٦) وصححه ووفقه الذهبي.

وهذا أسد الله الغالب علي بن أبي طالب لما طُعِن فاروق الأمة عمر بن الخطاب ووضع على سريره ليدفن إذ بعلي رضي الله عنه يظهر مدى حبه وأسفه وحزنه على موت عمر رضي الله عنهما كما في الصحيحين عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم فلم يرعني إلا رجلٌ أخذ منكبي فإذا علي بن أبي طالب فترحَّم على عمر وقال: ما خلَّفت أحدًا أحب إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبتُ أني كنتُ كثيرًا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**ذهبتُ أنا وأبو بكر وعمر، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر، وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر**»[(١)].

ومن حب علي رضي الله عنه لأبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة سمَّي أبناءه بأسمائهم.

لقد تزوَّج علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد فاطمة رضي الله عنها عدة نساء أنجبن له عددًا من الأبناء منهم عباس بن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن علي بن أبي طالب، وجعفر بن علي ابن أبي طالب، وعثمان بن علي بن أبي طالب، وأمهم هي أم البنين بنت حزام بن دارم.

ومن أبنائه كذلك عبيد الله بن علي بن أبي طالب، وأبو بكر بن علي بن أبي طالب، وأمهم هي ليلى بنت مسعود الدارمية.

ومن أبنائه كذلك يحيى بن علي بن أبي طالب، محمد الأصغر بن علي بن أبي طالب، وعون بن علي بن أبي طالب، وأمهم هي أسماء بنت عميس.

---

(1) متفق عليه. رواه البخاري برقم (٣٦٨٥) ومسلم برقم (٢٣٨٩).

ومن أبنائه كذلك رقية بنت علي بن أبي طالب، وعمر بن علي بن أبي طالب الذي توفي في الخامسة والثلاثين من عمره، وأمهما هي أم حبيب بنت ربيعة[١].

وجديرٌ بنا في هذا المقام أن أذكر أُخوَّة الصديق لعلي بن أبي طالب وكيف كان صفاء الأخوة بينهما رضي الله عنهما روى البخاري في صحيحه عن عقبة بن الحارث رضي الله عنه قال: صلى أبو بكر العصر ثم خرج يمشي فرأى الحسن يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه وقال: بأبي شبيه بالنبي لا شبيهًا بعلي، وعليٌّ يضحك[٢].

وتأمل هذا المشهد المؤلم للقلب الحي حينما يرى عليٌّ أخاه طلحة وقد قُتِل فيزداد ألمه ويعظم كربه وحزنه على أخيه كما ذكر طلحة بن مطرف أن عليًا انتهى إلى طلحة وقد مات، فنزل عن دابته وأجلسه ومسح الغبار عن وجهه ولحيته وهو يترحم عليه وقال: ليتني مت قبل هذا بعشرين سنة[٣].

وها هو الحب المتأصل في قلوب هؤلاء الصادقين يبرز في المواقف في دفاع بعضهم عن بعض بالغيب، عن عامر بن سعيد قال: أقبل سعد من أرض له فإذا الناس عكوفٌ على رجل فاطلع فإذا هو يسب طلحة والزبير وعليًّا فنهاه فكأنما زاده إغراء فقال: ويلك ما تريد إلا أن تسب أقوامًا هم خير منك لتنتهين أو لأدعون عليك.

---

(1) «أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق» للشيخ سليمان الخراشي (٨٠٧) وقد أرجع الشيخ هذا الكلام لمراجع شيعية وجعلها دليلًا على بطلان مذهبهم فقال: هل يسمى أب فلذة كبده بأعدى أعدائه كما يزعمون؟ وهل يسمي الإنسان العاقل أحباءه بأسماء أعدائه؟ وهل تعلمون أن عليًّا هو أول قرشي يسمي أبا بكر وعمر وعثمان؟!. وهذه الرواية بالطبع ثابتة عند أهل السنة.

(2) رواه البخاري برقم (٣٥٤٢).

(3) قال الهيثمي في «المجمع»، رواه الطبري وإسناده حسن (٩/ ١٥٠).

فقال: هيه فكأنما تخوفني نبيًا من الأنبياء فانطلق فدخل دارًا فتوضأ ودخل المسجد ثم قال: اللهم إن كان هذا سب قومًا قد سبق لهم منك خير أسخطك سبه إياهم فأرني اليوم به آية تكون للمؤمنين. قال: وتخرج بُخْتية من دار بني فلان نادَّة لا يردها شيء حتى تنتهي إليه ويتفرق الناس عنه فتجعله بين قوائمها فتطؤه حتى طفئ قال: فأنا رأيته يتبعه الناس ويقولون: استجاب الله لك يا أبا إسحاق، استجاب الله لك يا إبا أسحاق[(١)].

ولما حج معاوية رضي الله عنه سلم عليه الحسن بن على رضي الله عنه وأخبره بدينه فمروا ببختي عليه ثمانون ألف دينار وهو يضلع وهم يزجونه فقال معاوية: ما هذا؟ قالوا: أعيا وعليه المال ونحن نزجُّه ليلحق فقال: اصرفوه إلى أبي محمد، فدفعه إليه وعليه ثمانون ألف دينار[(٢)].

يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لقد رأيتنا وما أحدنا أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم[(٣)].

قال مجاهد: صحبت ابن عمر وأنا أريد أن أخدمه فكان يخدمني أكثر[(٤)].

وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يتزوج أسماء بنت عُميس ليقوم على أمرها وأمر صغارها بعد مقتل زوجها جعفر الطيار في سرية مؤتة.

---

(1) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٤:٧٢).

(2) «لباب الأدب» (ص:٨٧) نقلًا عن «ترطيب الأفواه» (٢/ ٢١٥) يضلع أي يحمل حملًا ثقيلًا أضلع الحمل الدابة أي أثقلها انظر المعجم الوجيز صـ٣٨١.

(3) «التبصرة» لابن الجوزي (ص:٦٣٨) ط. دار الحديث.

(4) «السابق» (ص:٦٣٥).

وهذا عبد الرحمن بن عوف يتزوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط التي هاجرت من مكة وحدها سرًا ليقوم عليها فلا تضيع ولا تُفتن[(١)].

كانت صدور الصحابة سليمة ونياتهم خالصة وأخوتهم صادقة متجذرة في نفوسهم حتى وإن اعتراهم ما يعتري سائر الناس من غضب بشري واختلاف في الآراء والمذاهب لكن تبقى الأخوة بينهم متألقة شامخة سامقة لا تنقصها الزعازع ولا تؤثر فيها أقوال الوشاة.

قال إياس بن معاوية: كان أفضلهم عندهم - أي عند الصحابة - أسلمهم صدرًا وأقلهم غيبة[(٢)].

وعن طارق بن شهاب قال: كان بين خالد وسعد كلام فذهب رجل يقع في خالدٍ عند سعد فقال: مه! إن ما بيننا لم يبلغ ديننا[(٣)].

وسمع عمار بن ياسر رضي الله عنه رجلًا ينال من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقال له: اسكت مقبوحًا منبوحًا فأشهد أنها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة وفي رواية: اغرب مقبوحًا أتؤذي محبوبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟![(٤)].

وكان الصحابة يكرهون الخلاف جدًا ويعلمون أنه شر. والله - جلَّ جلاله - يقول: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦]. أي: قوتكم. فالتنازع والاختلاف يؤدي حتمًا إلى الفشل وذهاب القوة وحلول الضعف في

---

(1) «التربية على منهج أهل السنة» للشيخ أحمد فريد (ص:٥٦).

(2) «حلية الأولياء» (٣/ ١٢٥).

(3) «حلية الأولياء» (١/ ٩٤).

(4) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٨/ ٦٥).

صفوف الأمة ولا يمكن أبدًا أن تتأتى الانتصارات المتلاحقة لطائفة متنازعة مختلفة لذلك فإن من أول الأدلة على وحدة الصحابة وقوة اتحادهم وتآخيهم وعدم اختلافهم تلك الانتصارات الرائعة التي دمدموا بها عروش الكفر، ودمروا الممالك المهيبة في ذلك الزمان ورفعوا راية التوحيد خفاقة عالية على ربوع الأرض تشهد بصدق بذلهم وإخلاصهم في نصرة دينهم، وتدل على قوة الأواصر بينهم حيث لم تعرف الدنيا جيلًا تمتع بهذا الحب والترابط كما عرفته في حياة الصحابة الكرام الأعلام. ولئن روج الأفاكون لأباطيل ملفقة ينسبونها إلى الصحابة فإنا نقول: كذبتم، وافتريتم وبئس ما زعمتم وإلا فأرونا في أرض الواقع سيرة كسيرة هؤلاء الأفذاذ الأبطال الذين امتلأت مسامع الزمان بروائع بذلهم وعظمة نجاحهم في نشر دين الله في الأرض والتمكين لكلمة التوحيد في واقع كان مشحونًا بالكفر بالله جل جلاله.

وهذه كلمات نيرة من كلماتهم، ومواقف مشرقة من مواقفهم تترجم تلك المعاني.

عن أبي مسعود رضي الله عنه **قال**: اتقوا الله واصبروا حتى يستريح بَرٌّ أو يستراح من فاجر، وعليكم بالجماعة؛ فإن الله لا يجمع أمة محمدٍ صلى الله عليه وسلم على ضلالة[(١)].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: يا أيها الناس، عليكم بالطاعة والجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به، وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة[(٢)].

ولما أتمَّ عثمان بن عفان رضي الله عنه الصلاة بمنى أربع ركعات خلافًا لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما عجب الصحابة من صنيعه ذلك

(1) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨/ ٦٠٤).

(2) رواه الآجري في «الشريعة» (١/ ١٢٣) رقم (١٧).

حتى إن ابن مسعود رضي الله عنه استرجع وقال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين، وصليت مع أبي بكر رضي الله عنه بمنى ركعتين، فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان[1].

وفي رواية أنه صلى أربعًا فقيل له: عبت على عثمان ثم صليت أربعًا، قال: الخلاف شر[2].

وعن عبيد الله بن عدي بن الخيار أنه دخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو محصور فقال: إنك إمام عامة، ونزل بك ما نرى، ويصلي لنا إمام فتنة ونتحرّج، فقال: الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم[3].

قال مسلم: كنا مع ابن الزبير والحجاج محاصره، وكان ابن عمر يصلي مع ابن الزبير فإذا فاتته الصلاة معه وسمع مؤذن الحجاج انطلق فصلى معه، فقيل: لم تصلي مع ابن الزبير ومع الحجاج فقال: إذا دعونا إلى الله أجبناهم وإذا دعونا إلى الشيطان تركناهم، وكان ينهى ابن الزبير عن طلب الخلافة والتعرض لها[4].

ومن ذلك جاء عن علي رضي الله عنه **قال**: اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف، حتى يكون للناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي.

---

(1) رواه البخاري في «صحيحه» (٢/ ٦٥٦) مع الفتوح.

(2) رواه أبو داود برقم (١٩٦٠) وصححه الألباني في «صحيح السنن» أبي داود برقم (١٧٢٦).

(3) رواه البخاري في «الصحيح» برقم (٦٩٥).

(4) «العزلة» (ص١٥) نقلًا عن «بصائر في الفتن» للدكتور المقدم (ص١١٤).

وسأل ابن الكواء وهو رجل من الخوارج، عليًا عن السنة والبدعة وعن الجماعة والفرقة فقال: يا ابن الكواء حفظت المسألة فافهم الجواب: السنة والله سنة محمد ﷺ والبدعة ما فارقها، والجماعة والله مجامعة أهل الحق، والفرقة مجامعة أهل الباطل وإن كثروا[1].

نعم إنها الأخوة والألفة والمودة، والتلاحم والتراحم، والتعاطف والترابط والتعاون الذي لم يطلع صبح نهارٍ على مثله في واقع هذه الحياة كيف لا وقد مدحهم بذلك ربهم العليم الخبير الذي يعلم النوايا وما تخفيه الصدور، مدحهم ربهم وأثنى عليهم بهذه المرحمة العظيمة التي كانوا عليها فيما بينهم فقال جل جلاله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩].

وإذا كانت الأخوة الصحيحة لا توجد إلا في بيئة إيمانية صحيحة فكيف تكون الأخوة بين أعلى الخلق إيمانًا؟! من في البشر أحق بها منهم؟! من في الناس أولى بها منهم؟! إن الأخوة الإيمانية لم تتجلى في أسمى معانيها إلا في حياة هؤلاء السادة الأنقياء الأتقياء الأوفياء، أولئك الذين تضلعوا بأطيب الأخلاق من إمام المتقين محمد ﷺ إنهم وردوا الماء عذبًا صافيًا، وارتشفوا من معينه الخالص النقي القراح حيث لم يشبه كدر أو يعكره سوء أو شطط.

فكانوا على الصراط المستقيم والمنهاج الأخلاقي القويم، وتذوقوا من معاني الإيمان ما لم يذقه بشر من بعدهم حتى الآن، وارتسمت في حياتهم الأخلاق السوية التي هي أسمى وأعلى ما وصلت إليه البشرية فهم قادة الدنيا وسادة البشر في أبواب

---

(1) «التربية على منهج أهل السنة» للشيخ أحمد فريد (ص٥٣).

الخير وميادين الفضل والهدى بعد أنبياء الله ورسله، فرضي الله عن هؤلاء الذين كانوا إخوانًا متصافين، وأحبةً متوادين، وكانوا على الحق مؤتلفين مجتمعين حتى أعزَّ الله بهم هذا الدين، ولن تحصل هذه الأمة على العزة والتمكين إلا إذا سلكت درب هؤلاء المتقين، وتمسكت بالألفة والوحدة والاجتماع على هذا السبيل المبين، ومن ضل عنه كان من الهالكين المختلفين المتشرذمين، فانظر أين نحن منه؟! وسلوا أنفسكم في تصرفاتكم عنه، وكل خير في اتباع من سلف.

سابعًا - حسن أخلاقهم ونُبل شمائلهم

قال رسول الله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**»[(١)].

لقد كان الصحابة أحسن الناس أخلاقًا بعد الأنبياء، كانت أخلاقهم هي أنبل الأخلاق وأشرفها وأكملها وأعظمها، ولعظمة أخلاقهم وحُسن سمتهم استحقوا أن يثني عليهم بذلك ربهم جل جلاله، فالله - عز وجل - يقول فيهم: ﴿**أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ**﴾ [الفتح: ٢٩]، ويقول - عز من قائل، سبحانه وتعالى - في الأنصار: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ [الحشر: ٩].

هنا ثناء من الله، وتزكية من الله، ومدح من الله لأخلاق الصحابة التي ارتضاها منهم ربهم، وحقًا أقول: إننا لو أردنا أن نذكر مواطن حسن أخلاقهم لطال بنا المقام جدًا، ولكني سوف أقتصر على بعض الصور المتحدثة والمواقف الناطقة التي تتألق بعظمة أخلاقهم وما أحوجنا في هذه الأيام إلى تذكر وتذاكر مثل هذه الأخلاق رضي الله عنه.

---

(١) رواه الترمذي برقم (١١٦٢) وصححه الألباني.

o p e i k a n d i . c o m

من أخلاق الصديق

هذا هو أبو بكر قمة في التواضع، وقمة في الشجاعة، وقمة في الصدق حتى يصاحبه هذا اللقب طيلة عمره وبعد وفاته ويعرف به على مدار الزمان إنه الصِّديق، والصديقية هي أعلى مراتب الصدق، وانظر لحسن أدبه مع رسول الله ﷺ وتواضعه رضي الله عنه.

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: كان قتالٌ بين بني عمرو فبلغ ذلك النبي ﷺ فصلى الظهر ثم أتاهم يصلح بينهم، فلما حضرت صلاة العصر فأذن بلال وأقام وأمر أبا بكر فتقدم وجاء النبي ﷺ وأبو بكر في الصلاة فشق الناس حتى قام خلف أبي بكر فتقدم في الصف الذي يليه قال: وصفَّح القوم وكان أبو بكر إذا دخل في الصلاة لم يلتفت حتى يفرغ، فلما رأى التصفيح لا يمسك عليه التفت فرأى النبي ﷺ خلفه فأومأ إليه النبي ﷺ أن امضه وأومأ بيده هكذا ولبث أبو بكر هُنيَّةً يحمد الله على قول النبي ﷺ ثم مشى القهقرى فلما رأى النبي ﷺ ذلك تقدَّم فصلى النبي ﷺ بالناس فلما قضى صلاته قال: يا أبا بكر ما منعك إذ أومأتُ إليك أن لا تكون مضيت؟ قال: لم يكن لابن أبي قحافة أن يؤم النبي ﷺ وقال للقوم: «**إذا نابكم أمرٌ فليسبح الرجال وليصفح النساء**»(١). تأمل وتدبر قوله: لم يكن لابن أبي قحافة أن يؤم النبي!.

وها هو رضي الله عنه يحفظ سر رسول الله ﷺ ويفي بذلك ويعلمنا درسًا عظيمًا في ذلك فالمجالس بالأمانة وإفشاء السر من شيم اللئام الخونة عياذًا بالله من

---

(١) رواه البخاري برقم (٧١٩٠)، ومسلم برقم (٤٢١).

ذلك؛ روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خُنَيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوفي بالمدينة فقال عمر بن الخطاب: أتيت عثمان بن عفان فعرضتُ عليه حفصة فقال: سأنظر في أمري. فلبث ليالي ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا.

قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر فصمت أبو بكر، فلم يرجع إليَّ شيئًا وكنت أوجد عليه منِّي على عثمان، فلبثت ليال، ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدتَ عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئًا قال عمر: قلت: نعم قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك شيئًا فيما عرضت عليَّ إلا أني كنت قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلتها[1]. ففي الحديث حفظ الصديق لسر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه حسن الاعتذار إليه بما يزيل وَجْد عمر عليه. ويطيب به قلبه رضي الله عنهما.

ومن حسن تواضعه ونجدته وتعاهده للضعفاء والفقراء ما أورده ابن الأثير في أسد الغابة عن أبي صالح الغفاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتعاهد عجوزًا كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل فيسقي لها، ويقوم بأمرها، فكان إذا جاء وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أراد إصلاحه، فجاءها غير مرة كلًا يسبق إليها

(1) رواه البخاري برقم (٥١٢٢).

فرصده عمر فإذا هو بأبي بكر الصديق الذي يأتيها وهو يومئذ خليفة فقال عمر: أنت هو لعمري وكان رضي الله عنه يحلب للحي أغنامهم فلما بويع له بالخلافة قالت جارية من الحي: الآن لا تُحلب لنا منائح (أغنام) دارنا فسمعها أبو بكر فقال: بلى لعمري لأحلبنها لكم، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن خُلق كنت عليه فكان يحلب لهم وربما قال للجارية من الحي: يا جارية أتحبين أن أرغي لك أو أصَرِّح؟ فربما قالت: أرغ. وربما قالت: صرح فأي ذلك قالت فعل(١).

ومثل ذلك ما ورد عن سعيد بن المسيب أن أبا بكر رضي الله عنه لما بعث الجنود نحو الشام أمَّر يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشُرحْبِيل بن حسنة . ولما ركبوا مشي أبو بكر مع أمراء جنوده يودعهم حتى بلغ ثنية الوداع فقالوا: يا خليفة رسول الله، تمشي ونحن ركبان؟! فقال: إني أحتسب خُطَاي هذه في سبيل الله(٢).

وتأمل كيف يكظم غيظه ويستجيب لأمر الله - عز وجل - كما سبق في قصة عفوه عن مسطح بن أثاثة ورد النفقة عليه، ومن صور كظمه لغيظه ومن شواهد البركة العظيمة التي وجدت في حياته ومن كرامة الله له في طعامه ما ورد في الصحيحين عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال: جاء أبو بكر بضيف له أو بأضياف له فأمسى عند النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء قالت أمِّي: احتبست عن أضيافك الليلة. قال: أو ما عشيتهم؟ قالت: عرضنا عليه أو عليهم فأبوا أو فأبى فغضب أبو بكر فسبَّ وجدع وحلف لا يطعمه فحلف الضيف أو الأضياف ألا يطعمه أو يطعموه حتى يطعمه فقال أبو بكر: كأن هذه من الشيطان فدعا بالطعام فأكل وأكلوا فجعلوا لا يرفعون لقمة إلا

---

(1) «أسد الغابة» (٣/ ٣٢٥) وقال ابن كثير: هذا سياق حسن وله شواهد من وجوه أخر.

(2) رواه البيهقي (٩/ ٨٥).

ربا من أسفلها أكثر منها فقال: يا أخت بني فراس ما هذا؟ فقالت: وقرة عيني إنها الآن لأكثر قبل أن نأكل فأكلوا وبعث بها إلى النبي ﷺ فذكر أنه أكل منها(١).

إنه موقف يشخص كرم الصديق ودعوته للضيفان، دعاهم رغم أنه كان في حاجة إلى أن يذهب إلى رسول الله ﷺ فأمر ولده بأن يُعشيهم وأبى الضيوف أن يأكلوا حتى يأتي الصديق فيغضب الصديق عندما يرجع متأخرًا ويعلم أن الضيوف لم يأكلوا وبعد فحلف الصديق ألا يأكل من هذا الطعام ثم حلف الأضياف ألا يأكلوا منه حتى يأكل هو منه وهنا غلب الصديق غضبه وقال: كأن هذه من الشيطان فدعا بالطعام فأكل وأكلوا ثم وجدوا بركة عجيبة في الطعام فما يأخذ واحدٌ منهم لقمة إلا ويزداد الطعام كأن لم يؤكل منه شيء بل تحلف امرأة الصديق أن الطعام قد زاد وكثر بعد أن أكل منه.

ومن أخلاق الصديق العظيمة ورعه الشديد عن الأكل مما فيه شبهة حرام بل يسارع باستقاءة ما دخل إلى جوفه من طعام ويلفظه حتى لا يحتوي بدنه على ذرة حرام كما روى البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان لأبي بكر غلامٌ يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يومًا بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه(٢). هذا هو الصديق أبر الناس وأوفى الناس وأحسن الناس خلقًا في هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ.

---

(1) رواه البخاري برقم (٦١٤١) ومسلم برقم (٢٠٥٧).

(2) رواه البيهقي (٩/ ٨٥).

من أخلاق الفاروق رضي الله عنه

وهذه لفتة فذة من حياة هذا العبقري الإمام الملهم المؤيد بالسداد والصواب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وأراني قبل سرد الأحداث ونشر العبير من حياة هذا الفاروق العالم العابد الزاهد أرى المواقف تتزاحم ويدفع بعضها بعضًا ليسجل كل موقف لنفسه مكانًا على هذه الصفحات كما سجل من قبل مكانًا ومكانة في سمع الزمان وتاريخ الأيام.

عمر شفيق بالمؤمنين رحيمٌ بإخوانه متواضعٌ لهم، ومن بديع مواقفه في ذلك أنه ما كان يولي على الناس إلا الرحماء الحكماء وأهل الرفق والسماحة وهذا من حرصه العظيم على رعيته من إخوانه المؤمنين، ومتى آنس عمر من والٍ قسوة وغلظة؛ عزله في التو واللحظة. كما روي البخاري في الأدب المفرد بسند حسن عن أبي عثمان قال: استعمل عمر رضي الله عنه رجلًا من بني أسد على عمل فدخل ليسلم عليه فأتى عمر ببعض ولده فقبله فقال الأسدي: أتقبل هذا يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما قبلتُ ولدًا لي قط فقال عمر: فأنت والله بأولاد الناس أقل رحمة لا تعمل لي عملًا أبدًا فردَّ عهده. أو قال: فما ذنبي إن كان الله - عز وجل - نزع الرحمة من قلبك، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ثم قال: مزق الكتاب فإنه إذا لم يرحم أولاده لا يرحم الرعية(١).

ومن جليل هذه المواقف أيضًا ما أورده البيهقي عن زيد بن وهب قال: خرج عمر رضي الله عنه ويداه في أذنيه وهو يقول: يالبيكاه! يالبيكاه! قال الناس: ما له؟ قال: جاءه بريد من بعض أمرائه أن نهرًا حال بينهم وبين العبور ولم يجدوا سُفنًا فقال أميرهم: اطلبوا لنا رجلًا يعلم غور الماء فأُتي بشيخ فقال: إني أخاف البرد وذلك في البرد فأكرهه

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» برقم (٩٩) وحسنه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» برقم (٧٢).

فأدخله فلم يُلبثه البرد فجعل ينادي: يا عمراه... يا عُمراه.......فغرق.

فكتب إليه فأقبل فمكث أيامًا معرضًا عنه، وكان إذا وجد على أحدٍ منهم فعل به ذلك ثم قال: ما فعل الرجل الذي قتلته؟

قال: يا أمير المؤمنين، ما تعمدتُ قتله، لم نجد شيئًا نعبر فيه وأردنا أن نعلم غور الماء ففتحنا كذا وكذا وأصبنا كذا وكذا - أي من الغنيمة - فقال عمر: لَرجلٌ مسلم أحب إليَّ من كل شيءٍ جئت به ولولا أن تكون سنة لضربتُ عنقك، اذهب فأعط أهله ديته واخرج فلا أراك(١).

ومن تواضعه رضي الله عنه ما ذكره عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: رأيتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على عاتقه قِرْبة ماء فقلت: يا أمير المؤمنين لا ينبغي لك هذا. فقال: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين دخلت نفسي نخوة فأردتُ أن أكسرها.

وورد عن عمر رضي الله عنه أنه قسَّم بين الصحابة حللًا فبعث إلى معاذ حلة ثمينة فباعها واشترى بثمنها ستة أعبد وأعتقهم. فبلغ ذلك عمر فبعث إليه حُلَّة دونها فعاتبه معاذ فقال عمر: لأنك بعت الأولى فقال معاذ: وما عليك؟! ادفع لي نصيبي وقد حلفتُ لأضربن بها رأسك فقال عمر: رأسي بين يديك وقد يرفق الشاب بالشيخ(٢).

وعن طارق بن شهاب قال: لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره، ونزع موقيه فأمسكهما بيده وخاض الماء ومعه بعيره فقال له أبو عُبيدة: قد صنعت اليوم صنيعًا عظيمًا عند أهل الأرض، صنعت كذا وكذا.

---

(1) أخرجه البيهقي (٨/ ٣٢٢) وقد سبق ذكره.

(2) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٣٠).

قال: فصكَّ في صدره وقال: أولو غيرك قالها يا أبا عبيدة إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس، فأعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما **قال**: قدم علينا عمر بن الخطاب - رضوان الله عليه - حاجًا فصنع له صفوان بن أمية طعامًا قال: فجاءوا بجفنة يحملها أربعة فوُضعت بين القوم فأخذ القوم يأكلون، وقام الخُدام فقال عمر: مالي أرى خدامكم لا يأكلون معكم، أترغبون عنهم؟! فقال سفيان بن عبد الله: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكننا نستأثر عليهم، فغضب عمر غضبًا شديدًا ثم قال: ما لقوم يستأثرون على خُدامهم؟ فعل الله بهم وفعل ثم قال للخدام: اجلسوا فكلوا، فقعد الخدام يأكلون، ولم يأكل أميرُ المؤمنين[(٢)].

وهذه صفحة ناصعة من عدل عمر وتواضع أبي سفيان بن حرب نقف من خلال هذا المشهد على عظمة هذا الدين وكيف صاغ هذه النفوس وصبغها بصبغته فعاشت به وله وعليه. فلله دَرُّهم!!

قال مجاهد: سار رجل من بني مخزوم إلى عمر يستعديه على أبي سفيان فقال: يا أمير المؤمنين إن أبا سفيان ظلمني حدي بمكة.

قال عمر: فأنا أعلم بذلك الحد ولربما لعبت أنا وأنت عليه ونحن غلمان فإذا قدمت مكة فأتني. قال: فلما قدم عمر مكة أتاه المخزومي وجيء بأبي سفيان فانطلق

---

(1) «البداية والنهاية» (٤/ ٦١).

(2) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» برقم (٢٠١) وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» برقم (١٤٨).

عمر معه على ذلك الحد فقال: غَيِّرْ يا أبا سفيان، فخذ هذا الحجر من ها هنا وضعه ها هنا فقال: والله لا تفعلن قال: والله لأفعلن.

قال: فعلاه عمر بالدرة ثم قال: خُذ لا أم لك قال: فأخذه أبو سفيان فوضعه في الموضع الذي أمره عمر قال: فكأنما عمر دخله مما صنع بأبي سفيان شيء فاستقبل البيت وقال: اللهم لك الحمد إذ لم تمتني حتى غلبت أبا سفيان على هواه وذللته لي بالإسلام قال: فاستقبل أبو سفيان البيت وقال: اللهم لك الحمد إذ لم تمتني حتى أدخلت قلبي من الإسلام ما ذللتني به لعمر[(١)].

أوفى جيل:

ها هو وفاء عمر وجود عمر وكرم عمر ونبل عمر في مشهد يدهش العقل واللب والفؤاد، وقد رواه البخاري في صحيحه من حديث زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى السوق فلحقت عمر امرأة شابة فقالت: يا أمير المؤمنين هلك زوجي وترك صبية صغارًا، والله ما ينضجون كراعًا ولا لهم زرعٌ ولا ضرع وخشيت أن تأكلهم الضبع وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاري، وقد شهد أبي الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسلم فوقف معها عمر ولم يمض، ثم قال: مرحبًا بنسب قريب، ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطًا في الدار فحمل عليه غرارتين ملأهما طعامًا، وحمل بينهما نفقة وثيابًا ثم ناولها بخطامه ثم قال: اقتاديه فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير. فقال رجل: يا أمير المؤمنين أكثرت لها. قال عمر: ثكلتك أمك، والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنًا فافتتحاه، ثم أصبحنا نستفيءُ سهمانا فيه[(٢)].

---

(1) أخرجه اللالكائي في «شرح الأصول» (٤/ ٣٣٠).

(2) رواه البخاري برقم (٤١٦٠).

ومن هذا النبع الصافي نبت هذا الخلق العظيم في ذرية عمر وبدت أنواره في خلق الإمام العالم الزاهد التقي القدوة عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن يشابه أباه فما ظلم. ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمار يتروَّح عليه إذا ملَّ ركوب الراحلة، وعمامة يشد بها رأسه. فبينا هو يومًا على ذلك الحمار إذ مَرَّ به أعرابي فقال: ألست ابن فلان ابن فلان؟ قال: بلى. فأعطاه الحمار فقال: اركب هذا وأعطاه العمامة وقال: اشدد بها رأسك، فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك، أعطيت هذا الأعرابي حمارًا كنت تروح عليه وعمامة كنت تشد بها رأسك؟ فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولِّي**» وإن أباه كان صديقًا لعمر رضي الله عنه [(١)].

وتلمح هذا الخلق خلق الوفاء كذلك في موقف جابر بن عبد الله رضي الله عنه لما توفي أبوه وترك له أخوات يحتجن إلى التربية والتعهد فيؤثر أن يتزوج امرأة ثيبًا لترعى أخواته وفاء منه لهن، وهذا الوفاء لا تعرفه إلا القلوب المؤمنة الموقنة بثواب الله ووعد الله جل جلاله.

والحديث أخرجه البخاري عن جابر رضي الله عنهما قال: هلك أبي وترك سبع بنات أو تسع بنات فتزوجت امرأة ثيبًا فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تزوجت يا جابر؟**» فقلتُ: نعم فقال: «**بكرًا أم ثيبًا؟**» قلت: بل ثيبًا قال: «**فهلاَّ جارية تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك؟**» قال: فقلت له: إن عبد الله هلك وترك بنات وإني كرهت أن أجيئهن بمثلهن فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحهن فقال: «**بارك الله لك أو قال خيرًا**» [(٢)].

---

(1) رواه مسلم برقم [٢٥٥٢].

(2) رواه البخاري برقم [٥٣٦٧].

إن الوفاء في حياة الصحابة النجباء الفضلاء هو السمت العام والصفة المميزة حيث لا يعرف الوفاء إلا من عرف الإيمان وعاش عليه، وبقدر ما يكون الإيمان في القلوب يكون الوفاء في النفوس، لذلك كان أولئك السادة العظماء هم أكمل الخلق في باب الأخلاق كافة وفي كل أبواب الخير والبر، لما مات الزبير بن العوام رضي الله عنه ترك عليه دينًا كبيرًا وقبل أن يموت أوصى ولده عبد الله بن الزبير بقضاء هذا الدين وأخبره أن ذلك هو أكبر همه حيث قال رضي الله عنه لابنه عبد الله: وإني لا أراني إلا سأقتل اليوم مظلومًا، وإن أكبر همّي لدَيْني أفترى يبقى ديننا من مالنا شيئًا، فقال: يا بني بع ما لنا فاقضِ ديني، وأوصى بالثلث وثلثه لبنيه يعني عبد الله بن الزبير يقول ثلث الثلث فإن فضل من ما لنا فضل بعد قضاء الدين فثلثه لولدك، قال هشام: وكان بعض ولد عبد الله قد وازى بعض بني الزبير خبيب وعباد، وله يومئذٍ تسعةُ بنين وتسع بنات قال عبد الله: فجعل يوصيني بدينه ويقول: يا بني إن عجزت عنه في شيء فاستعن عليه مولاي، قال: الله، قال: فو الله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلتُ: يا مولى الزبير اقض عنه دينه، فيقضيه، فقتل الزبير رضي الله عنه ولم يدع دينارًا ولا درهمًا إلا أرضين منها الغابة وإحدى عشرة دارًا بالمدينة، ودارين بالبحيرة ودارًا بالكوفة ودارًا بمصر، قال: وإنما كان دينه الذي عليه أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه، فيقول الزبير: لا ولكنه سلف فإني أخشى عليه الضيعة، وما ولي إمارة قط ولا جباية خراج ولا شيئًا إلا أن يكون في غزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم أو مع أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

قال: عبد الله بن الزبير: فحسبتُ ما عليه من الدين فوجدتهُ ألفي ألف ومائتي ألف؟ قال: فلقي حكيم بن حزام عبد الله بن الزبير فقال: يا ابن أخي، كم على أخي من

الدين؟ فكتمه فقال: مائة ألف فقال حكيم: والله ما أرى أموالكم تسعُ لهذه فقال له عبد الله: أفرأيت إن كانت ألفي ألف ومائتي ألف؟ قال: ما أراكم تطيقون هذا، فإن عجزتم عن شيءٍ منه فاستعينوا بي. قال: وكان الزبير اشترى الغابة بسبعين ومائة ألف، فباعها عبد الله بألف ألف وستمائة ألف. ثم قام فقال: من كان له على الزبير حق فليوافنا بالغابة فأتاه عبد الله بن جعفر وكان له على الزبير أربعمائة ألف فقال لعبد الله: إن شئتم تركتُها لكم قال عبد الله: لا فقال: إن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون إن أخرتم فقال عبد الله: لا قال: فاقطعوا لي قطعة فقال عبد الله: لك من هاهنا إلى هاهنا قال: فباع منها فقضى دينه فأوفاه وبقى منها أربعة أسهم ونصف فقدم على معاوية وعنده عمرو بن عثمان والمنذر بن الزبير وابن زمعة فقال له معاوية: كم قومت الغابة؟ قال: كل سهم مائة ألف. قال: كم بقى؟ قال: أربعة أسهم ونصف قال المنذر بن الزبير: قد أخذتُ سهمًا بمائة ألف قال عمرو بن عثمان: قد أخذتُ سهمًا بمائة ألف وقال ابن زمعة: قد أخذتُ سهمًا بمائة ألف. فقال معاوية: كم بقى؟ فقال: سهم ونصف. قال: أخذته بخمسين ومائة ألف. قال: وباع عبد الله بن جعفر نصيبه من معاوية بستمائة ألف. فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه قال بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثنا. قال: لا والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه فجعل كل سنة ينادي بالموسم فلما مضى أربع سنين قسم بينهم قال: فكان للزبير أربع نسوة ورفع الثلث فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف (١).

(١) رواه البخاري برقم [٣١٢٩].

هذه لمحات من الوفاء والصدق! تأمل موقف حكيم بن حزام رضي الله عنه وهو يقول لعبد الله بن الزبير: ما أراكم تطيقون هذا، فإن عجزتم عن شيء منه فاستعينوا بي.

وتأمل حرص الزبير نفسه على قضاء دينه بعد وفاته إذ يقول لولده: «وإن أكبر همي لديني».

وتلمح الوفاء أيضًا في قول عبد الله بن جعفر: إن شئتم تركتها لكم. قال عبد الله: لا قال: إن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون إن أخرتم. وتلمح هذا الوفاء في موقف عمرو ابن عثمان والمنذر بن الزبير، وابن زمعة ومعاوية حينما يتسابق كل واحد منهم ليشتري من الغابة سهمًا وقد لا يكون في حاجة إلى هذا الشراء ولكنها الأخوة والوفاء.

ثم ينبغي عليك أن تتأمّل مليًا كيف أن الله تعالى بارك في مال الزبير حتى قضى دينه وبقى منه الكثير حتى يبقى لكل امرأة من نسائه مليون ومائتا ألف بعد أن عُزل ثلث المال لإنفاذ الوصية التي أوصى بها الزبير رضي الله عنه.

إنها بركة عظيمة يجعلها الله تعالى في حياة من وقف نفسه على خدمة هذا الدين ونصرته فمن تولى الله تولاه الله وحفظه وسدَّده، فكن لله كما يريد يكن لك مثلما تريد وفوق ما تريد.

ثم لا يفوتني أن ألفت نظرك إلى موقف عبد الله بن الزبير الذي أصر أن ينادي في موسم الحج على مدار أربع سنوات: من كان له دين على الزبير فليأتنا. وهذا من كمال الوفاء والمبالغة في إبراء الذمة ولم نسمع قط أن أحدًا من الناس جاء فادعى على الزبير مالًا ليس له كما نرى في هذه الأيام كلا. فجزاء البرِّ برٌّ، وجزاء الإحسان إحسان، وجزاء الوفاء وفاء فطوبى لمن عاش في رحاب المتقين، وعايش أخلاقهم الكريمة!

صفحة من وفاء الصحابيات رضي الله عنهن:

إن الثبات على صدق الوفاء من أفضل ما تتحلى به النساء، وهذه لمحة نيرة نقدم فيها صورة ناصعة من وفاء الصحابيات، ولعل أهم ما نريد إبرازه في هذا الباب وفاء المرأة لزوجها فعسى أن يكون في ذلك عبرة وذكرى لأخواتنا في هذا العصر الذي نعيش فيه.

فمن ذلك موقف أسماء بنت عميس رضي الله عنها حيث أوصى أبو بكر الصديق أن تغسله امرأته أسماء بنت عميس ففعلت، وكانت صائمة، فسألت من حضر من المهاجرين وقالت: إني صائمة، وهذا يوم شديد البرد، فهل عليَّ من غُسل؟ فقالوا: لا وكان أبو بكر قد عزم عليها لما أفطرت وقال: هو أقوى لك. فذكرت يمينه في آخر النهار فدعت بماءٍ فشربت وقالت: لا أتبعه اليوم حنثاً (١).

ولما تسور المجرمون الفسقة على أمير البررة وقتيل الفجرة عثمان رضي الله عنه وتبادروه بالسيوف ألقت زوجته نائلة بنت الفُرافِصة بنفسها عليه حتى تكون وفاءً له من الموت، فلم يرع القتلة الآثمة حرمتها، وضربوه بالسيف ضربة انتظمت أصابعها ففصلتهن عن يدها، ونفذت إليه فجندلته ثم ذبحوه رضي الله عنه (٢).

وتأمل كيف يحرص الرسول صلى الله عليه وسلم على صقل هذا الوفاء والصدق حتى في التعامل مع الأطفال الصغار كما روى أبو داود بسند صحيح عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال: دعتني أمي يومًا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدٌ في بيتنا، فقالت: ها تعال

---

(1) رواه ابن سعد في «الطبقات» [٨/ ٢٠٨]

(2) «الدر المنثور في طبقات ربات الخدور» [ص:٥١٧] وهذا والذي قبله نقلًا عن عودة الحجاب [٢/ ٥٣٢-٥٣٣].

أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أما إنك لو لم تعطه شيئًا كتبت عليك كذبة**»(١).

ثم خذ إليك هذا المثل من حياة أمير المؤمنين الوفي، الصالح التقي، الأمين، كاتب الوحي، والمؤتمن على آيات القرآن، معاوية بن أبي سفيان كما روى الترمذي وأحمد وأبو داود بسند صحيح عن سليم بن عامر قال: كان بين معاوية وبين الروم عهدٌ، وكان يسير نحو بلادهم حتى إذا انقضى العهد غزاهم فجاء رجل على فرس أو برذون وهو يقول: الله أكبر الله أكبر، وفاءٌ لا غدر، فنظروا فإذا عمرو بن عَبَسة فأرسل إليه معاوية فسأله فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء**» فرجع معاوية(٢).

وهذا الرجوع استجابة فورية للسنة النبوية وتربية عملية للمسلمين على خلق الوفاء الذي رباهم عليه سيد الأنبياء عليه صلوات الله وسلامه.

ومن التربية النبوية على هذا الوفاء للصحابة الكرام ذلكم المشهد الذي حفر في ذاكرة التاريخ والذي يستحق أن يكتب بمداد من نور لتعي الدنيا ولتعلم أخلاق المؤمنين وهذا الموقف مروي في الصحيح من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: ما منعني أن أشهد بدرًا إلا أني خرجتُ أنا وأبي حسيل. قال: فأخذنا كفار وقريش قالوا: إنكم تريدون محمدًا؟ فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفنَّ إلى المدينة ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر. فقال: «**انصرفا، نَفِ لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم**»(٣).

---

(1) رواه أبو داود برقم [٤٩٩١] وحسنه الألباني في «الصحيحة» [٧٤٨].

(2) رواه الترمذي [١٥٨٠] وأبو داود [٢٧٥٩] وأحمد [٤/ ١١٣] وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» [٢٣٩٧].

(3) رواه مسلم برقم [١٧٨٧].

openkamo.com

غيرة منضبطة بالشرع

ومن الأخلاق الكريمة القويمة التي جعلها الله في قلوب المؤمنين وتبوأ الصحابة ذروتها خلق الغيرة قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المؤمن يغار والله أشد غيرًا**»(١). فالمؤمن يغار للحق الذي يعتقده، يغار لدينه ولا يرضى أن يمس الدين بسوء ولو كلفه ذلك بذل دمه. إن المؤمن لا يعرف الدياث الخلقية والبرودة الأرضية التي تتجاذبه عن نصرة الحق والدفاع عنه فإذا انضبط خلق الغيرة بأحكام الشرع الحكيم فهو من أهم الأخلاق التي تظهر حرارة الإيمان وتترجم عن الحب المكنون في الصدور ها هو الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما يسمع عروة بن مسعود يقول للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما أرى حولك إلا أوباشًا خليقًا أن يفروا ويدعوك. لم يتمالك الصديق حرارة الإيمان الفياضة في قلبه بل رد على هذا المشرك في التو ردًا حاسمًا مُسكتًا فقال: أنحن نفر وندعه، امصص بظر اللات(٢).

وها هو يثور وينتفض غيرةً لله حينما بلغه نبأ المرتدين وامتناعهم عن إيتاء الزكاة فسيَّر إليهم جيوشًا حتى ردهم إلى الصواب وحوزة الدين وأذهب من رءوسهم وساوس الشياطين. وهذا من كمال حسن الخلق أن يعطي كل موقف حقه المناسب فالشدة لها موطن واللين له موطن، فاستعمال أحدهما في موطن الآخر سوء خلق وسفه في العقل وبُعد عن هدى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وها هو الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعرف بالغيرة ويشتهر بها حتى يقرر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منامه ذلك المعنى كما في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر**

---

(1) رواه مسلم برقم [٢٧٦١].

(2) سيأتي تخريجه.

فذكرت غيرته فوليت مدبرًا» فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله ﷺ ؟! [1].

وها هو سعد بن عبادة رضي الله عنه يسطر صفحةً من الرجولة الفوارة، والنبل الخلقي الجاد كما روى البخاري ومسلم عن المغيرة قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: **«أتعجبون من غيرة سعد، والله لأنا أغير من سعد والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن»** [2].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن الحذف وقال: **«إنه لا يقتل الصيد ولا ينكأ العدو إنه يفقأ العين، ويكسر السن»**.

وفي رواية أن قريبًا لابن مغفل حذف فنهاه وقال: إن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف وقال: **«إنها لا تصيد صيدًا»** ثم عاد فقال: أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنه ثم عدت تخذف؟! لا أكلمك أبدًا.

وسيأتي معنا موقف ابن أم مكتوم كيف قتل من آذته في رسول الله ﷺ .

محبة وإيثار

إذا ذكر الإيثار ذكر الأنصار فقد امتدحهم ربهم العزيز الغفار في محكم الأخبار ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

---

(1) رواه البخاري برقم [٣٦٨٠] ومسلم برقم [٢٣٩٥].

(2) رواه البخاري برقم [٧٤١٦]، ومسلم برقم [١٤٩٩].

ومن المواقف التي تنبض بمعاني الإيثار في حياة الصحابة الأبرار ما يلي:

روى مسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت إلى فيها تمرة تأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها فذكرتُ الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار**»[1].

وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قلَّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم**»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من يضم أو يضيف هذا؟**» فقال رجل من الأنصار: أنا فانطلق به إلى امرأته فقال رجل من الأنصار: أنا فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول صلى الله عليه وسلم فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونوِّمي صبيانك إذا أرادوا عشاءً، فهيأت طعامها وأصبحت سراجها فأطفأته فجعلا يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما**»[3].

---

(1) رواه مسلم برقم [٢٦٣٠].

(2) رواه البخاري برقم [٢٤٨٦]، ومسلم برقم [٢٥٠٠].

(3) رواه البخاري برقم [٣٧٩٨].

البر وصلة الرحم والحلم والصفح

ومن صفحات البر بر أبي هريرة بأمه، ومن أعظم بره بها حرصه على هـدايتها إلى الإسلام وهذا هو أعظم البر بالأبوين الحرص على هدايتهم وبذل الوسع في ذلك قـال أبو هريرة رضي الله عنه: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوتها يومًـا فأسـمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي قلت: يا رسول الله إني كنتُ أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليَّ فدعتني اليوم. فأسمعتني فيك مـا أكره فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اللهـم اهـد أم أبي هريرة**»، فخرجت مستبشرًا بـدعوة رسـول الله صلى الله عليه وسلم فلـما جئـت فـصرتُ إلى الباب فإذا هو مجافٍ - أي: مغلق - فسمعت أمي خشف قدمي فقالت: مكانـك يـا أبـا هريرة، وسمعت خضخضة الماء قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عـن خمارهـا ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة أشـهد أن لا إلـه إلا الله وأشـهد أن محمـدًا عبـده ورسوله. قال: فرجعتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته وأنا أبكي من الفـرح قـال: قلت: يا رسول الله أبشر، قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرًا. قال: قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اللهم حبِّب عُبَيـدك هـذا** - يعنـي: أبا هريرة وأمه - **إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين**» فما خُلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني(١).

ومن حلمه رضي الله عنه ما رواه البخاري عنه في كتاب العتق قال: لما قدمتُ على النبي صلى الله عليه وسلم قلت في الطريق:

يـا ليلـة مـن طولهـا وعنائهـا ... على أنهـا مـن دارة الكفـر نجَّـت

---

(١) رواه مسلم برقم [٢٤٩١].

قال: وأبق لي غلامٌ فلما قدمت وبايعتُ إذ طلعَ الغلام فقال النبي ﷺ: «**هذا غلامك يا أبا هريرة؟**» قلتُ: هو حرٌّ لوجه الله فأعتقته [(١)].

يقول سالم: ما لعن ابن عمر خادمًا قط إلا واحدًا فأعتقه.

وعن زيد بن أسلم قال: جعل رجل يسب ابن عمر وابن عمر ساكت فلما بلغ داره التفت إليه فقال: إني وأخي عاصمًا لا نسبُّ الناس [(٢)].

وفي صحيح مسلم عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: خرجتُ أنا وأبي نطلب العلم في هذا الحي من الأنصار قبل أن يهلكوا فكان أول من لقينا أبا اليسر صاحب رسول الله ﷺ ومعه غلام له معه ضُمامة من صحف وعلى أبي اليسر بردة ومعافري وعلى غلامه بردة ومعافري فقال له أبي: يا عم، إني أري في وجهك سفعة من غضب قال: أجل، كان لي على فلان بن فلان الحرامي (من بني حرام) مال فأتيتُ أهله فسلمت فقلت: أثم هو؟ قالوا: لا. فخرج عليَّ ابنٌ له جفر فقلت: أين أبوك؟ قال: سمع صوتك فدخل أريكة أمي فقلت: اخرج إليَّ فقد علمت أين أنت، فخرج فقلت: ما حملك على أن اختبأت مني؟ قال: أنا والله أحدثك ثم لا أكذبك خشيت والله أن أحدثك فأكذبك، وأن أعدك فأخلفك، وكنت صاحب رسول الله ﷺ وكنتُ والله معسرًا قال: قلت: الله؟ قال: الله؟! قلت: الله قال: الله قلت: الله قال: فأتي بصحيفة فمحاها بيده فقال: إن وجدت قضاءً فاقض وإلا أنت في حلٍّ. فأشهد بصري عيني هاتين - ووضع أصبعه على عينيه - وسمع أذني هاتين

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٥٣١).

(٢) «الإصابة» لابن حجر [٤/ ١٥٨، ١٥٩].

ووعاه قلبي هذا رسول الله ﷺ وهو يقول: «**من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله**»(١).

ومن مشاهد البر بر حارثة بن النعمان بأمه فقد روى الإمام أحمد وغيره بسند صحيح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**نمتُ فرأيتني في الجنة فسمعت صوت قارئ يقرأ فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا حارثة بن النعمان**» فقال لها رسول الله ﷺ: «**كذاك البر كذاك البر وكان أبر الناس بأمه**»(٢).

وها هو حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يصفح عن إخوانه ويعفو عنهم ويستغفر لهم برغم أنهم قتلوا أباه خطأً وكان أبوه صحابيًا كريمًا من أصحاب رسول الله ﷺ. روى البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «لما كان يوم أحد هُزم المشركون هزيمة بينة فصاح إبليس: أي عباد الله أخراكم، فرجعت أولاهم على أخراهم فاجتلدت مع أخراهم، فنظر حذيفة فإذا هو بأبيه فنادى أي: عباد الله، أبي أبي فقالت: فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه فقال حذيفة: غفر الله لكم، قال أبي فوالله ما زالت في حذيفة منها بقية خير حتى لقي الله عز وجل»(٣).

ومن طيب أخلاقهم رضي الله عنهم كذلك دُعي عثمان رضي الله عنه إلى قوم على ريبة فانطلق ليأخذهم فتفرقوا قبل أن يبلغهم فأعتق رقبة شكرًا لله تعالى أن لا يكون جري على يديه خزي مسلم(٤).

---

(1) رواه مسلم برقم [٣٠٠٦]، وابن ماجه [٢٤٩١].

(2) رواه أحمد برقم [٦/ ١٥١]، والحاكم [٣/ ٢٠٨] وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ مصطفى العدوي في«الصحيح المسند» (ص:٣١٨).

(3) رواه البخاري برقم [٣٨٢٤].

(4) «عدة الصابرين» لابن القيم [ص:١١٢٨].

ومن حياء أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: إني لأغتسل في البيت المظلم فما أقيم صلبي حتى آخذ ثوبي حياء من ربي عز وجل.

وعن أنس قال: كان أبو موسى إذا نام لبس ثيابًا عند النوم مخافة أن تنكشف عورته.

وعن عبادة بن أنسي قال: رأى أبو موسى قومًا يقفون في الماء بغير أزر فقال: لأن أموت ثم أنشر ثم أموت ثم أنشر ثم أموت ثم أنشر أحب إليَّ من أن أفعل مثل هذا[(١)].

ومن مواقف الأخلاق العظيمة عفة عبد الرحمن بن عوف وإيثار سعد بن الربيع، وغيرة سعد بن عبادة، وغيرة الزبير بن العوام، وإيثار أبي عبيدة بن الجراح، وحلم الأحنف ومعاوية وغير ذلك من المواقف العظيمة التي يطول ذكرها عن أولئك السادة العظماء النجباء رضي الله عنهم أجمعين.

ولكن أين واقع الأخلاق في حياتنا نحن؟! أين حسن أخلاقنا في تعاملاتنا؟! إننا نعيش في عصر غيبت فيه معالم الأخلاق واندرست فيه كثير من أصولها فتجد الأنانية والطمع والحقد والحسد والبغضاء، والكيد، والغش، صارت هذه وغيرها من أصول التعامل بين الناس في هذه الأيام وقلما تجد الثقة، وقلما تجد الأمانة وكأننا في العصر الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة**»[(٢)].

أيها الإخوة، هذه لمحات عابرة كان المقصود منها إبراز الجانب الخلقي السامي العالي الكريم الذي كان عليه الصحابة الأبرار فما أحوجنا لدراسة وتعلم هذه الأخلاق

---

(1) «الحياء» للدكتور المقدم [ص:٢٩].

(2) رواه البخاري برقم [٥٩].

لاسيما ونحن في عصر اختلطت فيه الأوراق، وزاد فيه الاختلاف والشقاق وتعامل الناس فيه بالنفاق، وانمحت معالم الأخلاق النبوية في واقع حياتنا، ولابد أن ينتصر هدي الرسول وخلق الرسول على كل هدي وكل خلق ومبدأ، ينبغي أن يظهر ويبدو في أبناء الصحوة شدة التمسك بهدي الرسول ﷺ فخير الهدي هدي محمد، وخير الخلقُ ما كان عليه هو وأصحابه ﷺ.

ثامنًا - شجاعة الصحابة النادرة

أيها الإخوة، لازلنا في بستان الخلق العظيم الذي كان عليه هذا الجيل الكريم.

ومع خلق الشجاعة وقوة القلب نقف لنلمح صورة فذة ومثالًا عاليًا، وقدوة عظيمة، والشجاع يحبه ويحترمه كل أحد حتى عدوه والجبان يكرهه كل أحد حتى أمه. والشجاعة لابد لها من قوة قلب وإقدام في حكمة، وثبات في حماس ولعلك تجد هذا الخلق واضحًا في حياة الصديق حينما يصر على قتال المرتدين ويثور ثورة الليث الهصور حتى يتوارى الباطل وينزوي الضلال اتقاء لصولة الحق المتمثلة في موقف الصديق رضي الله عنه.

وتجد مثل هذا الموقف عند وفاة رسول الله ﷺ حين يقف الصديق ثابتًا صامدًا ويثبت قلوب المؤمنين بما يتلوه عليهم من كلام ربهم، ويقرر أنه لا بقاء إلا للحي الذي لا يموت سبحانه وبحمده.

وتلمحها في مواقف كثيرة من حياة الفاروق حتى إن شياطين الإنس والجن لتفر من طريق سلكه الفاروق.

وهذا جعفر بن أبي طالب الشهيد الطيار الذي يصبر على منازلة المنايا ويصمد تحت وقع السيوف والرماح حتى يتقطع جسده وينقطع ذراعاه ليثبت بدمه وروحه وجسده حبه لهذا الدين وانتماءه له فطوبى له وحسن مآب.

روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن قُتل زيدٌ فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحه**» قال عبد الله: كنتُ فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضعًا وتسعين من طعنة ورمية (١).

وفي لفظ: ليس منها شيءٌ في دبره: يعني في ظهره.

وهذا مشهد آخر من مشاهد الشجاعة في حياة هذا البطل وذلك عندما هاجر جعفر مع من هاجر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة ليكونوا في جوار النجاشي ذلكم الملك العادل فآلم ذلك قريشًا وأعملت كيدها ومكرها لترد هؤلاء المهاجرين فأرسلت عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة وزودتهما بالهدايا الكثيرة إلى النجاشي وبطارقته ولما قدما الحبشة قدما الهدايا الكثيرة إلى البطارقة ليؤثروا بدورهم على النجاشي ويشيروا عليه برد هؤلاء النفر من الصحابة الكرام. ثم قربا الهدايا إلى النجاشي فقبلها منهما ثم كلماه فقالا: أيها الملك، إنه قد صبأ إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينًا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

قالت أم سلمة رضي الله عنها: ولم يكن شيءٌ أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم، فقالت بطارقته حوله: صدقوا أيها الملك،

---

(١) رواه البخاري برقم [٤٢٦١].

قومهم أعلى بهم عينًا وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم قالت: فغضب النجاشي ثم قال: لاوايم الله! إذًا لا أسلمهم إليهما ولا أكاد قومًا جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم ما يقول هذان في أمرهم فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنتُ جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا فقال بعضهم لبعض: ماذا نقول لهذا الملك؟ ثم قالوا نقول ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ كائنًا في ذلك ما هو كائن فلما جاءوه وقد دعا النجاشي أساقفته ونشروا مصاحفهم حوله ليسألهم. فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحدٍ من هذه الأمم؟ قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له: أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله تعالى لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمر بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحُسن الجوار والكف عن المحارم والدم، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. قالت: فعددَّ عليه أمور الإسلام فصدَّقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حُرِّم علينا، وأحللنا ما أُحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا ففتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث.

ولما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟! قالت: قال جعفر: نعم. فقال له النجاشي: فاقرأه عليَّ فقرأ عليه صدرًا من (كهيعص) قالت: فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة. فانطَلِقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبدًا ولا أكاد قالت أم سلمة رضي الله عنها: فلما خرجنا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لآتينهم غدًا أعيبهم عنده ثم أستأصل به خضراءهم. قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا. لا تفعل فإن لهم أرحامًا وإن كانوا قد خالفونا. قال: والله لأخبرنه إنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عليه السلام عبد قالت: ثم غدا عليه الغد فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولًا عظيمًا فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه قالت: ولم ينزل بنا مثلها فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله فيه ما قال الله - سبحانه وتعالى - وما جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم كائنًا في ذلك ما هو كائن. فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قالت: فضرب النجاشي يده على الأرض فأخذ منها عودًا ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود. فناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال. فقال: وإن نخرتم والله. اذهبوا فأنتم سيومٌ والسيوم الآمنون من سَبَّكم غرم، ثم من سبكم غرم ثم من سبكم غرم فما أحب أن لي دير ذهب وأني آذيتُ رجلًا منكم (والدَّيْر

بلسان الحبشة الجبل) ردوا عليهما هداياهم فلا حاجة لنا بها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردَّ عليَّ ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع في الناس فأطيعهم فيه قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردودًا عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار(١).

شجاعة خالد الخالدة

وإذا ذكرت الشجاعة ذكر بذكرها البطل المجاهد المجالد صاحب المجد التليد خالد بن الوليد وعندما يريد المرء أن يتحدث عن شجاعة خالد ﷺ يتحيَّر فيما يريد أن يتخيَّر ومما يدهش اللب ويبهر العقل هذا الموقف الخالد لخالد يوم مؤتة حيث استطاع البطل المغوار أن يعيد دفة المعركة إلى هزيمة ساحقة ماحقة للروم وحتى تقف على ضراوة القتال وشدة النزال وروعة الشجاعة والثبات تأمل هذا الحديث الذي يرويه البخاري في صحيحه عن خالد ﷺ قال: لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقي في يدي منها إلا صفيحة يمانية.

لقد كان أعداء الإسلام يفزعون ويفرون إذا ذكر اسم خالد في جيش متجه إليهم كما في معركة الأبله وغيرها ومن أخبار شجاعته النادرة أنه شرب كأس السم فما ضره كما روى الإمام أحمد عن قيس قال: أُتي خالد بسُمٍّ فقال: ما هذا؟ قال: سمٌّ فشربه(٢).

وقد ذكر تفصيل هذه الحادثة في أمهات كتب التاريخ وذلك أن ابن بقيلة حكيم نصارى العرب، ومعمرهم وأرجح قومه عقلًا لما دخل على خالد اصطحب معه إلى

(1) رواه أحمد [٥/ ٢٩٠] وصححه الألباني في «فقه السيرة» [ص:١٢٣].

(2) رواه أحمد في «فضائل الصحابة» [١٤٨٢] وصححه شيخنا العدوي في «الصحيح المسند» [ص:٤١١].

مقر قيادة خالد خادمًا يحمل كيسًا صغيرًا في وسطه، فتناوله خالد فقال: ولم تحتقب السم؟ وكان رأس أهل الحيرة وكبير الذين فاوضوا خالدًا من أهل الحيرة قال عمرو: خشيت أن تكون على غير ما رأيت من العدل، وقد أتيت على أجلي والموت أحب إلي من مكروه أدخله على أهل قريتي، فأخذ خالدٌ السُّمَّ المذكور وتلا هذا الدعاء: إنها لن تموت نفسٌ حتى تأتي على أجلها، بسم الله خير الأسماء، رب الأرض والسماء، الذي لا يضر مع اسمه داء، الرحمن الرحيم - ثم وضع السم في فمه، وبادروه ليمنعوه ولكنه قد سبقهم فابتلعه، وانتظروا ساعة ليصرع السم خالدًا، فمضت ولم يضر السم خالدًا. كيف لا وهو من أكابر أولياء الله المتقين، وسيد المجاهدين في الشام والعراق فقال ابن بقيلة عندئذٍ: «والله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم»

قال الإمام الذهبي: قلت: هذه والله الكرامة وهذه الشجاعة(١).

ومن مواقفه العجيبة والنادرة في الشجاعة أنه التقى بقائد الفرس هرمز ولما التقى الجيشان دعا هرمز خالدًا للمبارزة وسرعان ما أجابه خالد ولكن هرمزًا الخبيث كان قد عهد على فرسانه عهدًا للغدر بخالد، فلما نزل خالد نزل هرمُز، ومشى إليه خالد فالتقيا فاختلفا ضربتين، واحتضنه خالد وحملت حامية هُرمز وغدرت فتعقبوا خالدًا، فما شغله ذلك عن الهرمزان، وحمل القعقاع بن عمرو على حامية هرمز فأبادهم جميعًا أما خالد فقد تمكَّن في الحال من ذبح هرمز ذبح النعاج، وركن الفرس إلى الفرار بعد قتل قائدهم، فركب المسلمون أكتافهم يقتلون ويأسرون إلى الليل ولم ينجُ من الفرس إلا من استطاع ركوب السفن، وجمع خالد الرثاث «المتاع» وفيها السلاسل فكانت وقر

---

(١) «السير للذهبي» [١/ ٣٧٦].

بعير ألف رطل، فسميت ذات السلاسل ونفَّل أبو بكر رضي الله عنه خالدًا قلنسوة هرمز وكانت قيمتها مائة ألف(١).

إن الحديث عن خالد بن الوليد يملأ القلب بالعزة يملأ النفس بالحماسة والشجاعة كيف لا وهو سيف الله المسلول الذي قوِّمت وأُدِّبت به ممالك الكفر، وتساقطت على يديه أساطير الضلال فرضي الله عن أبي سليمان، الذي كان ولا يزال قدوة للأبطال الشجعان.

صحابي يهزمُ جيشًا

إنه البطل المغوار العدَّاء السبَّاق الذي لا يُدْرَكُ، إنه الشجاع الفاضل الرامي المتقن، الخير التقي الذي يعجب لخبره كل من يسمع إنه سلمة بن الأكوع رضي الله عنه فتعال إلى صفحة رائعة من البطولة، تعال على الروعة والجلال والخبر العجيب لهذا الصحابي الحبيب وأرجو أن تُصغي بكل جوارحك لهذا الحديث الذي رواه مسلم وغيره عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أربع عشرة مائة وعليها خمسون شاة لا تُرويها قال: فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبا الركية(٢).

فإما دعا وإما بسق فيها قال: فجاشت فسقينا واستقينا قال: ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعانا للبيعة في أصل الشجرة قال: فبايعته أول الناس ثم بايع وبايع حتى إذا كان في وسط الناس قال: «**بايع يا سلمة**» قال: قلت: قد بايعتك يا رسول الله في أول

(1) «صلاح الأمة في علو الهمة» [٣/ ٥٥٢/ ٥٥٣] ط: دار الرسالة.

(2) جبا الركية: هي ما حول البئر، وجاشت: ارتفعت وفاضت وكثر ماؤها وبسق هي بصق بالصاد.

الناس قال: «وأيضًا» قال: ورآني رسول الله ﷺ عزلًا: «يعني ليس معه سلاح» قال: فأعطاني رسول الله ﷺ حجفة أو درقة[1] ثم بايع حتى إذا كان في آخر الناس قال: «**ألا تبايعني يا سلمة؟**» قال قلت: قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس وفي أوسط الناس قال: «**وأيضًا**» قال: فبايعتُه الثالثة ثم قال لي: «**يا سلمه، أين حجفتك أو درقتك التي أعطيتك؟**» قال: قلت: يا رسول الله لقيني عمي عامر عزلًا فأعطيته إياها قال: فضحك رسول الله ﷺ وقال: «**إنك كالذي قال الأول: اللهم ابغني حبيبًا هو أحب إلي من نفسيً**» ثم إن المشركين راسلونا الصلح حتى مشي بعضنا في بعض واصطلحنا قال: وكنت تبيعًا لطلحة بن عبيد الله أسقي فرسه وأحُسُّه[2] وأخدمه وآكل من طعامه وتركت أهلي ومالي مهاجرًا إلى الله ورسوله ﷺ قال: فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة واختلط بعضنا ببعض أتيت شجرة فكسحتُ شوكها[3] فاضطجعتُ في أصلها قال: فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ فأبغضتهم فتحولتُ إلى شجرة أخرى وعلقوا سلاحهم واضطجعوا. فبينما هم كذلك إذ نادى منادٍ من أسفل الوادي.

يا للمهاجرين قُتل ابنُ زُنيم. قال: فاخترطت سيفي ثم شددت على أولئك الأربعة وهم رقود فأخذت سلاحهم فجعلته ضغثًا في يدي قال: ثم قلت: والذي كرَّم وجه محمد لا يرفع أحدٌ منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه.

---

(1) الحجفة والدرقة شيء مثل الترس من آلات الحرب.

(2) معنى أحسُّه أي: ينظف ظهر الفرس ويزيل عنه الغبار.

(3) وكسح الشوك: أي كنسه وأزاله.

قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ قال: وجاء عمي عامر برجل من العبلات(١) يقال له مكرز يقوده إلى رسول الله ﷺ على فرسٍ مجفَّف في سبعين من المشركين فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال: دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه فعفا عنهم رسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٤]

قال: ثم خرجنا راجعين إلى المدينة فنزلنا منزلًا بيننا وبين لحيان جبل وهم المشركون فاستغفر رسول الله ﷺ لمن رقي هذا الجبل الليلة كأنه طليعة للنبي ﷺ وأصحابه قال سلمة: فرقيت تلك الليلة مرتين أو ثلاثًا، ثم قدمنا المدينة فبعث رسول الله ﷺ بظهره(٢) مع رباح غلام رسول الله ﷺ وأنا معه، وخرجت معه بفرس طلحة أُندِّيه(٣) مع الظهر، فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله ﷺ فاستاقه أجمع وقتل راعيه قال فقلت: يا رباح! خذ هذا الفرس فأبلغه طلحة بن عبيد الله وأخبر رسول الله ﷺ أن المشركين قد أغاروا على سرحه قال: ثم قمتُ على أَكَمة فاستقبلت المدينة فناديت ثلاثًا: يا صباحاه! ثم خرجتُ في آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز أقول:

أنا ابن الأكوع — واليوم يوم الرُّضع

---

(1) والعبلات: بطن من قريش.

(2) الظهر: هي الإبل التي تعد للركوب وحمل الأثقال.

(3) معنى يُندِّيه أن يورد الماشية الماء فتسقى قليلًا ثم ترسل في المرعى ثم ترد الماء فترد قليلًا ثم تُردُّ إلى المرعى قاله النووي.

فألحق رجلًا منهم فأصك سهمًا في رحله حتى خلص السهم إلى كتفه قال قلت: خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرُّضَّع.

قال: فوالله ما زلتُ أرميهم وأعقر بهم فإذا رجع إليَّ فارسٌ أتيتُ شجرة فجلست في أصلها ثم رميتُه فعقرتُ به حتى إذا تضايق الجبل فدخلوا في تضايقه علوتُ الجبل فجعلت أرديهم بالحجارة قال: فما زلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلفته وراء ظهري وخلو بيني وبينه ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بُردة وثلاثين رمحًا يستخفون ولا يطرحون شيئًا إلا جعلت عليه آرامًا[(١)] من الحجارة يعرفها رسول الله ﷺ وأصحابه حتى أتوا متضايقًا من ثنية فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزاري فجلسوا يتضحَّون يعني يتغدون وجلست على رأس قرنٍ قال الفزاري: ما هذا الذي أرى؟ قالوا: لقينا من هذا البرح[(٢)] والله ما فارقنا منذ غلس يرمينا حتى انتزع كل شيءٍ في أيدينا قال: فليقم إليه نفرٌ منكم أربعة. قال: فصعد إليَّ منهم أربعة في الجبل قال: فلما أمكنوني من الكلام قلت: هل تعرفوني؟ قالوا: لا ومن أنت؟ قال قلت: أنا سلمة بن الأكوع والذي كرم وجه محمد ﷺ لا أطلب رجلًا منكم إلا أدركته ولا يطلبني رجل منكم فيدركني. قال أحدهم: أنا أظن. قال: فرجعوا فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر قال: فإذا أولهم الأخرم الأسدى على إثره أبو قتادة الأنصاري، وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندي قال: فأخذت بعنان الأخرم قال: فولوا مدبرين قلت: يا أخرم احذرهم لا يقتطعوك حتى يلحق رسول الله ﷺ

(1) الآرام أحجار كبيرة تكون علامة على الشيء ودليلًا عليه.

(2) البرح: أي الشدة.

وأصحابُه قال: يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق والنار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة قال: فخليته. قال: فالتقى هو وعبد الرحمن. قال: فعقر بعبد الرحمن فرسه، وطعنه عبد الرحمن فطعنه فقتله. والذي كرم وجه محمد ﷺ لتبعتهم أعدو على رجلي حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد ﷺ ولا غبارهم شيئًا حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له ذا قرد ليشربوا منه وهم عطاش قال: فنظروا إليَّ أعدو وراءهم فحَلَّيْتُهُم عنه يعني أجليتهم عنه، فما ذاقوا منه قطرة. قال: فيخرجون فيشتدون في ثنية قال: فأعدوا فألحق رجلًا منهم فأصكه بسهم في نغص كتفه. قال: قلت: خذها وأنا ابن الكوع واليوم يوم الرضع قال: يا ثكلته أُمه أكوعه بكرة[1].

قال: قلت نعم يا عدو نفسه أكوعك بكرة قال: وأردوا فرسين على ثنية قال: فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله ﷺ قال: ولحقني عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن وسطيحة فيها ماء فتوضأتُ وشربتُ ثم أتيتُ رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي حلأتهم عنه فإذا رسول الله ﷺ قد أخذ تلك الإبل وكل شيءٍ استنقذته من المشركين وكل رمح وبردة وإذا بلال نحر ناقة من الإبل التي استنقذت من القوم وإذا هو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها قال قلت: يا رسول الله، خلني فأنتخب من القوم مائة رجل فأتبع القوم فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه في ضوء النار.

فقال: يا سلمة أتراك كنت فاعلًا؟ قلت: نعم والذي أكرمك! فقال: إنهم الآن

---

(١) أي أنت الأكوع الذي يطاردنا منذ الصباح.

ليقرون في أرض غطفان. قال: فجاء رجل من غطفان فقال: نحر لهم فلان جزورًا فلما كشفوا جلدها رأوا غبارًا فقالوا: أتاكم القوم فخرجوا هاربين فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ: «**كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة**» قال: ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهمين سهم الفارس وسهم الراجل فجمعهما لي جميعًا، ثم أردفني رسول الله ﷺ وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة. قال: فبينما نحن نسير قال: وكان رجل من الأنصار لا يُسبق شَدًّا.

قال فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة؟ هل من مسابق؟ فجعل يعيد ذلك قال: فلما سمعت كلامه قلت: أما تكرمُ كريمًا ولا تهاب شريفًا؟ قال: لا إلا أن يكون رسول الله ﷺ قال قلت: يا رسول الله بأبي وأمي ذرني فلأسابق الرجل قال: «**إن شئت**» قال قلت: اذهب إليك وثنيت رجلي فطفرتُ[(١)] فعدوتُ قال: فربطت عليه شرفًا أو شرفين أستبقي نَفَسي ثم عدوت في إثره فربطت عليه شرفًا أو شرفين أستبقى، ثم إني رفعت حتى ألحقه قال: فأصكُّه بين كتفيه قال قلت: قد سبقت والله قال: أنا أظن قال: فسبقته إلى المدينة[(٢)].

إن الحديث عن شجاعة الصحابة لا تكفيه صفحات وإنما يحتاج إلى المجلدات الكبيرة. فمن أشجع قلوبًا من هؤلاء الصحابة الكرام؟! وهم الذين وقفوا في وجوه الباطل وكسروا شوكة الكفر وأذلوا جبروت الكافرين وأقاموا للإسلام دولة خالدة وسط دنيا تموج بالكفر والضلال والانحراف لقد صمدوا صمود الجبال، وواجهوا

---

(1) طفرت أي: قفزتُ.

(2) رواه الإمام مسلم برقم [١٨٠٧].

أعتى الأمم وأشجع الرجال فخضع الجميع لهم وأذعنوا وانقادوا مستسلمين لهم فرضي الله عن هذا الجيل الذي اكتملت فيه كل معاني النبل والخير والبر والفضل وهذا نتيجة وثمرة مباركة لتربية الرسول ﷺ لهم، كيف لا وقد كانت حياته ﷺ صفحة معروضة لهم ينقلونها إلى نفوسهم سطرًا سطرًا، ويحققونها في قلوبهم معنى معنى فهم يرونها بينهم فتهفوا نفوسهم إلى سمو تقليدها وروعة محاكاتها.

تاسعًا - صدق إيمانهم وعظمة تضحيتهم في سبيل الله

الإيمان هو الحياة، والحياة الحقيقية هي الحياة الإيمانية وعلى قدر امتلاء القلب بالإيمان وارتواء الفؤاد بمعانيه تكون التضحية والبذل برهانًا على صدقه ودليلًا قويًا عليه، الإيمان وما أدراك ما الإيمان؟ إنه تلك الطاقة الجبارة، والحماسة الفوارة، والنور المتلألئ الذي يبعث في الأجساد الميتة روح الحياة، فتسري في دمائها بشاشة الإيمان فتصوغ من تلك النفس نفسًا زكية وأخلاقًا رضية، تنبهر لجلالها وروعتها عيون الناظرين، وتطرب بالحديث عنها آذان السامعين، وتأنس بها وتسعد بها قلوب الصادقين.

ولازالت الأرض تشهد بروعة بذل الصحابة في سبيل الله، فأنى اتجهت وجدت حبات الرمال والهضاب والسهول تنطق بصدق التضحية التي قدَّمها ذلكم الجيل الفريد. وصدق فيهم قول العزيز الحميد في كتابه المجيد: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

صدقوا مع ربهم فوفوا له بعهودهم وبذلوا أرواحهم ومهجهم ودماءهم وأموالهم في سبيل الله عز وجل.

إن الإيمان عزمة من عزمات الرجال الذين توفرت فيهم دواعي العزة في أرقى معانيها فطلبوها ممن لا يملكها سواه فنالوها بجدارة واستحقاق لأنهم سعوا إليها بحق فكانوا بها أحق، وخلد التاريخ ذكرهم وأشاد بسيرهم ومآثرهم وفضلهم العظيم.

يقول الدكتور محمد بكر إسماعيل رَحِمَهُ اللَّهُ وعفا عنه: ما أعظم ما يصنعه الإيمان بالنفوس المؤهلة له. فإنه يخلقها خلقًا جديدًا، ويصوغها صوغًا مجيدًا، ويرفعها عن الدنيا إلى مواطن النبل والشرف ويحلق بها في سماء الروح بعد أن يخلصها من طينتها الأرضية، ويطهرها من أرجاس الشرك والوثنية[1] فتعالوا بنا نعرض صورًا من تضحية هذا الجيل لتكون تنبيهًا على غيرها وتنويهًا على مثلها.

جيلٌ لن يتكرر

هذه صفحة نابضة بالحياة، شاهدة بالعظمة ناطقة بجلال وصدق الإيمان والتضحية عند الصحابة الكرام إنها قصة الهجرة يقول الشيخ الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ وعفا عنه: ليست الهجرة انتقال موظف من بلد قريب إلى بلدٍ ناءٍ، ولا ارتحال طالب قوت من أرض مجدبة إلى أرض مخصبة إنها إكراه رجل آمن في سربه، ممتد الجذور في مكانه، على إهدار مصالحه وتضحية بأمواله والنجاة بشخصه فحسب، وإشعاره وهو يصفي مركزه بأنه مستباح منهوب، قد يهلك في أوائل الطريق أو نهايتها، وبأنه يسير نحو مستقبل مبهم لا يدري ما يتمخض عنه من قلاقل وأحزان ولو كان الأمر مغامرة فرد بنفسه لقيل مغامرٌ طياش فكيف وهو ينطلق في طول البلاد وعرضها يحمل أهله وولده؟ وكيف وهو بذلك رضي الضمير وضاء الوجه؟!

---

(1) «رجال أحبهم الرسول» للدكتور محمد بكر إسماعيل [ص:٨٨] ط دار المنار.

إنه الإيمان الذي يزن الجبال ولا يطيش. وإيمان بمن؟ بالله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله الحمد في الأولى والآخرة وهو الحكيم الخبير. هذه الصعاب لا يطيقها إلا مؤمن. أما الهياب الخوار القلق فما يستطيع شيئًا من ذلك إنه من أولئك الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء:٦٦].

أما الرجال الذين التقوا بمحمدٍ ﷺ في مكة، وقبسوا منه أنوار الهدى وتواصوا بالحق والصبر فإنهم نفروا خفافًا ساعة قيل لهم: هاجروا حيث تعزون الإسلام وتؤمنون مستقبله[١].

لقد هاجر الصحابة من مكة وهي أحب بلاد الله إلى الله وإلى رسول الله. هاجروا منها وهي بلدهم التي فيها تربوا وفيها بيوتهم وفيها أموالهم وفيها أعمالهم ووظائفهم، وفيها أهلوهم وإلى أين يذهبون؟ إلى المدينة. لم يفكر واحد منهم أين سأسكن، وماذا سأعمل كيف أطعم أولادي، لم يفكر في هذا لأنه هاجر لله، وفي سبيل الله، والله - جل وعلا - لا يضيع أولياءه، ثم إن أولياءه يبذلون كل شيءٍ ويضحون براحة أبدانهم وطيب عيشهم من أجل حياة لا تنفد ونعيم لا يزول في دار الخلد.

لماذا هاجر الصحابة؟ أمن أجل بحث عن رزق أوسع؟! أمن أجل رفع مستوى المعيشة؟ أمن أجل الرفاهية والنعيم؟! كلا ما هاجر الصحابة إلا لله ولله وحده سبحانه وقد كان من عقبات الهجرة أن جو المدينة كان وخمًا وقد مرض كثير من المهاجرين بالحمى عند انتقالهم إليها حتى دعا رسول الله ﷺ أن يرفع حماها إلى الجحفة.

(١) «فقه السيرة» للغزالي [١٦٤-١٦٥] بتحقيق الشيخ/ الألباني.

أي جيل ذاك الجيل الذي يترك كل الماضي يترك كل الحياة السالفة، ويترك كل ما جمع من مال ومسكن وتجارة ويخرج بنفسه ابتغاء مرضاة ربه. وكان أول المهاجرين أبو سلمة وزوجه وابنه فلما أجمع على الخروج قال له أصهاره هذه نفسك غلبتنا عليها. أرأيت صاحبتنا هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد! وأخذوا منه زوجته فغضب آل أبي سلمة لرجلهم وقالوا: لا نترك ابننا معها إذ نزعتموها من صاحبنا، وتجاذبوا الغلام بينهم، فخلعوا يده وذهبوا به، وانطلق أبو سلمة وحده إلى المدينة فكانت أم سلمة بعد ذهاب زوجها وولدها تخرج كل غداة إلى الأبطح تبكي حتى تمسي فرقَّ لها أحد ذويها فقال: ألا تخرجون هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وولدها. فقالوا لها: الحقي بزوجك إن شئت، فاسترجعت ابنها من عصبته وهاجرت إلى المدينة.

قال ابن عبد البر: بعد ذكر جماعة من الصحابة هاجروا! ثم هاجر عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة في عشرين راكبًا فقدموا المدينة فنزلوا العوالي في بني أمية ابن زيد وكان يصل بهم سالم مولى أبي حذيفة وكان أكثرهم قرينًا. وكان هشام بن العاص بن وائل قد أسلم وواعد عمر بن الخطاب أن يهاجر معه وقال: تجدني أو أجدك عن أضاة بني غفار ففطن لهشام قومه فحبسوه عن الهجرة ثم إن أبا جهل والحارث بن هشام أتيا المدينة فكلَّما عياش بن أبي ربيعة وكان أخاهما لأمهما وابن عمهما وأخبروه أن أمه قد نذرت أن لا تغسل رأسها ولا تستظل حتى تراه، فرقت نفسه وصدقهما وخرج راجعًا معهما فكتفاه في الطريق وبلغاه مكة فحبساه بها مسجونًا إلى أن خلصه الله بعد ذلك (١).

(١) «الدرر في اختصار المغازي» والسير لابن عبد البر [ص:٧٥]، وانظر «وقفات تربوية مع السيرة النبوية» [ص:١٤١-١٤٢]، «وفقه السيرة للغزالي» [ص:١٦٥-١٦٦].

ولما أراد صهيب الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكًا حقيرًا فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك. والله لا يكون ذلك.

فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالي تخلون سبيلي؟ قالوا: نعم. قال: فإني قد جعلت لكم مالي فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**ربح صهيب**»(١) وهكذا خرج المهاجرون من ديارهم وآثروا رضوان الله، واختاروا الآخرة على الدنيا وامتدحهم ربهم - عز وجل - بهذا العمل العظيم وهو الهجرة، وبيَّن - عز وجل - أنهم أخلصوا نيتهم فيها وأرادوا نصرة الله ورسوله بها فقال عز وجل: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ [الحشر:٨].

ولم يكن المهاجرون وحدهم هم الذين ضحوا بل الأنصار كذلك استقبلوهم واستضافوهم وآثروهم على أنفسهم برغم ما هم فيه من فقر وحاجة.

وعادوا العالم كله ووقفوا في وجه الدنيا كلها وهم يعلمون أن هذه الهجرة ستجر عليهم عداء العرب قاطبة في ذلك الوقت ولكنه الإيمان ولكنه اليقين، ولكنها الجنة التي يسعى إليها أولئك الصالحون وقد امتدح الله الأنصار بذلك فقال جل جلاله: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر:٩].

---

(١) رواه ابن هشام في «السيرة» [١/ ٢٨٩] وقال الشيخ الألباني في «هامش فقه السيرة» [ص:١٦٦] وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم وهو كما قال وله شاهد من حديث صهيب نفسه رواه الطبراني كما في «المجمع» [٦/ ٦٠] والبيهقي كما في «البداية» [٣/ ١٧٣-١٧٤].

وقد روى أحمد والبيهقي والحاكم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وفي الموسم بمنى يقول: من يؤويني؟ من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة؟ حتى إن الرجل يخرج من اليمن أو من مصر كذا قال: فيأتيه قومه فيقول: احذر غلام قريش لا يفتنك وهو يمشي بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع حتى بعثنا الله من يثرب فآويناه وصدقناه.

فيخرج الرجل منا فيؤمن به، ويقرئه القرآن فينقلب على أهله فيسلمون بإسلامه حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيه رهط من المسلمين يظهرون الإسلام ثم ائتمروا جميعًا. فقلنا: حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطرد في جبال مكة ويخاف فرحل إليه سبعون رجلًا منا حتى قدموا عليه في الموسم فواعدناه شِعْب العقبة.

فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا. فقلنا: يا رسول الله، على ما نبايعك؟ قال: تبايعوني على السمع والطاعة في المنشط والكسل، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا فِي لله لا تخافوا في الله لومة لائم وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة. قال: فقمنا فبايعناه.

وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو أصغرهم فقال: رويدًا يا أهل يثرب فإنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله. وإن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم على الله، وإما أن تخافوا من أنفسكم جبنة فتبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله.

قالوا: أمط عنا يا أسعد، فوالله لا ندع هذه البيعة أبدًا ولا نسلبها أبدًا. فبايعناه فأخذ علينا وشرط ويعطينا على ذلك الجنة(١).

فاتح المدينة بالآيات الحكيمة

وهذا هو سفير الدعوة الأول، الأواه القانت الداعية الحكيم مصعب الخير مصعب بن عمير رضي الله عنه ذلكم الشاب الذي كان قبل الإسلام منعمًا مدللًا، غارقًا في الرفاهية والنعيم يخرج من كل ذلك ليؤثر الآخرة الباقية. ويزهد في تلك الدنيا الزائلة الهزيلة، ويتحول من فوره إلى أسطورة في الفداء، ومثالًا يحتذى في البذل لهذا الدين العظيم أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ليفتحها بالقرآن، ويذلل قلوب أهلها للإسلام.

وقام البطل بالمهمة على الوجه المطلوب وأشرقت المدينة بنور ربها، وآتت دعوته الصادقة أكلها. وصارت المدينة بعد ذلك دار الإسلام وقاعدة انطلاقة على العالم كله وهاك موقف من مواقف ذلك الكريم الفاضل النبيل وعظيم صادق من هذا الجيل العظيم.

روى ابن إسحاق أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل، ودار بني ظفر وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة، فدخل به حائطًا من حوائط بني ظفر على بئر يقال لها: بئر مرق، فجلسا في الحائط واجتمع إليهما

---

(١) رواه أحمد [٣/ ٣٢٢]، والبيهقي في «السنن» [٩/ ٩] والحاكم [٢/ ٦٢٤] وصححه ووافقه الذهبي وقال الحافظ في «الفتح» [٧/ ٢٢٠]: رواه أحمد بسند حسن وقال ابن كثير في «السيرة» [٢/ ١٩٦]: هذا إسناد جيد على شرط مسلم.

رجال ممن أسلم وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذٍ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبالك انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا.

فازجرهما وانهما عن أن يأتيا دارينا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث ما قد علمت كفيتُك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدمًا؟ قال: فأخذ أسيد ين حضير حربته ثم أقبل إليهما فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلمه قال: فوقف عليهما متشتمًا فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كان لكما بأنفسكما حاجة فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره؟ قال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس إليها فكلمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالا فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين. قالا له: تغتسل وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين.

ثم قال لهما: إن ورائي رجلًا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحدٌ من قومه، وسأرسله إليكما الآن سعد بن معاذ ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلًا قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين فما رأيت بهما بأسًا وقد نهيتهما قالا: نفعل ما أحببت وقد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنه ابن خالتك ليخفروك قال: فقام سعد مغضبًا مبادرًا تخوفًا للذي ذكر له من بني حارثة فأخذ الحربة من يده ثم قال: والله ما

أراك أغنيت شيئًا ثم خرج إليهما فلما رآهما سعد مطمئنين عرف أن أسيدًا إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتمًا.

ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة. أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني أتغشانا في دارينا بما نكره؟ وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: أي مصعب! جاءك والله سيد من وراءه من قدمه إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان قال: فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمرًا ورغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك منا تكره؟ قال سعد: أنصفت ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه وتسهله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عامدًا إلى نادي قومه مقبلًا قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي خرج به من عندكم.

فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل! كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأوصلنا وأفضلنا رأيًا وأيمننا نقية قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله.

قالا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة ورجع أسعد ومصعب على منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون(١).

---

(١) أخرجه البيهقي في «الدلائل» [٢/ ٤٣٨]، وابن كثير في «البداية والنهاية» [٣/ ١٥٢] وصححه محقق «السيرة النبوية» لابن هشام.

وها هو ذلكم البطل يعزف عن الدنيا وتعزف الدنيا عنه فيلقى ربه عز وجل شهيدًا متجردًا من الدنيا لأن موعده جنة الخلد التي فيها كل ما تلذ عينه وتشتهيه نفسه في صحيح البخاري من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه أُتي بطعام وكان صائمًا فقال: قُتل مصعب بن عمير وهو خير مني كفن في بردة إن غُطِّي رأسه بدت رجلاه، وإن غُطِّي رجلاه بدا رأسه(١).

وفي الصحيحين من حديث خباب رضي الله عنه أنه قال: هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نريد وجه الله فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئًا، منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد وترك نمرة فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغطي رأسه ونجعل على رجليه شيئًا من إذخر، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها(٢).

صفحة صدق

وهذا أنس بن النضر عم أنس بن مالك وعم البراء بن مالك وتلك صفحة من تضحيته في سبيل الله ففي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله! غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرينَّ الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون. قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه -، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدَّم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ! الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت

(1) رواه البخاري برقم [١٢٧٥].

(2) متفق عليه. رواه البخاري برقم [٣٨٩٧] ومسلم برقم [٩٤٠].

يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل ومثَّل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه.

قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٣] (١).

يا له من موقف! يا لها من رجولة!! يا له من إيمان! يا له من صدق! ويا لها من تضحية!!

هذه صفحة من صفحات الصدق، صدق في العزم، وصدق في العهد، صدق في الوعد، صدق في اليقين، صدق في الإيمان بالآخرة، صدق في النية، صدق في التضحية.

وهذه صورة واقعية للمعرفة الحقيقية بقيمة الحياة، والعلم بالآخرة. فيا من تريد أن تعيش لنفسك ولنفسك فقط قد تعيش مستريحًا ولكنك سوف تعيش صغيرًا حقيرًا بلا وزن وبلا قيمة وبلا تأثير، وسوف تموت وأنت نكرة من النكرات.

سوف تموت صغيرًا حقيرًا وتذهب إلى دائرة النسيان كما عشت على ظهر هذه الدنيا في غياهب الغفلة واللهو واللعب. دع البطولة للصادقين، ودع المواقف للرجال الذين يستحقون الإجلال والتقدير والذين يؤثرون في واقع الحياة بمواقفهم العظيمة وآثارهم الباقية هؤلاء يوم يموتون تبكيهم الأرض والسماء، ويبكيهم كل مبدأ حر وكل عاقل واعٍ.

أي أخي، أين بَذْلُك وتضحيتك أنت؟! أين تضحيتك في سبيل الله على مدار

---

(١) رواه البخاري برقم [٢٨٠٥].

عمرك كله؟! بماذا ضحيت من شهوات نفسك ورغباته؟! أين تأثيرك فيمن حولك بهذا الحق الذي أنت عليه؟! أين نصرتك لهذا الحق الذي تعتنقه؟! إن كثيرًا منا ينقض دعوته بسلوكياته وتصرفاته!! يهدم الحق بتخاذله وسكوته عن نصرته! أين أنت في صلاة الصبح كل يوم؟! أين أنت في ليال المتهجدين؟! أين نجدك في ساحات العمل في سبيل الله؟! إذا أردت أن تعرف أين مقامك عند الله فانظر أين أقامك.

البراء وصدق البذل والفداء

وهذا هو البراء بن مالك الأنصاري رضي الله عنه وهو أخو أنس بن مالك وأمهما هي الصحابية صاحبة الشخصية الفذة، والمكانة العالية السامقة إنها الرميصاء بنت ملحان إنه ذلكم الرجل الذي تربى على يدٍ تعرف ربها وتسقيه مع كل إشراقة صباح رحيق الإيمان، وحقيقة اليقين. إنه البطل الكرار الفرار الكمي الباسل المغوار إنه المحب الصادق لله ورسوله.

إنه البراء الذي خشي عمر بن الخطاب أن يوليه على جيش مخافة أن يهلكهم بإقدامه وشجاعته النادرة فقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الجيش: لا تستعملوا البراء على جيش فإنه مهلكة من المهالك يقدمُ بهم[(١)].

البراء لو أقسم على الله أبرَّه الله كما سبق ذكر هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: **«كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرَّه، منهم البراء بن مالك»**[(٢)].

---

(1) رواه الحاكم في «المستدرك» [٣/ ٢٩١] وابن عبد البر في «الاستيعاب» [١/ ٢٨٥].

(2) سبق تخريجه وقد صححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٤٥٧٣].

وانظر إلى عظيم بذله في سبيل ربه: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن خالد بن الوليد قال للبراء رضي الله عنه يوم اليمامة: قم يا براء قال: فركب فرسه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أهل المدينة، لا مدينة لكم اليوم وإنما هو الله وحده والجنة ثم حمل وحمل الناس معه فانهزم أهل اليمامة فلقي البراء رضي الله عنه محكم اليمامة «قائد جيش مسيلمة الكذاب» فضربه البراء وصرعه وأخذ سيفه فضرب به حتى انقطع[(1)].

وعن ابن إسحاق قال: زحف المسلمون إلى المشركين حتى ألجئوهم إلى الحديقة، وفيها عدو الله مسيلمة فقال - أي البراء -: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم، فاحتمل حتى إذا أشرف على الجدار اقتحم فقاتلوهم على الحديقة حتى فتحها على المسلمين، ودخل عليهم المسلمون فقتل الله مسيلمة وفي رواية أخرى أن البراء يوم حرب مسيلمة الكذاب أمر أصحابه أن يحتملوه على ترس، على أسنة رماحهم، ويلقوه في الحديقة، فاقتحم إليهم وشد عليهم، وقاتل حتى افتتح باب الحديقة فجرح يومئذٍ بضعة وثمانين جرحًا، ولذلك أقام خالد بن الوليد عليه شهرًا يداوي جراحه[(2)].

الشهيد الطيار شبيه المختار

وهذا هو جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، إنه جعفر الطيار الذي يطير في الجنة مع الملائكة وقد ثبت في صحيح البخاري عن عامر بن شراحيل الشعبي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان إذا سلم على ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين[(3)].

---

(1) «الإصابة» للحافظ ابن حجر [١/ ٤١٣].

(2) «الإصابة» [١/ ٤١٣] و«الاستيعاب» [١/ ٢٨٧].

(3) رواه البخاري في «صحيحه» برقم [٣٧٠٩].

وعند الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«مرَّ بي جعفر الليلة في ملأ من الملائكة وهو مخضب الجناحين بالدم أبيض الفؤاد»**(١).

وأخرج البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن قتل زيدٌ فجعفر وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة قال عبد الله: كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى، ووجدنا في جسده بضعًا وتسعين من طعنة ورمية»**(٢).

شهداء مؤتة وبشارة المصطفى

وهذا عبد الله بن رواحة رضي الله عنه تأمل هذا الموقف العجيب من مواقفه رضي الله عنه عن سليمان بن يسار أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث ابن رواحة إلى خيبر فيخرص بينه وبين يهود، فجمعوا حليًا من نسائهم، فقالوا: هذا لك وخفف عنا. قال: يا معشر يهود! والله إنكم لمن أبغض خلق الله إليَّ، وما ذلك بحاملي على أن أحيف عليكم والرشوة سحت. فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض(٣).

وفي يوم مؤتة كان له هذا الموقف وكانت له تلك التضحية في سبيل الله عز وجل لما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ثم تقدم بها فجعل يستنزل نفسه وتردد

---

(1) أخرجه الحاكم [٣/ ٢١٢] وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. وقال الشيخ العدوي في «الصحيح المسند» [ص:٢١٠]: وهذا الحديث إسناده صحيح إذا كان محمد بن صالح بن هاني ثقة فقد أتعبت نفسي كثيرًا في البحث عن ترجمته ولم أعثر عليها في الكتب التي بين يدي.أهـ.

(2) رواه البخاري برقم [٤٢٦١].

(3) «السير» للإمام الذهبي [١/ ٢٣٧].

بعض التردد ثم قال:

أقسمت يا نفسُ لتنزلنه ... طائعة أو لتكرهنه

مالي أراك تكرهين الجنة ... إن أجلب الناس وشدوا الرنّة

لطالما قد كنت مطمئنة ... هل أنت إلا نطفة في شنة

وقال عبد الله بن رواحة:

يا نفس إلا تقتلي تموتي ... هذا حمامُ الموت قد صليت

وما تمنيت فقد لقيت ... إن تفعلي فعلهما هديت

ثم نزل فلما نزل أتاه ابن عم له بعظم من لحم فقال: اشدد بهذا صلبك فإنك قد لقيت ما لقيت، فأخذه من يده فانتهش منه نهشة ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فقال: وأنت في الدنيا ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل فأخذ الراية ثابت بن أرقم أخو بني عجلان وقال: يا أيها الناس! اصطلحوا على رجل منكم قالوا: أنت قال: ما أنا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد. فلما أخذ الراية دافع القوم ثم انحاز حتى انصرف(١).

وأورد البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**أخذ الراية زيدٌ فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح الله عليه، وما يسرني أو قال: ما يسرهم أنهم عندنا**» وقال: وإن عينيه لتذرفان(٢).

---

(1) أخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد» [٦/ ١٥٩] وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(2) رواه البخاري برقم [٣٠٦٣].

عصابة الموت

وهذا أبو دجانة صاحب العصابة الحمراء واسمه سماك بن خرشة. عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ سيفًا يوم أحد فقال: «**من يأخذ مني هذا**» فبسطوا أيديهم كل منهم يقول: أنا أنا قال: «**فمن يأخذه بحقه؟**» قال: فأخذه ففلق به هام المشركين[1].

في يوم أحد أقبل أبو دجانة ذو العصابة الحمراء آخذًا بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم مصممًا على أداء حقه فقاتل حتى أمعن في الناس وجعل لا يلقى مشركًا إلا قتله وأخذ يهد صفوف المشركين هدًّا قال الزبير بن العوام: وجدتُ في نفسي حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة وقلت - أي في نفسي -: أنا ابن صفية عمته ومن قريش وقد قمت إليه وسألته إياه قبله فآتاه إياه وتركني، والله لأنظرن ما يصنع؟ فاتبعتُه فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى أحدًا إلا قتله. وكان في المشركين رجلٌ لا يدع لنا جريحًا إلا ذف عليه فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه

(1) رواه مسلم برقم [٢٤٧٠].

فضربه أبو دجانة فقتله(١).

يقول الدكتور العفاني - حفظه الله تعالى -: رحمك الله ورضي عنك يا أبا دجانة يا صاحب عصابة الموت، يا من لا تقوم الدهر في الكيول، بل تفلق هام المشركين. أما نحن فتفلق هامنا، وتصبغ العصابات من دمانا وأعراض نسائنا.

قدا ستردَّ السبايا كل منهزم لم يبق في أسرها إلا سبايانا
وما رأيت سياط الذل داميةً إلا رأيت عليها لحم أسرانا
وما نموت على حد الظبا أنفًا حتى لقد خجلت منا منايانا(٢)

حواري الرسول سبّاق إلى البذل

وهذا هو الزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ(٣) وتلك صفحة من صفحات بذله في سبيل الله جل جلاله. أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أن أصحاب النبي ﷺ قالوا للزبير يوم وقعة اليرموك: ألا تشد فنشد معك؟ فحمل عليهم فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر.

قال عروة: «فكنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير».

قال الحافظ ابن حجر: واليرموك موضع بالشام، وكانت فيه وقعة في أول

---

(1) «سيرة ابن هشام» [٢/ ٦٨].
(2) «صلاح الأمة في علو الهمة» للدكتور سيد العفاني [٣/ ٣٤٣].
(3) قال البخاري رحمه الله: سمى الحواريون لبياض ثيابهم. وذكر ابن حجر لمعنى الحواري جملة معان منها: الناصر، والوزير، والخالص، والخليل انظر: «الفتح» [٧/ ٩٩/ ١٠٠].

خلافة عمر، وكان النصر للمسلمين على الروم، واستشهد من المسلمين جماعة[1].

اللهم خذ من دمي حتى ترضى

وهؤلاء سبعون من القراء حفظة القرآن يسيطرون بدمائهم وثيقة حب لدينهم ويبذلونها في سبيل ربهم وُيقتلون ويا لرهبة وجلال ذلك الموقف العجيب**!!** أخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رعلًا وذكوان وعصية وبني لحيان استمدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على عدو فأمدهم بسبعين من الأنصار كنا نسميهم القراء في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقنت شهرًا يدعو في الصحيح على أحياء من أحياء على رعلًا وذكوان وعصية وبني لحيان. قال أنس: فقرأنا فيهم قرآنًا، ثم إن ذلك رُفع: بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا[2].

وعنه رضي الله عنه **قال**: لما طعن حرام بن ملحان وكان خاله[3]. يوم بئر معونة قال بالدم هكذا فنضحه على وجهه ورأسه ثم قال: فزتُ ورب الكعبة[4].

وهذا المشهد المهيب العجيب جعل قاتله يسلم ويدخل في دين الله عز وجل لانبهاره بما رأى من ذلكم البطل الشهيد حرام بن ملحان رضي الله عنه . فها هو قاتله جبار ابن سلمى بعد ما طعنه يسلم ويقول:

---

(1) انظر: «فتح الباري» [٧/ ١٠٢].

(2) رواه البخاري برقم [٤٠٩٠].

(3) وذلك لأنه أخو أم سليم الرميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك.

(4) رواه البخاري برقم [٤٠٩٢].

إن مما دعاني إلى الإسلام أني طعنت رجلًا منهم يومئذٍ برمح بين كتفيه، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره فسمعته يقول: فزتُ ورب الكعبة. فقلت في نفسي: ما فاز ألست قد قتلتُ الرجل؟ حتى سألت بعد ذلك عن قوله فقالوا: للشهادة فقلت: فاز لَعَمْرُ الله. فكان سببًا لإسلامه(١).

وسأل عامر بن الطفيل عمرو بن أمية الضمري: من هذا؟ وأشار على قتيل فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة فقال: لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وُضع(٢).

قال الحافظ ابن حجر: عامر بن فهيرة هو مولى أبي بكر المذكور في حديث الهجرة. وقوله لقد رأيته بعد ما قتل في رواية عروة فأشار عامر بن الطفيل إلى رجل فقال: هذا طعنه برمحه ثم انتزع رمحه فذهب بالرجل علوًا في السماء حتى ما أراه. قوله: «ثم وضع» أي إلى الأرض. وذكر الواقدي في روايته أن الملائكة وارته ولم يره المشركون. وهذا وقع عند ابن المبارك عن يونس عن الزهري وفي ذلك تعظيم لعامر بن فهيرة وترهيب للكفار وتخويف(٣).

وهذا مشهد آخر عجيب لعشرة من الصحابة فيما يعرف بغزوة الرجيع يبين عظمة البذل وجلال التضحية في سبيل الله عز وجل. روى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية عينًا وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب. فانطلقوا، حتى إذا كان بين عسفان ومكة ذكروا

---

(1) «السيرة النبوية» لابن هشام [٣/ ٢٠٧]. و«السيرة النبوية» للصلابي [٢/ ٢٣٤].

(2) رواه البخاري في «المغازي» برقم [٤٠٩٣].

(3) «فتح الباري» [٧/ ٤٥١].

لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم، حتى أتوا منزلًا نزلوه، فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب، فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا إلى فَدْفَد. وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلًا.

فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك. فقاتلوهم حتى قتلوا عاصمًا في سبعة نفر بالنبل وبقي خبيب وزيد ورجل فأعطوهم العهد والميثاق فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث معهما: هذا أول الغدر فأبى أن يصحبهم فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه، وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهم بمكة، فاشترى خبيبًا بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم أسيرًا، حتى إذا أجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحد بها فأعارته، قالت: فغفلتُ عن صبي لي فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه، فلما رأيته فزعتُ فزعة عرف ذاك مني، وفي يده موسى، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذاك إن شاء الله.

وكانت تقول: ما رأيتُ أسيرًا قط خيرًا من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب، وما بمكة يومئذ ثمرة، وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزق الله فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال: دعوني أصلي ركعتين، ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن تروا أن ما بي جزعٌ من الموت لزدتُ، فكان أول من سَنَّ الركعتين عند القتل هو، ثم قال: اللهم أحصهم عددًا ثم قال:

ما أن أبالي حين أقتل مسلمًا ... على أي شق كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو مُمَزَّعِ

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله، وبعث قريش إلى عاصم لِيُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَعْرِفُونَهُ وَكَانَ عَاصِمٌ قتل عظيمًا من عظمائهم يوم بدر، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدَّبر فحمته من رسلهم، فلم يقدروا منه على شيء[(١)].

وهذه قصة أخرى غير قصة بئر معونة التي قتل فيها سبعون من القراء كما نبه إلى ذلك الحافظ ابن حجر عليه - رحمة الله -: كما في «فتح الباري» [٧/ ٤٣٩].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: «اللهم أخبر عنا رسولك» في رواية الطيالسي عن إبراهيم بن سعد «فاستجاب الله لعاصم فأخبر رسوله خبره، فأخبر أصحابه بذلك يوم أصيبوا». وفي رواية بريدة فقال عاصم: اللهم إني أحمي لك اليوم دينك، فاحم لي لحمي. فلم يقدروا منه على شيء وفي رواية شعبة: فلم يقدروا أن يقطعوا من لحمه شيئًا.

وفي رواية أبي الأسود عن عروة: فبعث الله عليهم الدَّبر تطير في وجوههم وتلدغهم، فحالت بينهم وبين أن يقطعوا. وفي رواية ابن إسحاق عن عاصم بن عمر عن قتادة قال: كان عاصم بن ثابت أعطى الله عهدًا أن لا يمسه مشرك، ولا يمس مشركًا أبدًا فكان عمر يقول حين بلغه خبره: يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته. **ثم قال الحافظ ابن حجر**: وإنما استجاب الله له في حماية لحمه من المشركين ولم يمنعهم من قتله لما أراد من إكرامه بالشهادة، ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه[(٢)].

(1) رواه البخاري برقم [٤٠٨٧].

(2) «فتح الباري» للحافظ ابن حجر [٧/ ٤٤٣/ ٤٤٥].

وأما موقف خبيب بن عدى فموقف يدهش العقل والفؤاد ويكفي العودة إلى قراءته وتأمله لتقف على كريم خلقه، وعظمة يقينه وصبره وثباته، وتعلق قلبه بالله جل جلاله. وكرامة الله - عز وجل - له بذلك الرزق الذي أجراه عليه وهم ينظرون فرضي الله عن الصحابة أجمعين.

حديقة الموت

لما التقى الصحابة بجيش مسيلمة الكذاب سحقوا جموعهم واضطروهم إلى التحصن في حديقة عالية الأسوار عرفت بعد ذلك بحديقة الموت لكثرة من قتل من جنود مسيلمة الكذاب، وعلى الصعيد الآخر الأزهر المشرق الوضيء فقد استشهد من صحابة رسول الله ﷺ عدد كبير ولكن شتان ما بين الموتتين فريق في الجنة وفريق في السعير.

بدأ أولئك الفارغون التافهون رحلة العذاب المقيم الأليم. ورحل أولئك المؤمنون المتقون إلى جنات النعيم وتلك هي بداية الحياة في جنة الله جل جلاله. وكان من أولئك الصحابة:

١- أبو عقيل عبد الرحمن بن عبد الله البلوي الأنصاري

كان أبو عقيل من أول من جرح يوم اليمامة، رمي بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده، فجرح في غير مقتل،فأخرج السهم ووهن شقه الأيسر، فأخذ إلى معسكر المسلمين، فلما حمى القتال وتراجع المسلمون إلى رحالهم ومعسكرهم وأبو عقيل واهن من جرحه سمع معن بن عدي يصيح: يا للأنصار، الله الله، والكرة على عدوكم، وتقدم معن القوم ونهض أبو عقيل يريد قومه فقال له بعض المسلمين: يا أبا عقيل ما فيك قتال.

قال: قد نوَّه المنادي باسمي فقيل له: إنما يقول يا للأنصار لا يعني الجرحى فقال

أبو عقيل: فأنا من الأنصار وأنا أجيب ولو حبوًا فتحزم أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمنى مجردًا، ثم جعل ينادي: يا للأنصار كرة كيوم حنين، فاجتمعوا جميعًا، وتقدموا بروح معنوية عالية يطلبون الشهادة أو النصر، حتى أقحموا عدوهم في الحديقة وفي هذا الهجوم قطعت يد أبي عقيل من المنكب، ووجدت به أربعة عشر جرحًا كلها خلصت إلى مقتل، ومرَّ ابن عمر بأبي عقيل وهو صريع بآخر رمق فقال: يا أبا عقيل، فقال: لبيك، بلسان ثقيل ثم قال: لمن الدبرة فقال ابن عمر: أبشر، قد قتل عدو الله، فرفع أبو عقيل أصبعه إلى السماء فحمد الله. قال عنه عمر رضي الله عنه: ما زال يسأل الشهادة ويطلبها وإنه لمن خيار أصحاب نبينا[١].

٢- زيد بن الخطاب

وهو أخو عمر بن الخطاب لأبيه، وكان أكبر من عمر، أسلم قديمًا وشهد بدرًا وما بعدها، وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين معن بن عدي من الأنصار وقد قتلا جميعًا يوم اليمامة. وقد كانت راية المهاجرين يومئذ بيد زيد بن الخطاب رضي الله عنه فلم يزل يتقدم بها حتى قتل فسقطت، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة وقد قتل زيد يومئذٍ الرَّجَّال بن عنفوة الذي كان فتنته على بني حنيفة أشد من فتنة مسيلمة.

فكانت وفاته على يد زيد رضي الله عنه والذي قتل زيدًا رجل يقال له أبو مريم الحنفي وقد أسلم بعد ذلك وقال لعمر رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، إن الله أكرم زيدًا بيدي ولم يهني على يده.

---

(١) «حروب الردة» [ص:٦٣-٩٤] شوقي أبو خليل.

وقد قال عمر لما بلغه مقتل زيد بن الخطاب: سبقني إلى الحسنين؛ أسلم قبلي واسْتُشهد قبلي[(1)].

٣- أبو دجانة سماك بن خرشة رضي الله عنه .

كانت عليه يوم بدر عصابة حمراء. قيل: آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين عتبة بن غزوان. وثبت أبو دجانة يوم أحد مع النبي صلى الله عليه وسلم وبايعه على الموت وهو ممن اشترك في قتل مسيلمة وقُتل يومئذٍ وقال زيد بن أسلم: دُخل على أبي دجانة وهو مريض وكان وجهه يتهلَّل فقيل له: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: ما من عملي شيء أوثق عندي من اثنتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، والأخرى كان قلبي للمسلمين. وكان أبو دجانة يوم اليمامة من أبطال المسلمين فقد رمى بنفسه إلى داخل الحديقة فانكسرت رجله فقاتل وهو مكسور الرجل حتى قتل[(2)].

٤- عباد بن بشر رضي الله عنه

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: تهجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فسمع صوت عباد بن بشر فقال: «**يا عائشة، هذا صوت عباد؟**» قلت: نعم قال: «**اللهم اغفر له**»[(3)].

وقد كان له باليمامة مواقف مشهودة فقد وقف على نشز مرتفع من الأرض ثم

---

(1) «البداية والنهاية» لابن كثير: [٦/ ٢٤٠].

(2) «عهد الخلفاء الراشدين» للذهبي [٧٠-٧١] نقلًا عن «أبي بكر الصديق شخصيته وعصره» د. الصلابي [ص:٢٣٠].

(3) رواه البخاري تعليقًا برقم [٢٦٥٥].

obeikandi.com

صاح بأعلى صوته: أنا عباد بن بشر، يا للأنصار يا للأنصار. ألا إليَّ، ألا إليَّ. فأقبلوا إليه جميعًا وأجابوه: لبيك لبيك. ثم حطم جفن سيفه فألقاه، وحطم الأنصار جفون سيوفهم ثم قال: حملة صادقة اتبعوني فخرج حتى ساقوا بني حنيفة منهزمين حتى انتهوا بهم إلى الحديقة. ولما تمكن المسلمون من اقتحام باب الحديقة ألقى درعه على بابها ثم دخل بالسيف سلتًا يجالدهم حتى قتل شهيدًا باليمامة وهو ابن خمس وأربعين سنة ولم يعرف إلا بعلامة في جسده لكثرة ما فيه من الجراح(١).

التضحية بالمال

تضحية الصحابة بأموالهم كثيرة مشهورة ويكفي في ذلك ويشفي موقف الهجرة حين ضحى المهاجرون بأموالهم وديارهم وأعمالهم ووظائفهم في سبيل الله سبحانه وتعالى. وهذه بعض المواقف الأخرى:

فهذا هو القانت الأواه ذو النورين، والخائف الوجل ذو الهجرتين، والمصلي إلى القبلتين، وزوج ابنتي النبي ﷺ إنه عثمان بن عفان جهز جيشًا بكامله وحفر بئرًا ليشرب منها المسلمون وبذل وأنفق في كل أبواب الخير من ماله، وقد رويالبخاري عنه رضي الله عنه أنه لما حوصر أشرف عليهم وقال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ: ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «**من حفر بئر رومة فله الجنة**»، فحفرتها؟ ألستم تعلمون أنه من قال: «**من جهَّز جيش العسرة فله الجنة**»، فجهزته؟ قال: فصدقوه بما قال(٢).

---

(1) «أبو بكر الصديق» للصلابي [ص:٢٣١] بتصرف يسير. ط دار التقوى.

(2) رواه البخاري برقم [٢٧٧٨].

وهذا هو الصديق رضي الله عنه ينفق ماله كله في سبيل الله وفي كل سبيل يرضي ربه - جل جلاله - فيجعل من ذلك المال عمودًا يقيم عليه للدعوة صروحًا، ويرفع به عن المعذبين آلامًا وقروحًا، ويسخرِّ كل ماله، بل وكل ذريته وأولاده وعبيده في خدمة هذا الدين العظيم ألم تر كيف كانت أسماء تحمل الطعام في الهجرة؟! ألم تر كيف كان عامر ابن فهيرة وعبد الله بن أبي بكر من جنود الله في تلك الهجرة المباركة؟! فلله دره حين ينفق كل ماله، وكل وقته وكل ما يقدر عليه في سبيل ربه حتى ينال ذلكم الفخار الذي يظل عبر الزمان يدوي في سمع الدنيا «**ما نفعني مالٌ قط ما نفعني مال أبي بكر**» والحديث في المسند وغيره بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**ما نفعني مالٌ قط ما نفعني مال أبي بكر**» فبكى أبو بكر وقال: وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله؟! وفي لفظ: «فبكى أبو بكر وقال: وهل نفعني الله إلا بك؟ وهل نفعني الله إلا بك؟ وهل نفعني الله إلا بك؟»(١).

تأمل هذا السبق العجيب، وهذا البذل الفريد، والفضل الكبير المجيد لهذا الصديق الذي امتلأ قلبه باليقين والتوحيد. يسبق كل أحدٍ في الأمة ببذل ماله كله وتسخير كل ما يملك من طاقة وجهد ومال لنصرة دين الله عز وجل.

نخلة بنخلة في الجنة

وهذا أبو الدحداح رضي الله عنه صاحب اليقين العظيم والبذل الكبير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ **مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٌ كَرِيمٌ** ﴾ [الحديد: ١١].

---

(١) رواه أحمد في «المسند» [٢/ ٣٦٦] وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٥٨٠٨].

قال أبو الدحداح الأنصاري: وإن الله ليريد منا القرض؟ قال: نعم يا أبا الدحداح قال: أرني يدك يا رسول الله قال: فناوله رسول الله يده، قال: فإني أقرضت ربي حائطي. قال: وحائطه له فيه ستمائة نخلة، وأم الدحداح فيه وعيالها، قال: فجاء أبو الدحداح فنادى: يا أم الدحداح، قالت: لبيك. قال: اخرجي من الحائط فقد أقرضته ربي عز وجل وفي رواية أخرى أنها لما سمعته يقول ذلك عمدت إلى صبيانها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم(١).

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قال: «**كم من عذق معلَّق في الجنة لأبي الدحداح**».

أحبتي إخوتي، رأيتم كيف كان بذلهم وكيف كان صدقهم وكيف كان يقينهم ماذا بذلنا من أموالنا؟! وماذا قدمنا من أوقاتنا لنصرة ديننا؟ تُرى لو كان فينا أمثال هؤلاء الصادقين أفيكون هذا حالنا؟! إن هزيمة الأمة وذل الأمة وضعف الأمة في هذه الأيام سببه غياب منهج الصحابة عن أرض الواقع إلا في النادر. لو تحولت الأمة إلى هذه الروح البذول وهذا الحرص العظيم، وهذا الجلد والصبر والثبات والعطاء من أجل نصرة الإسلام لغيَّر الله الحال وبدَّل الواقع ولتوارت خفافيش الظلام، واختبأت أفاعي الكيد خوفًا من صولة الحصن، وزئير الجنود الصادقين الذين يعيشون بالإسلام، وأنت أخي جندي الإسلام، أنت أنت أمة الإسلام فما هو حالك مع دينك؟ ما هو قدر التزامك به وإعزازك له؟! ما هو العمل الذي قدمته خلال سنوات عمرك الماضية خدمة لدين الله؟! استحِ من ربك أن تقدم يوم القيامة وقد تخاذلت عن نصرة دينه. اللهم استخدمنا ولا تستبدل بنا وآثرنا ولا تؤثر علينا.

---

(١) رواه مسلم برقم [٦٦٥].

openkanal.com

عاشرًا - الاهتمام العظيم بطلب العلم ونشره وتعليمه

كل سائر وسالك في الطريق إلى الله تعالى لابد له من بصيرة يميز بها بين الحق والباطل والهدى والضلال، فالبصيرة للقلب كالنور للعين ولذا قال ربنا جل وعلا: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨].

والدعوة المثمرة المؤثرة هي التي تقوم على هذه البصيرة حيث تتزكى نفس صاحبها أولًا ثم تزكو بزكاته نفوس من حوله. والبصيرة هي العلم واليقين كما ذكر غير واحد من المفسرين. لذا كان الصحابة هم أولو البصائر النافذة والقلوب العليمة الفقيهة بأحكام هذا الدين وآدابه.

فالعلم هو السبيل الوحيد لتصحيح العقيدة وتصويب العبادة وتقويم الأخلاق. وهو مرقاة السمو، ومعراج القُرب، وسبيل الحب للرب، وطريق الخشية والمراقبة للملك العليم الحكيم جل جلاله.

ولعلك وقفت كثيرًا على أحاديث عديدة ترى فيها اجتماع الصحابة عند رسول الله ﷺ، وجلوسهم بين يديه يتعلمون ويتفقهون ويزكون أنفسهم بنور البينات والآيات، وروعة الأحاديث والعظات وما تركوا شيئًا قاله رسول الله أو فعله أو أقره إلا نقلوه بعد أن تعلموه وفقهوه حتى ذكروا أن النبي ﷺ قرأ سورة المؤمنون في الصلاة ثم سعل سعلة فركع.

وذكر أبو هريرة أن النبي ﷺ سكت بعد تكبيرة الإحرام وقبل القراءة فكل شيءٍ شاهدوه وسمعوه من رسول الله ﷺ وحفظوه ثم نقلوه إلينا مكملًا فهم حملة الدين وورثة النبي ﷺ. وهم أئمة العلماء، وقدوة للمعلمين والمتعلمين.

وهذا هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد وضع لنفسه ولجاره خطة محكمة حتى لا يفوته شيءٍ من العلم كما روى البخاري رضي الله عنه قال: كنتُ أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يومًا وأنزل يومًا، فإذا نزلتُ جئته بخبر ذلك فنزل اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته فَضَرَبَ بابي ضربًا شديدًا فقال: أثمَّ هو؟ ففزعتُ ثم خرجت إليه فقال: قد حدث أمرٌ عظيم... الحديث وفيه أن عمر رضي الله عنه قال: فدخلت على حفصة فإذا هي تبكي قلت: طلقكن رسول الله؟ قالت: لا أدري ثم دخلتُ على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت وأنا قائم: أطلقت نساءك؟ قال: لا فقلت: الله أكبر(١).

وهذا إمام الحفاظ أبو هريرة رضي الله عنه يحرص على أن يحفظ كل شيءٍ سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى البخاري عنه رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، إني أسمع منك حديثًا كثيرًا أنساه، قال: ابسط رداءك، فبسطته. قال: فغرف بيده ثم قال: «ضُمَّه» فضممته فما نسيتُ شيئًا بعدُ(٢).

كان أبو هريرة يحفظ أحاديث الرسول وكان عبد الله بن عمرو هو الآخر حريصًا على أحاديث الرسول وحفظها ولذا كان يكتب الأحاديث ليحفظها.

كما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه **قال:** ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحدٌ أكثر حديثًا عنه منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب(٣).

---

(1) رواه البخاري برقم [٨٩].

(2) رواه البخاري برقم [١١٩].

(3) رواه البخاري برقم [١١٣].

www.alukah.net

وهذا هو الإمام العالم القارئ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول عنه شقيق بن سلمة: خطبنا عبد الله بن مسعود فقال: والله لقد أخذتُ من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعًا وسبعين سورة. والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أني من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم. قال شقيق: فجلست في الحلق أسمع ما يقولون فما سمعت رادًا يقول غير ذلك[1].

وها هو رضي الله عنه يبين حرصه العظيم على تعلم العلم ويبين كثرة ما حصله وتعلمه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: والله الذي لا إله غيره! ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبتُ إليه[2].

وهذا أبو الدرداء حكيم هذه الأمة وسيد القراء بدمشق كما يقول الذهبي: ورد عنه في هذا الباب ما يلي.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: مالي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون، تعلَّموا فإن العالم والمتعلم شريكان في الأجر.

قيل لأم الدرداء: أي عبادة أبي الدرداء كانت أكثر؟ قالت: التفكر والاعتبار. وقيل: الذين في حلقة أبي الدرداء كانوا أزيد من ألف رجل ولكل عشرة منهم ملقن، وكان أبو الدرداء يطوف عليهم قائمًا فإذا أحكم الرجل منهم تحول إلى أبي الدراء يعني يعرض عليه.

---

(1) رواه البخاري برقم [٥٠٠٠].

(2) رواه البخاري برقم [٥٠٠٢].

قال أبو الدرداء رضي الله عنه : لو أُنسيت آية لم أجد أحدًا يذكرنيها إلا رجلًا ببرك الغماد رحلت إليه(١).

وهذا هو الحبر العلم، الذكي الفطن، الفقيه المفسِّر، المحدث اللغوي البارع هذا هو بحر العلم والحكمة عبد الله بن عباس رضي الله عنه انظر إلى حُسن فهمه وبراعة تفكيره في بداية أمره لقد أقبل على الصحابة يسألهم واحدًا واحدًا ويجمع ما عندهم من العلم حتى اجتمع في قلبه أكثر علم الصحابة يقول رضي الله عنه : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار: هلم نسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم اليوم كثير. فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس!! أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترى؟ فتركتُ ذلك وأقبلتُ على المسألة فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل فأتوسَّدُ ردائي على بابه فتُسفي الريح عليَّ التراب فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟فأقول: أنا أحق أن آتيك فأسألك.

قال: فبقى الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس عليَّ فقال: هذا الفتى أعقل مني(٢).

نعم، اثبت حتى تنبت، اصبر حتى تمهر، حلاوة العاقبة تكون بعد تجرع مرارة الصبر. فمن صبر على التعلم في بداية أمره، نال ثمرة العلم وبركته في نهاية عمره، وثواب الآخرة أجزل وأوفى وأعظم وأبقى.

---

(1)«سير أعلام النبلاء» [٢/ ٣٤٢-٣٤٨] و«برك الغماد» موضع في ناحية اليمن أو في أقاصي أرض هَجَر.

(2)رواه الحاكم [٣/ ٥٣٨] وصححه ووافقه الذهبي. وأورده الذهبي في «السير» [٣/ ٣٤٣] وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

ومن فقه هذا الإمام وكمال فهمه وعقله أنه كان يسأل عن الفتوى عددًا من علماء الصحابة حتى يستقر في نفسه الحق والصواب ويستيقن من سداد الجواب قال رضي الله عنه: إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم [١].

ويقول عنه تلميذه مجاهد بن جبر: كان ابن عباس يُسمَّى البحر لكثرة علمه. وقال: ما رأيت أحدًا قط مثل ابن عباس لقد مات يوم مات وإنه لحبر هذه الأمة [٢].

قال ابن عباس رضي الله عنه: وجدت عامة علم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذا الحي من الأنصار، إن كنتُ لآتي الرجل منهم فيقال لي: هو نائم فلو شئت أن يوقظ لي فأدعه حتى يخرج لأستطيب بذلك قلبه.

وفي لفظ عند ابن سعد في الطبقات: لو شئت أن يوقظ لي لأوقظ فأجلس على بابه تُسفي الريح على وجهي التراب حتى يستيقظ متى استيقظ فأسأله عما أريد ثم أنصرف [٣].

وقال أبو وائل: خطبنا ابن عباس وهو أمير على الموسم فافتتح سورة النور فجعل يقرأ ويفسر فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثل هذا لو سمعته فارس والروم والترك لأسلمت [٤].

وعن مسروق قال: كنت إذا رأيت ابن عباس قلتُ: أجمل الناس فإذا نطق قلت: أفصح الناس، فإذا تحدث قلت: أعلم الناس [٥].

---

(1) «السير» [٣/ ٣٤٤] وقال الذهبي: إسناده صحيح.

(2) «السابق» [٣/ ٥٣٥].

(3) «السير» [٣/ ٣٤٣] وقال الأرناؤوط: إسناده حسن.

(4) «المستدرك» للحاكم [٣/ ٥٣٧]، و«الحلية» لأبي نعيم [١/ ٣٢٤]، و«السير» [٣/ ٣٥١].

(5) «السير» للذهبي [٣/ ٣٥١].

وهذا جابر بن عبد الله رضي الله عنه يسافر الليالي والأيام يحطه ليل ويحمله نهار لمدة شهر كامل في طريق السفر ليطلب العلم ولكن يا ترى كم من الأحاديث رحل لكي يسمعها؟ كم من الشهادات سافر لكي يحصلها؟ إنه سافر ورحل مسيرة شهر كامل في طلب حديث واحد! أورد البخاري في الصحيح معلقًا بصيغة الجزم في كتاب العلم باب الخروج في طلب العلم قال: ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد.

ثم ذكر هذه الرحلة مفصَّلة في كتاب الأدب المفرد عن عقيل أن جابر بن عبد الله حدثه أنه بلغه حديث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فابتعتُ بعيرًا فشددتُ إليه رحلي شهرًا حتى قدمتُ الشام فإذا عبد الله بن أُنيس فبعثتُ إليه أن جابرًا بالباب فرجع الرسول فقال: «جابر بن عبد الله؟» فقلت: نعم فخرج فاعتنقني. قلت: حديثٌ بلغني لم أسمعه خشيت أن أموت أو تموت قال: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**يحشر الله العباد أو الناس عُراة غرلًا بُهمًا**». قلت: ما بهمًا؟ قال: ليس معهم شيء، فيناديهم بصوت يسمعهُ من بعُد- أحسبه قال: كما يسمعه من قرب -: أنا الملك. ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة يدخل الجنة وأحدٌ من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحدٍ من أهل النار يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة، قلت: كيف؟ وإنما نأتي الله عُراة بُهمًا؟ قال: «**بالحسنات والسيئات**»[1].

وهذا أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه يرحل من المدينة النبوية إلى مصر ليروي حديثًا واحدًا عن عقبة بن عامر رضي الله عنه . قال عطاء بن أبي رباح خرج أبو أيوب إلى

---

(1) رواه البخاري في «الأدب المفرد» في باب [المعانقة] برقم [٩٧٠] وحسنه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» برقم [٧٥٠/ ٩٧٠] وفي «الصحيحة» برقم [١٦٠].

عقبة بن عامر وهو بمصر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ فلما قدم أتى منزل مسلمة بن مُخَلَّد الأنصاري وهو أمير مصر فأخبر به فعجل فخرج إليه فعانقه وقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ قال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحدٌ سمعه غيري وغير عقبة فابعث من يدلني على منزله قال: فبعث معه من يدله على منزل عقبة فأخبر به عقبة فعجل فخرج إليه فعانقه وقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعتُه من رسول الله ﷺ لم يبق أحدٌ سمعه غيري وغيرك في ستر المؤمن.

قال: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من ستر مؤمنًا في الدنيا على خزية ستره الله يوم القيامة**». فقال له أبو أيوب: صدقت ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعًا إلى المدينة فما أدركته جائزة مسلمة بن مخلد إلا بعريش مصر[(١)].

هذان موقفان من رحلة الصحابة في طلب حديث واحد فما بالك بحرصهم على حديث الرسول ﷺ وهو بينهم؟! لقد لازم الصحابة رسول الله ﷺ يأخذون عنه العلم ويتعلمون منه الشرع الشريف والتفوا من حوله يسألونه ويستفتونه في كل ما أشكل عليهم ليستخرجوا من فم رسول الله ﷺ بهذه الفتاوى علمًا جمًا يكون هداية ونورًا لهم ولكل من جاء بعدهم فقد سألوا رسول الله ﷺ عن الأنفال، وسألوه عن الخمر والميسر، وسألوه عن المحيض، وسألوه عن القتال في الشهر الحرام، وسألوه عن ماء البحر وغير ذلك كثير وقد امتلأت كتب السنة بمثل هذه الفتاوى النبوية التي تعلم الصحابة من خلالها أحكام الدين وآدابه.

---

(١) رواه الحميدي في مسنده [٣٨٤]، وأحمد في «المسند» [٤/ ١٥٣] مختصرًا وانظر: «السلسلة الصحيحة» للألباني حديث رقم [٢٣٤١].

ولم يقتصر التعلم على الرجال فحسب بل حرصت الصحابيات أن يتفقهن في الدين وأن يتعلمن ما تصح به عقائدهن وعبادتهن لله جل جلاله، من ذلك ما ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم: غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يومًا من نفسك فوعدهن يومًا لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال لهن: «**ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابًا من النار**». فقالت امرأة: واثنين؟ فقال: «**واثنين**»(١).

ومع عظمة الحياء وشدة الحياء لدى المؤمنين من الصحابة من الرجال والنساء فإن الحرص على الفقه والاهتمام الشديد بتعلم الحلال والحرام دفع هذه الصحابية المباركة لتسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرٍ طالما سكت النساء عنه وامتنعن من السؤال عنه لشدة الحياء ولكن هذه الموفقة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتكون هذه المعلومة في ميزان أعمالها الصالحة يوم القيامة إنها أم سليم رضي الله عنها، كما في الصحيحين عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: جاءت أم سليم امرأة أبي طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق هل على المرأة غسل إذا هي احتلمت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**نعم إذا رأت الماء**»(٢).

وهذه امرأة أخرى من نساء الصحابة تقنص فرصة أنها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتتوجَّه إليه في الحال، بما لديها من سؤال ليكون في إجابة سؤالها، تشريعًا للأمة من بعدها كما روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي ركبًا بالروحاء فقال: «**من القوم؟**» فقالوا: المسلمون.

---

(1) رواه البخاري برقم [١٠١].

(2) رواه البخاري برقم [٢٨٢]، ومسلم برقم [٣١٣].

فقالوا: من أنت؟ قال: «رسول الله» ﷺ: فرفعت إليه امرأة صبيًا فقالت: ألهذا حج؟ قال: «**نعم ولك أجر**»(١).

وها هو النبي ﷺ يلقى العلم على نساء الصحابة فيستجبن لموعظته ثم تأتي اثنتان منهن لتسألا رسول الله ﷺ عن أمرٍ أشكل عليهما وإحداهما هي زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ففي الصحيحين عنها رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ: «**تصدقن يا معشر النساء ولو من حُلِيِّكن**» قالت: فرجعتُ إلى عبد الله بن مسعود فقلت له: إنك رجلٌ خفيف ذات اليد وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فأته فاسأله فإن كان ذلك يجزئ عني وإلا صرفتُها إلى غيركم فقال عبد الله: بل ائتيه أنت، فانطلقتُ فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتي حاجتها وكان رسول الله ﷺ قد أُلقيت عليه المهابة، فخرج علينا بلال فقلنا له: ائت رسول الله ﷺ فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك: أتجزيء الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما؟ ولا تخبره من نحن فدخل بلالٌ على رسول الله ﷺ فسأله، فقال له رسول الله ﷺ: «**من هما؟**» قال: امرأة من الأنصار وزينب فقال رسول الله ﷺ: «**أي الزيانب هي؟**» قال: امرأة عبد الله. فقال رسول الله ﷺ: «**لها أجران؛ أجر القرابة وأجر الصدقة**»(٢).

هكذا كانت همة الصحابة في طلب العلم والحرص عليه جالسوا رسول الله ﷺ ليقتبسوا من نور هديه وزكوا أنفسهم بالقرآن والسنة منذ بداية الدعوة

---

(1) رواه مسلم [١٣٣٦].

(2) رواه البخاري برقم [١٤٦٦]، ومسلم برقم [١٠٠٠].

obeikandl.com

ومنذ أن بزغ الإسلام كانوا يلتفون حول رسول الله ﷺ في دار الأرقم يتزودون من معين النبوة وهدي الرسول ﷺ وتأمَّلهم وقد اجتمعوا حول رسول الله ﷺ في حديث جبريل عندما سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، تأمله في حديث سؤال الرسول ﷺ لأصحابه: «**إن من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم**».

تأمله في حديث أبي واقد الليثي في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد.. الحديث.

والأحاديث في ذلك كثيرة جدًا يصعب حصرها وعدها في هذا السياق ولكن تكفي الإشارة إليها لتعلم مدى حرص الصحابة على الانتفاع بالعلم واستماعه والعمل به وتعليمه للناس.

قال الأوزاعي: حدثني أبو كثير عن أبيه قال: أتيتُ أبا ذر وهو جالسٌ عند الجمرة الوسطى وقد اجتمع الناس عليه يستفتونه فأتاه رجل فوقف عليه فقال: ألم ينهك أمير المؤمنين عن الفتيا؟ فرفع رأسه ثم قال: أرقيبٌ أنت عليَّ؟! لو وضعتم الصمامة على هذا وأشار إلى قفاه ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله قبل أن تجيزوا عليَّ لأنفذتها(١).

---

(١) «الحلية» لأبي نعيم [١/ ١٦٠]، «السير» للذهبي [٢/ ٦٤] والصمصامة أي: السيف القاطع. وأصله في البخاري.

لقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - خير علماء الأمة. فكانت بيوتهم ومساجدهم وأسواقهم ومنتدياتهم مدارس للعلم وميادين لإرساء مبادئ الدين كانت مجلسهم حتى على الطعام والشراب وأثناء البيع والشراء مجالس علم، يفيدون وينصحون ويعلمون وينشرون أنوار الهداية بين الناس، وتأمل هذا الموقف العجيب لتقف على دقة وسعة حفظ أبي هريرة وحرصه على البلاغ ونشر السنة في الناس قال أبو الزعيزعة كاتب مروان: إن مروان أرسل إلى أبي هريرة فجعل يسأله وأجلسني خلف السرير وأنا أكتب حتى إذا كان رأس الحول دعا به فأقعده من وراء الحجاب فجعل يسأله عن ذلك الكتاب فما زاد ولا نقص ولا قدَّم ولا أخَّر.

قال الذهبي: هكذا فليكن الحفظ.

وفي لفظ عن سعيد بن أبي الحسن قال: لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثًا من أبي هريرة عن النبي ﷺ وإن مروان زمن هو على المدينة أراد أن يكتب حديثه كله فأبى وقال: اروِ كما روينا.

فلما أبى عليه تغفله مروان وأقعد له كاتبًا ثقفًا ودعاه فجعل أبو هريرة يحدثه ويكتب ذلك الكاتب حتى استفرغ حديثه أجمع ثم قال مروان: تعلم أنا قد كتبنا حديثك أجمع؟ قال: وقد فعلت؟! قال: نعم قال: فاقرءوه عليَّ فقرءوه فقال أبو هريرة: أما إنكم قد حفظتم وإن تطعني تمحه. قال: فمحاه[(١)].

إن منزلة العلم عند الصحابة كانت من أعلى المنازل إذ لا طريق لصحة العمل وسلامة الإيمان إلا بالعلم، وكلما انتشر العلم في الناس توارت المنكرات وانمحت

---

(١) «السير» للذهبي [٢/ ٥٩٨].

البدع والمخالفات. والعلم من أهم السبل لرفعة الأمة وخروجها من كبوتها التي قبعت فيها سنين طويلة. نعم لابد من العلم بالله وأسمائه وصفاته وحلاله وحرامه، ونعمه وآلائه، ولابد من العلم بسنة النبي ﷺ وسيرته وأخلاقه فإذا انتشر هذا العلم في الأمة استفاقت من غفوتها، وانتبهت من رقدتها وليكن لنا في أصحاب رسول الله ﷺ أسوة وقدوة، ولنسارع إلى العلم كما سارعوا، ولنثابر ونصابر على نشره وبلاغه كما بلغوه إلينا وعلمونا إياه.

وأختم هذا الفصل بالحديث عن أفقه وأعلم امرأة في هذه الأمة على الإطلاق إنها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا[(١)].

قال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة أفقه الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامة[(٢)].

وقال عروة بن الزبير: ما رأيت أحدًا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة رضي الله عنها.

وعنه قال: ما رأيت أحدًا أعلم بالطب من عائشة فقلت: يا خالة ممن تعلمت الطب؟ قالت: كنت أسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه[(٣)].

---

(1) أخرجه الترمذي برقم [٣٨٨٣] وقال: حسن صحيح.

(2) «السير» للذهبي [٢/ ١٨٥].

(3) «السابق» [٢/ ١٨٣].

opeikandl.com

وقال هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير وهو ابن أخت السيدة عائشة أسماء قال: لقد صحبت عائشة، فما رأيت أحدًا قط كان أعلم بآية نزلت، ولا بفريضة ولا بسنة ولا بشعر، ولا أروى له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسب ولا بكذا ولا بكذا ولا بقضاء ولا طب منها فقلت لها: يا خالة، الطب من أين عُلِّمتيه؟ فقالت: كنتُ أمرض فينعت لي الشيء، ويمرض المريض فينعت له، وأسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه.

قال عروة: فقد ذهب عامة علمها لم أسأل عنه[1] وعن الشعبي أن عائشة قالت: رويتُ لِلبيد نحوًا من ألف بيت. وكان الشعبي يذكرها ويتعجب من فقهها وعلمها ثم يقول: ما ظنكم بأدب النبوة[2].

ومما يؤكد ويقرر شدة اهتمام الصحابة بالعلم وأهله هذا الحديث الذي يبين توقير أهل العلم وتقديمهم على غيرهم وأن هذا مما استقر في نفوس الصحابة الكرام كما في صحيح مسلم أن نافع بن الحارث لقي عمر بن الخطاب بعُسفان.

وكان عمر استعمله على أهل مكة فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى. فقال عمر: ومن ابن أبزى؟ قال: مولىً من موالينا فقال عمر: فاستخلفت عليهم مولى؟! فقال: يا أمير المؤمنين، إنه قارئ لكتاب الله، عالمٌ بالفرائض فقال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين**»[3].

(1) «السير» للذهبي [٢/ ١٨٣].

(2) «السابق» [٢/ ١٩٧].

(3) رواه مسلم برقم [٨١٧].

ألا ليت مساجدنا تعمر بدروس العلم، ألا ليت قومنا يقبلون على العلم بعض إقبالهم على الدنيا. إن مما يؤلم القلب وفي نفس الوقت ترى لهثًا وراء اللهو وتسابقًا إلى السفاهة والخبث فياحسرة أمة يعرض رجالها عن علم الكتاب والسنة ويتثاقلون إلى الأرض أو ينصرفون إلى رغباتٍ خسيسة مهنية تترجم ما في القلوب من ضياع وغفلة لذلك أحبتي إخواني، اعمروا بيوت الله وكثروا سواد المسلمين في دروس العلم، ادعوا الناس إليها وعلموهم الحرص عليها وكونوا أول المسارعين ليتعلم الناس من حالكم قبل قولكم فتلك نصرة لدين الله نحتاجها في أيامنا أيام الغربة هذه.

حادي عشر - صدق المحبة والاتباع للرسول ﷺ

إن أكمل القدوة، وأعظم الأسوة، وأصدق مثال لإقامة العبودية لله - عز وجل - على وجه الأرض تتمثَّل في سيرة وسنة سيد الخلق رسول الله ﷺ .

وهؤلاء الصحابة الكرام عاشوا مع رسول الله ﷺ في السراء والضراء، والسلم والحرب، والرضا والغضب، والاستضعاف والتمكين ورأى كل واحدٍ منهم الإسلام واقعًا مشاهدًا أمام ناظريه وذلك من خلال سلوكيات وأعمال المصطفى ﷺ إذ إن السيرة النبوية تعتبر بمثابة المذكرة التفصيلية والترجمة الواقعية للشريعة الإسلامية.

وعندما يمتلئ سمع الصحابي وقلبه وعينه بحُسن أخلاق النبي ﷺ فلا يملك حينئذٍ إلا التأسي والاقتداء والاهتداء بالرسول ﷺ . فكل من صاحب العظماء يقتبس من هديهم، ويتطلع إلى مشابهتهم فكيف بمن صاحب خير الخلق وسيد البشر وإمام النبيين رسول الله ﷺ ؟!

إنه لا طريق للجنة إلا من خلال هديه، ولا سبيل إلى رضوان الله إلا باتباع نهجه

والسير على دربه قال الله جل جلاله: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

قال ربنا جل ذكره: ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الشورى:٥٢-٥٣].

ومن أسباب تفوق الصحابة على من بعدهم وسبقهم إلى الدرجات العالية والمراتب السامية صدق حبهم واتباعهم لرسول الله ﷺ ذلكم الحب الذي لم تعرف له الدنيا نظيرًا ولا مثيلًا، ذلكم الحب الذي تجسّد في مواقف رائعة لا يسطرها إلا الصدق ولا يوجدها في الواقع إلا الإيمان حتى ارتاع الكافرون وتعجبوا من روعة هذا الحب حب الصحابة للنبي ﷺ حيث رأوا شيئًا لم يعهدوه، ووجدوا حقائق لم يألفوها في دين محبة البشر للبشر.

فها هو عروة بن مسعود يمتلئ قلبه بالدهشة عندما رأى صورة من هذا الحب الصادق من الصحابة لرسول الله ﷺ وذلك حينما ذهب ليفاوض رسول الله يوم الحديبية ثم رجع إلى قريش لينقل تلك الصورة الناصعة التي رآها بأم عينه فقال لقومه: أي قوم، والله لقد وفدتُ على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إنْ رأيتُ ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدًا، والله إنْ تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره،

وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحِدُّون النظر إليه تعظيمًا له[(١)].

إنه حب الصادقين وتوقير العالمين لسيد الخلق أجمعين ﷺ وهل في الخلق أحدٌ أولى بالتعظيم والتوقير والتعزير من البشير النذير والسراج المنير عليه صلوات الحكيم الخبير؟!

ودع المواقف تنطق بالحب، واترك الأحداث تبين حقيقة الإيمان في قلوب أولئك الأخيار. بعد هذا التوقير الذي رأيت صورة منه، أتظن أن واحدًا منهم يقدم قولًا على قول رسول الله أو هديًا على هديه أو يرد أحاديثه الثابتة بزعم أنه تناقض لعقل الهزيل السفيه لدى أولئك المخرفين الذين انطمست فطرهم وضلت بصائرهم من أهل عصرنا؟!

ولقد وصف الصحابة أثناء جلوسهم واستماعهم لرسول الله ﷺ بوصف عجيب يملأ القلب بالهيبة والجلال فمن ذلك قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «وسكت الناس كأن على رءوسهم الطير»[(٢)].

وانظر وتأمل في أدب الصديق العالي مع رسول الله ﷺ في الصحيحين من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم فحانت الصلاة فجاء المؤذن إلى أبي بكر فقال: أتصلي للناس فأقيم؟ قال: نعم[(٣)].

---

(1) رواه البخاري برقم [٢٧٣١].

(2) رواه البخاري برقم [٢٨٤١].

(3) رواه البخاري برقم [٦٨٤]، ومسلم برقم [٤٣١] وقد سبق.

والشاهد فيه الحديث قول الصديق: ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله ﷺ.

وها هو يدفع ويدافع عن رسول الله ﷺ في بدايات الدعوة عندما اشتدت ضراوة الابتلاءات على النبي ﷺ وأصحابه كما روى البخاري عن عروة بن الزبير قال: سألت عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ.

قال: بينا النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ قال: ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ**﴾ [غافر: ٢٨][(١)].

ويبدو صدق الحب من الصديق للنبي ﷺ أن يكون أحب شيءٍ إليه هو أحبه لرسول الله ﷺ كما قيل: حبيب حبيبي حبيبي وعدو حبيبي عدوى وتلمح هذا في الموقف التالي: روى البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما أرضه من فدك وسهمه من خيبر فقال أبو بكر رضي الله عنه: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا نُورث، ما تركنا صدقة**». إنما يأكل آل محمد في هذا المال، والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليَّ أن أصل من قرابتي.

والشاهد قوله رضي الله عنه: والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليَّ أن أصل من قرابتي فصلته لأهل بيت النبي أحب إليه من أن يصل أهله ويكرمهم.

---

(١) رواه البخاري برقم [٤٠٣٥-٤٠٣٦].

ومن المعلوم أن أبا طالب مات على الشرك وهو عم النبي ﷺ وكان الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - حريصًا على إسلامه واجتهد في ذلك ولكن سبق قدر الله ومات أبو طالب على الكفر. ولما دخل الرسول ﷺ مكة فاتحًا، وجاء أهلها يسلمون بين يديه ويبايعونه على الإسلام.

وجيء بأبي قحافة والد الصديق ليسلم بين يدي رسول الله ﷺ فوضع يده في يد رسول الله ﷺ ليبايعه على الإسلام وهنا بكى أبو بكر واشتد بكاؤه فقال له رسول الله ﷺ: «**ما يبكيك يا أبا بكر؟**». فقال: والله لأن تكون هذه يد عمك وتقر عينك أحب إليَّ من أن تكون يد أبي[1].

وهذا مشهد عظيم من مشاهد حب الصديق لرسول الله ﷺ وأدبه معه كما في حديث الهجرة المروي في الصحيحين أن أبا بكر رضي الله عنه قال: ارتحلنا من مكة فأحيينا أو سرينا ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة فرميت ببصري هل أرى من الطلب أحدًا؟ فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها الذي أردنا، فسألته فقلتُ له: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من قريش سمَّاه فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم قلتُ، فهل أنت حالبٌ لنا؟ قال: نعم فأمرته فاعتقل شاة من غنمه ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته أن ينفض كفيه فقال هكذا ضرب إحدى كفيه بالأخرى فحلب لي كُثبة من لبن، وقد جعلت لرسول الله ﷺ إداوة على فمها خرقة فصببتُ على اللبن حتى برد أسفله، فانطلقت به إلى النبي ﷺ فوافقته قد استيقظ فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب حتى رضيت ثم قلت: قد آن الرحيل يا رسول الله قال: «**بلى**».

---

(١) «الإصابة» [٧/ ٢٣٧] وصححه ابن حجر في «ترجمة أبي طالب».

فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحدٌ منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرسٍ له فقلت له: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله فقال: «**لا تحزن؛ إن الله معنا**»(١).

في هذا الحديث السابق تلمح حب الصديق الصادق لرسول الله ﷺ وخدمته له، وما أروع هذه اللفظة الرقراقة في هذا الحديث حينما يقول الصديق رضي الله عنه: «فشرب حتى رضيت» هو الذي قد شرب حتى رضيت أنا فكأن ري النبي ري للصديق رضي الله عنه وشبع النبي ﷺ شبع للصديق رضي الله عنه.

ويدلك كذلك على شدة محبة الصديق للرسول ﷺ هذا الحديث الذي رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: «**إن الله خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله**» قال: فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبدٍ خُيِّر فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر وكان أبو بكر أعلمنا فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربي لاتخذتُ أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر**»(٢).

وهذا هو فاروق الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتأدب مع رسول الله ﷺ بعد نزول آية من كتاب الله عز وجل في شأنه هو والصديق رضي الله عنهما قال

---

(1) رواه البخاري برقم [٣٦٥٢] ومسلم برقم [٢٠٠٩].

(2) رواه البخاري برقم [٣٦٥٢] ومسلم برقم [٢٠٠٩].

ابن أبي مُلَيْكَة: كاد الخَيِّران أن يهلكا: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركبُ بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع وأشار الآخر بِرَجُلٍ آخَرَ قال نافع: لا أحفظ اسمه فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي قال: ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ ﴾ [الحجرات: ٢].

قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمع النبي صلى الله عليه وسلم حتى يستفهمه[(١)].

وكان ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه جهوري الصوت. يرتفع صوته بطبيعته عند النبي صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية السابقة فزع وارتعد قلبه وجلس في بيته منكسًا رأسه، يفتت ألم الحزن فؤاده خوفًا من هذه الآية الكريمة وظنًا منه بأنه قد لحق به الوعيد الوارد فيها روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢] **جلس ثابت بن قيس في بيته وقال:** أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال: يا أبا عمرو، ما شأن ثابت؟ أشتكى؟ قال سعد: إنه لجاري وما علمت له بشكوى.

قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا من أهل النار.

(١) رواه البخاري برقم [٤٨٤٥].

فذكر ذلك سعدٌ للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**بل هو من أهل الجنة**»[(١)].

وهذا ذو النورين عثمان بن عفان وحسن أدبه مع سيد الخلق رسول الله ﷺ.

كما في السير للذهبي: لما أذنت قريشٌ لعثمان بن عفان في الطواف بالبيت حين وجهه رسول الله إليهم في القضية أبى أن يطوف بالبيت وقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ[(٢)].

وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يفدي رسول الله ﷺ بنفسه ويحمي الدعوة كلها ويلقي بنفسه في موطن هلكة حُبًا للرسول ﷺ وتضحيةً منه في سبيل الله - عز وجل - كما في المسند والمستدرك بسند صحيح عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: شرى عليٌّ نفسه ولبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه وكان المشركون يرمون النبي ﷺ، وقد كان النبي ﷺ ألبسه بُرده، وكانت قريشٌ تريدُ أن تقتل النبي ﷺ فجعلوا يرمون عليًا ويرون أنه رسول الله وقد لبس بُرده وجعل عليٌّ رضي الله عنه يتضوَّر فنظروا فإذا هو علي فقالوا: إنك للئيم إنك لتتضوَّر وصاحبك لا يتضوَّر ولقد استنكرناه منك[(٣)].

---

(1) رواه مسلم برقم [١١٩]. وهو عند البخاري بلفظ آخر قريب برقم [٤٨٤٦].

(2) «سير أعلام النبلاء» [٣/ ٢٩٠].

(3) رواه الحاكم في «المستدرك» [٣/ ٤] وصححه ووافقه الذهبي ورواه أحمد [٢٠/ ٢٧٩] وصححه أحمد شاكر برقم [٣٠٦٢] ومعنى يتضور: يتألم.

وهذا طلحة بن عبيد الله يدافع عن رسول الله يوم أحد حتى شُلَّت يد طلحة أثناء دفاعه عن المصطفى ﷺ يقول قيس بن أبي حازم: رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ﷺ يوم أحد[١].

وذاك هو أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه يدافع عن رسول الله ﷺ ويرمى بين يديه، ويجعل من جسده حائط صدٍّ منيع لسهام المشركين ويقول للنبي ﷺ: بأبي أنت وأمي لا تُشرف، يصيبك سهمٌ من سهام القوم، نحري دون نحرك[٢].

وسأل أبو سفيان بن حرب وهو يومئذٍ على الشرك حينما أخرجوا زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه رضي الله عنه وقد كان أسيرًا عندهم سأله أبو سفيان: أتحب أن محمدًا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وإنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالسٌ في أهلي، فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمدٍ محمدًا[٣].

وأخرج الطبراني وابن مردويه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنك لأحب إليَّ من نفسي، وأحب إلى من أهلي وأحب إليَّ من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإن دخلتُ الجنة خشيتُ أن لا أراك فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى نزلت: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ

---

(1) رواه البخاري برقم [٤٠٦٣].

(2)رواه البخاري برقم [٤٠٦٤].

(3) «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير [٤/ ٦٥].

obeikandi.com

وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء: ٦٩] (١).

وقال سعد بن معاذ رضي الله عنه **للنبي** صلى الله عليه وسلم **يوم بدر**: يا نبي الله، ألا نبني لك عريشًا تكون فيه، ونعد ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا. فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حبًا لك منهم. لو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك، يمنعك الله يناصحونك ويجاهدون معك، فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرًا ودعا له بخير (٢).

وبلغ معاوية رضي الله عنه أن كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبَّل بين عينيه وأقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣).

وهذا سعد بن الربيع رضي الله عنه حين تثخنه الجراح في غزوة أحد ويرسل النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت يبحث عنه في القتلى قال زيد: فجعلت أطوف بين القتلى فأصبته وهو في آخر رمق، وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم. فقلت له: يا سعد، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليك السلام ويقول لك: خَبِّرني كيف تجدك؟ قال: على رسول الله السلام، وعليك السلام، قل له: يا رسول الله

---

(1) رواه الطبراني [٣٣٠٨] وقال ابن كثير: قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي في كتابه «صفة الجنة»: لا أرى بإسناده بأسًا.

(2) «البداية والنهاية» لابن كثير [٣/ ٢٦٨].

(3) «السير» [٢/ ٦١٠].

أجد ريح الجنة وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن يخلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شَفْر يطرف قال: وفاضت نفسه:[١].

وأورد ابن هشام في سيرته عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد حاص أهل المدينة حيصة.

قالوا: قتل محمد حتى كثرت الصوارخ في ناحية المدينة، فخرجت امرأة من الأنصار متحزمة فاستقبلت بأبيها وابنها وزوجها وأخيها لا أدري أيهم استقبلت به أولًا فلما مرَّت على أحدهم قالت: من هذا؟ قالوا: أبوك... أخوك ... زوجك... ابنك تقول: ما فعل رسول الله ﷺ ؟ يقولون: أمامك حتى دفعت إلى رسول الله ﷺ فأخذت بناحية ثوبه ثم قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي إذ سلمت من عطب. وفي رواية قالت: كل مصيبةٍ بعدك جَلل. أي: يسيره هيِّنة[٢].

ويقول عمرو بن العاص رضي الله عنه : كما ورد ذلك في صحيح مسلم: وما كان أحدٌ أحب إليَّ من رسول الله ﷺ ولا أجلَّ في عينيَّ منه، وما كنت أطيق أن أملأ عينيَّ منه إجلالًا له، ولو سُئلت أن أصفه ما أطقتُ؛ لأني لم أكن أملأ عينيَّ منه[٣].

وهذا هو عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ينطلق بين يدي رسول الله ﷺ فينصره بشعره وقوله فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ مكة في عمرة القضاء وابن رواحة بين يديه يقول:

---

(1) رواه الحاكم في «المستدرك» [٣/ ٢٠١] وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وانظر: «السير» للذهبي [١/ ٣١٨].

(2) «سيرة ابن هشام» [٣/ ٤٣]، «البداية والنهاية» لابن كثير [٤/ ٢٨٠].

(3) رواه مسلم برقم [١٢١].

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله
ضربًا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر: يا ابن رواحة! في حرم الله وبين يدي رسول الله تقول الشعر؟!

فقال النبي ﷺ: «**خلِّ يا عمر، فهو أسرع فيهم من نضح النبل**»، وفي لفظ: فوالذي نفسي بيده! لكلامه عليهم أشد من وقع النبل(١).

وهذا عبد الله بن عباس ينشأ منذ نعومة أظفاره على خلق الأدب مع المصطفى ﷺ كما روى الإمام أحمد في المسند وأبو نعيم في الحلية وصححه شيخنا العدوي - حفظه الله - من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتيتُ رسول الله ﷺ من آخر الليل فصليت خلفه فأخذ بيدي فجرَّني فجعلني حذاءه فلما أقبل رسول الله ﷺ على صلاته خنست (تواريت ورجعت للوراء) فصلى رسول الله ﷺ فلما انصرف قال لي: «**ما شأني أجعلك حذائي فتخنس**» فقلت: يا رسول الله أو ينبغي لأحدٍ أن يصلي حذاءك، وأنت رسول الله الذي أعطاك الله؟ قال: فأعجبتُه فدعا الله لي أن يزيدني علمًا وفهمًا قال: ثم رأيت رسول الله ﷺ نام حتى سمعته ينفخ ثم أتاه بلال فقال: يا رسول الله الصلاة فصلَّى ما أعاد وضوءًا(٢).

ومن مشاهد التعظيم والتوقير للبشير النذير ما أورده البخاري ومسلم من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: إني لواقف يوم بدرٍ في الصف فنظرت عن

(1) أخرجه الترمذي برقم [٢٨٥١] وقال الأرناؤوط: إسناد قوى.

(2) رواه أحمد [١/ ٣٣٠]، وأبو نعيم [١/ ٣١٤].

obeikandi.com

يميني وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما تمنيتُ أن أكون بين أضلع منهما فغمزني أحدهما فقال: يا عماه، أتعرف أبا جهل؟ فقلت: نعم وما حاجتك إليه؟ قال: أُخبرتُ أنه يسب رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبتُ لذلك فغمزني الآخر فقال لي أيضًا مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى ابي جهلٍ وهو يجول في الناس فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه، فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه قال كل منهما: أنا قتلته، قال: هل مسحتما سيفيكما؟ قالا: لا قال: فنظر إلى السيفين فقال: كلاكما قتله: وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، والآخر معاذ بن عفراء[(١)].

ومن مشاهد تعظيم الفاروق عمر لرسول الله ﷺ أنه زجر عن مجرد رفع الصوت في مسجد رسول الله ﷺ وهمَّ بتأديب رجلين فعلا ذلك لولا أنهما غريبان وكأن معنى ذلك أنه كان قد استقر في نفوس أهل المدينة جميعًا أنه ليس من الأدب مع النبي ﷺ رفع الصوت في مسجده، وكان هذا الموقف من عمر تعليمًا للناس وتنبيهًا لهم إلى أن تعظيم النبي ﷺ ميتًا كتعظيمه حيًا وذلك من تمام وفائه وعظمة حبه للنبي ﷺ كما روى البخاري من حديث السائب بن يزيد الكندي قال: كنتُ نائمًا في المسجد فحصبني رجل، فنظرتُ فإذا عمر بن الخطاب فقال: اذهب فائتني بهذين فجئته بهما قال: من أنتما؟ أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ![(٢)].

---

(1) رواه البخاري برقم [٣٩٩٨٨]، ومسلم برقم [١٧٥٢].

(2) رواه البخاري برقم [٤٧٠].

ومن عجيب المواقف وطريف المشاهد التي وردت عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أن يفضل أسامة بن زيد على ولده عبد الله بن عمر بن الخطاب لا لشيء إلا لأن أسامة أحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما روى الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما فرض عمر لأسامة بن زيد ثلاثة آلاف وفرض لي ألفين وخمسمائة فقلت له: يا أبت لم تفرض لأسامة ابن زيد ثلاثة آلاف وتفرض لي ألفين وخمسمائة، والله ما شهد أسامة مشهدًا غبت عنه ولا شهد أبوه مشهدًا غاب عنه أبي قال: صدقت يا بني ولكني أشهد لَأَبوه كان أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك، ولهو أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك[1].

ومن عظيم الحب والتوقير من أبي أيوب الأنصاري لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المشهد الرقيق الرائع الذي يملأ القلب بالإجلال والإكبار لأولئك الأئمة الأخيار من صحابة النبي المختار صلى الله عليه وسلم هذا أبو أيوب لا يستسيغ أبدًا، ولا يرضى أن يكون على سقفٍ تحته رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم هو يبحث عن المواضع التي أكل منها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل منها تبركًا برسول الله، ومن المعلوم أنه يجوز التبرك بالنبي أما بغيره فلا يجوز أبدًا التبرك بأثر أحدٍ من الخلق أيًا كان.

ثم يظهر حسن اتباعه النابع من عظمة حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم حينما يكره ما يكره الحبيب صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم عن أبي أيوب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل عليه فنزل النبي في السفل وأبو أيوب في العلو فانتبه أبو أيوب ليلةً فقال: نمشي فوق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنحوا فباتوا في جانب ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

---

(1) رواه الحاكم [٣/ ٥٥٩] وصححه ووافقه الذهبي.

«**السفل أرفق بي فقال: لا أعلو سقيفة أنت تحتها**» فتحول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العلو وأبو أيوب في السفل فكان يصنع للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طعامًا فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه، فصنع له طعامًا فيه ثوم، فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقيل له: لم يأكل ففزع وصعد إليه فقال: أحرامٌ هو؟ فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا ولكني أكرهه**». قال: فإني أكره ما تكره[1].

هذا هو الحب أيها العالم، هذا هو الحب أيها البشر كافة هذا هو الحب أيها الخلق جميعًا فهل رأيتم حُبًا كهذا الحب؟! هل سمعتم بوفاء وصدق كهذا الصدق وهذا الوفاء؟!

حقًا إخوتي، لقد كان الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ هم النموذج الأمثل والقدوة الأعظم والأكمل في حب الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعظيمه وتوقيره تلك هي الصور الناطقة والمحبة الصادقة لخير الخلق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُقدم هذه النماذج في زمن كثر فيه الادعاء وتشدق فيه كثير من الأدعياء ولكن فعلهم يكذب قولهم، وسلوكهم ينقض زعمهم، فهم يهرجون ويرقصون ويغنون، ثم يزعمون بذلك أنهم أهل المحبة الحقيقية؟! حب النبي عندهم أناشيد، وموالد واختلاط الرجال بالنساء بل ومخالفة صريحة سافرة لهدي سيد الأنبياء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إنني أكتب هذه الكلمات في أيام يحتفي فيها كثير من المسلمين بميلاد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يقول قائلهم:

ميلاد طه أكرم الأعياد ونذير كل الخير والإسعاد

---

(1) رواه مسلم [٢٠٥٣].

وهذا انحراف عن المنهج النبوي ومناقضة لأصول الرسالة فالعيد عندنا عبادة لله ولا يجوز أن نتقرب بذلك إلا إذا كان رسول الله ﷺ قد شرعه وليس لنا إلا عيدان الفطر والأضحى لذلك نقول لهؤلاء المحتفلين بمولد النبي والذين يزعمون حب النبي: نحن لا نكذبكم في حبكم للنبي ولكن حب النبي اتباع لهديه، حب النبي عملٌ بسنته، حب النبي تمسك بأخلاقه وصبرٌ عليها، حب النبي دفاعٌ عنه وغيرة له ودعوة الناس إلى ما دعا إليه، وثبات على هديه ومنافحة عن شرعته. ما هو بذلكم في نصرة السنة؟ وأين دوركم في نشر سنة النبي بين الناس؟! بل أين سُنة النبي في واقعكم وأخلاقكم؟!.

ودعونا نسأل: هل احتفل رسول الله ﷺ بيوم مولده؟ إن قلتم: نعم نقول: متى؟ وأين؟ وكيف؟ وإن قلتم: لا قلنا: لقد ابتدعتم وانحرفتم حيث عملتم ما لم يشرعه النبي لكم ولا أقره ولا ارتضاه بل نهى عن الغلو فيه ﷺ فكان يقول: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، ولكن قولوا عبد الله ورسوله**»(١).

وكذلك حذر النبي ﷺ أن يتخذ قبره عيدًا ومزارًا فقال: «**لا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليَّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»(٢).

دعونا نسألكم: هل احتفل الصحابة بمولد النبي ﷺ: إن قلتم: نعم قلنا: متى؟ وأين؟ وكيف؟ وإن قلتم: لم يحتفلوا قلنا لكم: وهل أنتم خير منهم؟ هل أنتم أكثر تعظيمًا وحبًا للنبي منهم؟! فلماذا لا نصنع كما صنعوا ونكف عما كفوا فخير

---

(1) رواه البخاري برقم [٣٤٤٥].

(2) رواه أبو داود برقم [٢٠٤٢] وصححه الألباني في «غاية المرام» برقم [١٢٥].

الهدى بعد هدى النبي هديهم، فإن كنت تريد اللحاق بهم فسر على دربهم واتبع نهجهم.

ثم دعونا نسألكم: هل احتفل التابعون وتابعوهم والأئمة الأعلام كالشافعي وأحمد ومن قبلهما أبو حنيفة ومالك هل احتفلوا بمولد النبي؟! بالطبع لا.

إن هذه البدعة «الاحتفال بمولد النبي» لم تعرف إلا على يد الفاطميين العبيديين الشيعة الروافض حيث أقاموا مجموعة موالد: مولد للنبي ومولد لعلي ومولد لفاطمة والحسن والحسين ومولد لمن يحكم من العبيديين.

ومما يدلك على تفاهة وسفاهة هذه الموالد ما ذكره المؤرخ المصري الجبرتي في تاريخه أن نابليون بونابرت أمر الشيخ البكري بإقامة الاحتفال بالمولد وأعطاه ثلاثمائة ريال فرنسي وأمره بتعليق الزينات، بل وحضر الحفل بنفسه من أوله إلى آخره[1] فهل هذه نصرة منه للدين وحرص على إقامته؟! إن الحق واضح ظاهر والباطل زاهق زائل، ومهما تشدَّق المرجفون وروَّج الخرَّاصون لبدعهم وخرافاتهم فإنها إلى اندحار واندثار ولن يبقى إلا الحق ولن يثبت إلا الحب الصادق والاتباع الحقيقي.

إن القلب لينفجر بالأسى، ويتفطر من الألم حينما يعلم أن ثمة قنوات فضائية، وشبكات عنكبوتية تنضح بالبدع العظيمة وتمطر المسلمين بوابل من الانحرافات الأثيمة باسم التقرب لأهل البيت فيسوغون الاستغاثة بأهل القبور، وإباحة القربات والنذور، والذبح لهما من دون الله.

---

(1) «تاريخ الجبرتي» [٢/ ٢٠١-٢٠٢] نقلًا عن «حقوق النبي» [١٦٧].

ومنهم من يتفوه ويقول: لا أستغرب أن تخرج روح الولي الميت من قبره لكي تنفع من يستغيث بها. ويصرح بأن هناك من الأولياء من فوَّضهم الله تعالى في إدارة أمور الكون وأن عندهم إذن مسبق في التصرف في الكون وأنه بإمكانهم الرزق والإحياء والإماتة.

قلت: سبحان الله!! وأين الله؟! ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]، ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].

وإن هذا يروج له على الشاشات والصفحات ومن خلال تلك الشبكات حتى تلتهم قلوب المسلمين ويلات الانحرافات فرحماك بنا ربي رحماك![١].

برهان الحب حسن الاتباع

قال ربنا العليم الحكيم في كتابه الكريم: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

ولما كان الصحابة الكرام والأئمة الأعلام صادقين في حبهم لرسول الله ﷺ كانوا صادقين في اتباعهم له، فكانت حياتهم منبثقة من هديه مضبوطة بسنته، وهاك هي الأدلة من واقع حياتهم على حسن اتباعهم لسيد الخلق رسول الله ﷺ فهذا هو الصدِّيق الأكبر رضي الله عنه يقول: لستُ تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، وإني لأخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ[٢].

---

(1) وانظر لزامًا كتاب: «نظرة موضوعية في بيان حقيقة الصوفية» [ص:١٤٨].

(2) رواه البخاري برقم [٣٠٩٣].

يقول الإمام ابن بطة - عليه رحمة الله - في «الإبانة»: هذا يا إخواني الصديق الأكبر يتخوف على نفسه من الزيغ إن هو خالف شيئًا من أمر نبيه ﷺ فماذا عسى أن يكون من زمان أضحى أهله يستهزئون بنبيهم وأوامره ويتباهون بمخالفته ويسخرون بسنته؟! نسأل الله العصمة من الزلل، والنجاة من سوء العمل(١).

وهذا هو الفاروق عمر رضي الله عنه يقول: فيم الرَّمَلان والكشف عن المناكب وقد أَطَّأَ الله الإسلام ونفى الكفر وأهله؟ مع ذلك لا ندع شيئًا كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ(٢).

إنه لا يستسيغ عقلًا فعل الرمل وهو الإسراع في الطواف الأول مع تقارب الخطا، وكشف المناكب وهو الاضطباع وهو جعل الرداء أسفل الإبط وإبداء الكتف الأيمن والذراع الأيمن وذلك لأن النبي ﷺ فعله هو وأصحابه ليعلم المشركون أن بهم قوة وردًا على فرية زعموها أن الصحابة قد أضرت بهم حمى يثرب ويريد عمر أن يقول: لقد صار الإسلام عزيزًا قويًا فلا حاجة إذًا للرَّمل والاضطباع ولكنه يؤثر الاتباع ويتهم عقله كما حدث في قصة تقبيله الحجر وقد سبق ذكرها.

وعن عاتكة بنت زيد بن عمرو زوجة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنها كانت تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد فقيل لها: لم تخرجين وقد تعلمين أنه يكره ذلك ويغار؟! قالت: فما يمنعه أن ينهاني؟! قالوا: يمنعه قول رسول الله ﷺ(٣).

---

(1) «الإبانة» لابن بطة [١/ ٢٤٥].

(2) رواه أبو داود [١٨٨٧] وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» برقم [٢٦٦٢].

(3) رواه البخاري برقم [٩٠٠].

وعن حارثة بن مضرب أنه حج مع عمر بن الخطاب فأتاه أشراف أهل الشام فقالوا: يا أمير المؤمنين إنا أصبنا من أموالنا رقيقًا ودواب فخذ من أموالنا صدقة تطهرنا بها، وتكون لنا زكاة فقال: هذا شيء لم يفعله صاحباي قبلي ولكن انتظروا حتى أسأل المسلمين[1].

إن عمر رضي الله عنه يريد لنفسه السلامة، والسلامة لا تكون إلا بالاتباع وحيث إنه قد علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر لم يفرضا الزكاة في هذه الأشياء وهي الرقيق والخيل والحمير والبغال فهذه أشياء لا تجب فيها الزكاة مهما بلغ عددها إلا إذا أعدت للتجارة دليل ذلك ما ورد في المسند وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ليس على المسلم صدقة في عبده ولا فرسه**»[2].

فالتزم الفاروق عمر بما ورد واتبع سبيل من هو خير منه وأفضل منه، فهذا أبرأ للذمة وأقرب إلى الله عز وجل.

وكان عمر رضي الله عنه **يقول**: ألا إن أصحاب الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فأفتوا برأيهم فضلوا وأضلوا ألا وإنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ما نضل ما تمسكنا بالأثر.

وهذا ابنه العالم الحافظ العابد العامل الآخذ بالسنن والأثر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قمة في الاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم والمحبة له.

---

(1) رواه أحمد في «المسند» [٨٢] وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(2) رواه أحمد والبزار وجود إسناده المنذري في «الترغيب» وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [١/ ١٢٦] برقم [٤٦].

عن مجاهد قال: كنا مع ابن عمر في سفر فمر بمكان فحاد عنه فسئل: لم فعلت ذلك؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ فعل هذا ففعلت.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يأتي الشجرة بين مكة والمدينة فيقيل تحتها ويخبر أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك[1].

وعن أنس بن سيرين قال: كنت مع ابن عمر بعرفات فلما كان حين راح رحت معه حتى أتى الإمام فصلى معه الأولى والعصر ثم وقف وأنا وأصحاب لي حتى أفاض الإمام فأفضنا معه، حتى انتهى إلى المضيق دون المأزمين فأناخ وأنخنا ونحن نحسب أنه يريد أن يصلي فقال غلامه الذي يمسك راحلته: إنه ليس يريد الصلاة، ولكنه ذكر أن النبي ﷺ لما انتهى إلى هذا المكان قضى حاجته فهو يحب أن يقضي حاجته[2] أي: في هذا المكان كذلك.

وروى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم**» قال سالم بن عبد الله: فقال بلال بن عبد الله: والله لنمنعهن **قال سالم**: فأقبل عليه عبد الله فسبه سبًا سيئًا ما سمعته سبه مثله وقال له: أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول: والله لنمنعهن؟!

وعن نافع أن ابن عمر كان يتبع آثار رسول الله ﷺ في كل مكان صلَّى فيه، حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة

---

(1) رواه البزار وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» [١/ ١٢٧] برقم [٤٧].

(2) رواه أحمد وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» [١/ ١٢٧] برقم [٤٨].

فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس(١).

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو تركنا هذا الباب للنساء**» قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات(٢).

وفي الصحيحين عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه كان لا يقدم مكة إلا بات بذي طوى حتى يصبح ويغتسل ثم يدخل مكة نهارًا ويذكر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه فعله(٣).

وفي الصحيحين أيضًا عن عبيد بن جريج أنه قال لعبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: رأيتك تصنع أربعًا لم أر أحدًا من أصحابك يصنعها. قال: ما هي يا ابن جريج؟ قال: رأيتك لا تمسُّ من الأركان إلا اليمانيين ورأيتك تلبس النعال السبتية ورأيتك تصبغ بالصفرة، ورأيتك إذا كنت بمكة أهلَّ الناس إذا رأوا الهلال، ولم تهل أنت حتى كان يوم التروية فقال له عبد الله بن عمر: أما اليمانيين، وأما الأركان فإني لم أر رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمسُّ إلا اليمانيين وأما النعال السبتية فإني رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلبس النعال التي ليس فيها شعر ويتوضأ فيها فأنا أحب أن ألبسها، وأما الصفرة فإني رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصبغ بها فأنا أحب أن أصبغ بها، وأما الإهلال فإني لم أر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُهلُّ حتى تنبعث به راحلته(٤).

وهذا عبد الله بن مسعود كما ورد عند أبي داود بسند صحيح يبرهن على عظمة حبه وتوقيره لأمر حبيبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الموقف فعن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لما استوى

---

(1) «أسد الغابة» لابن الأثير [٣/ ٣٤١].

(2) «السير للذهبي» [٣/ ٢١٣] وابن سعد [٤/ ١٦٢] وقال الأرناءوط: رجاله ثقات.

(3) رواه البخاري برقم [١٥٧٣] ومسلم برقم [١٢٥٩].

(4) رواه البخاري برقم [٥٨٥١] ومسلم برقم [٢٨٧٥].

obeikandl.com

رسول الله ﷺ يوم الجمعة قال: «**اجلسوا**» فسمع ذلك ابن مسعود فجلس على باب المسجد فرآه رسول الله ﷺ فقال: «**تعال يا ابن مسعود**»(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن خياطًا دعا رسول الله ﷺ إلى طعام صنعه قال أنس: فذهبت مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام فقرب على رسول الله ﷺ خبزًا من شعير ومرقًا فيه دباء وقديد فرأيت رسول الله ﷺ يتتبع الدباء من حوالي القصعة قال: فلم أزل أحب الدباء منذ يومئذٍ(٢).

هؤلاء هم الذين أراد الله لهم الحسنى ووفقهم لاتباع أحسن الهدى وأقوم السبل وأعدل الطرق، ولن نصل إلى العزة والريادة والسيادة إلا إذا تمسكنا بهذا السبيل الذي كانوا عليه. لابد أن تعود إلى واقع الأمة أخلاق النبي محمد وهدي رسول الله ﷺ وسنته وسيرته، لابد أن يعلم المسلمون لزوم اتباع الرسول وخطورة الابتعاد عن هديه. فانهل من سلسال السنة، وتضلع من رحيق كلام المصطفى، وتخلق بخلقه الكريم، وانهج سبيله القويم تفز بالنعيم المقيم، والنظر إلى وجه ربك الكريم، في جنات النعيم هذا هو السبيل فتشبث به حتى يأتيك اليقين.

ثاني عشر - حرصهم على هداية الخلق وجعل الدين قضية القضايا

من آثر رضا ربه على هواه، وأقام في حياته حقيقة العبودية لله سعد في دنياه وأخراه، وكان مباركًا أينما حل وأينما رحل كما وصف الله نبيه عيسى عليه السلام فقال الله تعالى عنه: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١].

---

(1) رواه أبو داود برقم [١٠٩١] وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» برقم [٩٦٦].

(2) رواه البخاري [٢٠٩٢]، ومسلم [٢٠٤١].

وهذا النوع العظيم من البركة انتعشت به الأرض واستنشقت عبيره السماء من خلال حياة ذلك الجيل العظيم الذين بذلوا لدينهم كل ما يستطيعون بذله وكان دينهم هو قضيتهم الأولى والأخيرة التي لها يعيشون، وفي سبيلها يموتون، ومن أجلها يضحون بكل ما يملكون، وبكل ما يستطيعون، وتعال بنا إلى صفحات مشرقة، ومواقف متألقة، تنطق بصدق الإيمان وعظمة اليقين.

الصديق والفاروق

هذا هو الصديق رضي الله عنه ينطلق فور إسلامه ليترجم حبه لهذا الدين في عمل واقعي صادق ودعوة مخلصة فيسلم على يديه خمسة من العشرة المبشرين بالجنة يأتى يوم القيامة وهم في ميزان حسناته قال ابن إسحاق:: فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه وأظهر إسلامه دعا إلى الله عز وجل، وكان أبو بكر رجلًا مألفًا لقومه محبًا سهلًا، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها من خير أو شر، وكان رجلًا تاجرًا ذا خلق ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه فأسلم على يديه فيما بلغني: الزبير بن العوام وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم فانطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم أبو بكر فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحق الإسلام فآمنوا، وكان هؤلاء النفر الذين سبقوا في الإسلام صدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا بما جاء من عند الله[1].

(1) «البداية والنهاية» لابن كثير [٣/ ٢٩].

كان تحرك الصديق رضي الله عنه في الدعوة إلى الله يوضح صورة من صور الإيمان بهذا الدين والاستجابة لله ورسوله. وصورة المؤمن الذي لا يقر له قرار ولا يهدأ له بال حتى يحقق في دنيا الناس ما آمن به دون أن تكون انطلاقته دفعة عاطفية مؤقتة سرعان ما تخمد وتذبل وتزول.

وقد بقي نشاط أبي بكر وحماسه للإسلام إلى أن توفاه الله - عز وجل - لم يفتر أو يضعف أو يمل أو يعجز(١).

وكانت أول ثمار الصديق الدعوية دخول صفوة من خيرة الخلق في الإسلام وهم الزبير بن العوام وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وأبوعبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنهم، وجاء بهؤلاء الصحابة الكرام فرادى فأسلموا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا الدعامات الأولى التي قام عليها صرح الدعوة.

واهتم الصديق بأسرته فأسلمت أسماء وعائشة وعبد الله، وزوجته أم رومان وخادمه عامر بن فهيرة(٢).

وفي أول خلافة الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت طوائف من العرب عن الإسلام ومنعوا الزكاة فنهض الصديق رضي الله عنه لقتالهم وحاول عمر رضي الله عنه وغيره أن يثنوه عن ذلك فأبى واشتدت غيرته لدينه وكان ذلك من توفيق الله له وتسديده إياه.

---

(1) «الوحي وتبليغ الرسالة» د. يحيى اليحيى نقلًا عن «أبي بكر الصديق» للصلابي.

(2) «أبو بكر الصديق شخصيته وعصره» للصلابي [ص:٣٠] بتصرف.

قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كيف تقاتلهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقها وحسابه على الله تعالى؟**».

فقال أبو بكر: والله لو منعوني عناقًا - وفي رواية: عقالًا - كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأقاتلنهم على منعها؛ إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة.

قال عمر: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق[(١)].

وكان مما قال عمر رضي الله عنه: يا خليفة رسول الله، تألف الناس وارفق بهم فأجابه أبو بكر: رجوتُ نصرتك وجئتني بخذلانك؟! أجبار في الجاهلية وخوار في الإسلام؟! إنه قد انقطع الوحي وتم الدين أو ينقص وأنا حيّ؟ أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إلا بحقها**»؟ ومن حقها إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والله لو خذلني الناس كلهم لجاهدتهم بنفسي[(٢)].

وهذا هو الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقيم الحق فيمن حوله، وينصح لله - عز وجل - حتى وهو في الموت ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر رغم الآلام التي تؤذي بدنه من أثر ذلك الطعن الأثيم. يا له من موقف ويا له من مشهد! ينطق بعظمة الانتماء والحب لهذا الدين مع شدة الأنين، وهو في سياق الموت.

---

(1) رواه البخاري برقم [٧٢٨٤]، ومسلم برقم [٣٢].

(2) «التاريخ الإسلامي» للشيخ محمود شاكر [٣/ ٦٨].

وهذا الموقف قد رواه البخاري في صحيحه من حديث عمرو بن ميمون وفيه: وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذٍ فقائل يقول: لا بأس، وقائل يقول: أخاف عليه فأُتي بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه، ثم أُتي بلبن فخرج من جرحه فعلموا أنه ميت. فدخلنا عليه وجاء الناس وجعلوا يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ وقدمٍ في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. قال: وددتُ أن ذلك كفافٌ لا عليَّ ولا لي فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض قال:ردوا عليَّ الغلام. قال: يا ابن أخي، ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك[1].

إنه الحرص العظيم على هداية الخلق ونفعهم بالخير ونصحهم في الله وتأمل هذا المشهد الآخر الذي يرويه مالكٌ في الموطأ عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة أن عمر ابن الخطاب فقد سليمان بن أبي حثمة في صلاة الصبح وأن عمر بن الخطاب غدا إلى السوق، ومسكن سليمان بين المسجد والسوق فقال لها: «لم أر سليمان في الصبح» فقالت: إنه بات يصلي فغلبته عيناه فقال عمر: لأن أشهد صلاة الصبح في الجماعة أحب إليَّ من أن أقوم ليلة.

وفقد عمر رجلًا في صلاة الصبح فأرسل إليه فلما جاء إليه سأله عمر فقال: ما أخرك عن صلاة الصبح؟ فقال: كنت مريضًا ولولا أنك أرسلت إليَّ لم آتك فقال عمر: إذا كنت خارجًا لأحد فاخرج إلى الصلاة.

---

(1) رواه البخاري برقم [٣٧٠٠].

وهذا أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح يذهب ومعه مجموعة من الصحابة لدعوة الروم إلى الإسلام قبل بدء المعركة يوم اليرموك بل إنه رضي الله عنه دعا الرسول الرومي الذي وفد إليه من قبل ماهان كي يتحاور معه، وشرح الله صدر هذا الرجل للإسلام واستجاب لدعوة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وصاح: اشهدوا عليَّ بأجمعكم أني من المسلمين ففرح المسلمون بإسلامه وصافحوه ودعوا له بخير وقالوا له: ما أعزك علينا، وما أنت عند امرئ منا بمنزلة أخيه لأمه وأبيه. قال الرومي: فإنكم نعم ما رأيت[1].

وهذه أم سليم الرميصاء بنت ملحان صاحبة المواقف الكبيرة والمشاهد النبيلة والإيمان الراسخ رضي الله عنها تبذل لله - عز وجل - حتى عندما تقدم إليها من يخطبها فتدعوه إلى الله فيسلم وتجعل إسلامه مهرًا لها فيا له من موقف تحتاجه أخواتنا في هذه الأيام كيف تكون الحياة في ظل الإيمان السليم الصافي.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه **قال**: خطب أبو طلحة أم سليم فقالت: والله ما مثلك يا أبا طلحة يُرد، ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة ولا يحل لي أن أتزوجك فإن تسلم فذاك مهري، وما أسألك غيره فأسلم فكان ذلك مهرها[2].

وهذا موقف ينبض بعزة الإيمان ورسوخ اليقين في قلوب الصحابة - رضوان الله عليهم - أولئك الأطهار الذين انطلقوا بمفتاح الجنة «لا إله الا الله» يفتحون به مشارق الأرض ومغاربها، لا يستعصي عليهم منها قطر، فالحصون تفتح والقلوب تفتح والقيم الصحيحة تسود، والموازين تصحح، وها هي صورة تجلت فيها أصالة وروعة التربية

---

(1) «البداية والنهاية» [٧/ ٩] و «فتوح الشام» للأزدي [ص:١٩٨].

(2) رواه النسائي [٥/ ١١٤] وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» [٣١٣٣].

النبوية لخير جيل حيث صارت الآخرة عندهم هي الهم الأكبر وهي الغاية العظمى، وهي الحياة الحقيقية الخالدة الباقية.

جاء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى القادسية ومعه المسلمون ولا يزيد عددهم على سبعة آلاف أو نحوًا من ذلك. ونبال المسلمين وعدتهم موضع سخرية أهل فارس.

ولما أدخل وفد المسلمين على كسرى يزدجر جعل أهل فارس يسوؤهم ما يرون من حالهم وحال خيلهم، فلما دخلوا على يزدجرد أمرهم بالجلوس، وكان سيء الأدب ولما عرض النعمان بن مقرن دعوة الإسلام على كسرى قال كسرى: إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى منكم، ولا أقل عددًا، ولا أسوأ ذات بين منكم.

قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفوناكم، لا تغزوا فارس ولا تطمعوا أن تقوموا لهم. فإن كان عدد لحق فلا يغرنكم منا، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتًا إلى خصبكم، وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكًا يرفق بكم. فأسكت القوم فقام المغيرة بن زرارة الأسيدي فقال:

أيها الملك، إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالمًا فأما ما ذكرت من سوء الحال، فما كان أسوأ حالًا منا، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع. كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات فنرى ذلك طعامنا.

وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم. ديننا أن يقتل بعضنا بعضًا، ويغير بعضنا على بعض، وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامنا فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرتُ لك.

فبعث الله إلينا رجلًا منا معروفًا، نعرف نسبه، ونعرف وجهه ومولده فأرضه خير أرضنا، وحسبه خير أحسابنا، وبيته أعظم بيوتنا، وقبيلته خير قبائلنا. وهو بنفسه كان

خيرنا في الحال التي كان فيها أصدقنا وأحلمنا. فدعانا إلى أمرٍ فلم يجبه أحد أول من ترب كان له، وكان الخليفة بعده فقال: وقلنا: وصدق وكذبنا، وزاد ونقصنا. فلم يقل شيئًا إلا كان.

فقذف الله في قلوبنا التصديق له واتباعه فصار فيما بيننا وبين رب العالمين. فما قال فهو قول الله، وما أمرنا فهو أمر الله فقال لنا: إن ربكم يقول: إنني أنا الله وحدي لا شريك لي. كنت إذ لم يكن شيء، وإن رحمتي أدركتكم فبعثتُ إليكم هذا الرجل لأدلكم على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي ولأحلكم داري دار السلام.

فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق وقال: من تابعكم على هذا فله ما لكم وعليه ما عليكم، ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية، ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم ومن أبى فقاتلوه فأنا الحكم بينكم فمن قتل منكم أدخلته جنتي ومن بقي منكم أعقبته النصر على من ناوأه فاختر إن شئت الجزية عن يدٍ وأنت صاغر وإن شئت فالسيف، أو تسلم فتنجي نفسك.

فقال: أتستقبلني بمثل هذا؟ فقال: ما استقبلت إلا من كلمني، ولو كلمني غيرك لم أستقبلك به.

فقال: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم لا شيء لكم. وقال: ائتوني بوقر من تراب فقال: احملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن. وارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أني مرسل إليكم رستم حتى يدفيكم ويدفيه في خندق القادسية وينكل به وبكم من بعد، ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم في أنفسكم بأشد مما نالكم من سابور إلى آخر القصة.

وفيها أن عاصم بن عمر احتمل وقر التراب واعتبره فألًا على الظفر بأرضهم كما تطير منه رستم على أنه علامة على أن الله سلبهم أرضهم وأبناءهم للمسلمين ثم إن كسرى بعث أهل فارس بَعَددهِم وعُدَدهِم وعلى رأسهم رستم حتى نزل رستم بالعقيق على منقطع معسكر المسلمين راسل زهرة فخرج إليه حتى وافقه فأراده أن يصالحهم، ويجعل له جعلًا على أن ينصرفوا عنه، وجعل يقول: أنتم جيراننا وقد كانت طائفة منكم في سلطاننا.

فقال له زهرة: صدقت، قد كان ما تذكر، وليس أمرنا أمر أولئك ولا طلبتنا، إنا لم نأتكم لطلب الدنيا إنما طلبتنا وهمتنا الآخرة. كنا كما ذكرت، يدين لكم من ورد عليكم منا، ويضرع إليكم يطلب ما في أيديكم، ثم بعث الله تعالى إلينا رسولًا، فدعانا إلى ربه فأجبناه فقال لنبيه ﷺ: إني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني، فأنا منتقم بهم منهم، وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به، وهو دين الحق، لا يرغب عنه أحدٌ إلا ذل ولا يعتصم به أحدٌ إلا عز.

فقال له رستم: ما هو؟

قال: أما عموده الذي لا يصلح منه شيءٌ إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله تعالى قال: ما أحسن هذا وأي شيءٍ أيضًا؟

قال: وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى.

قال: حسن. وأي شيءٍ أيضًا؟

قال: والناس بنو آدم وحواء إخوة لأبٍ وأم.

قال: ما أحسن هذا!

ثم قال رستم: أرأيت لو أني رضيت بهذا الأمر وأجبتكم إليه ومعي قومي كيف يكون أمركم؟ أيرجعون؟

قال: إي والله ثم لا نقرب بلادكم أبدًا إلا في تجارة أو حاجة قال: صدقتني والله، أما أن أهل فارس منذ ولى أردشير لم يدعوا أحدًا يخرج من عمله من السفلة. كانوا يقولون: إذا خرجوا من أعمالهم تعدوا طورهم، وعادوا أشرافهم فقال له زهرة: نحن خير الناس للناس. فلا نستطيع أن نكون كما تقولون نطيع الله في السفلة، ولا يضرنا من عصى الله فينا فانصرف عنه وطلب رستم آخر.

ثم إن سعدًا أرسل ربعي بن عامر إلى رستم فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق، والزرابي والحرير، وأظهروا اليواقيت واللآلئ الثمينة العظيمة، وعليه تاج وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربعي بثياب صفيقة، وترس وفرس قصيرة.

ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه فقالوا له: ضع سلاحك فقال: إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت فقال رستم: ائذنوا له فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها فقالوا له: ما جاء بكم؟

فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان على عدل الإسلام. فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه، ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى ذلك قاتلناه أبدًا حتى نفضي إلى موعود الله.

قال: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبي والظفر لمن بقى.

فخلص رستم برؤساء أهل فارس فقال: ما ترون؟ هل رأيتم كلامًا قط أوضح ولا أعز من كلام هذا الرجل؟ قالوا: معاذ الله لك أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك

لهذا الكلب أما ترى إلى ثيابه؟ فقال: ويحكم لا تنظروا إلى الثياب ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة. وأقبلوا يتناولون سلاحه ويزهدونه فيه.

ثم كان أن أبى الفرس دعوة الحق، واختاروا المناجزة فنصر الله المسلمين وهزموا فارس وسبوهم، وكان يزدجرد ملك الفرس قد أرسل يستنجد بملك الصين ووصف له المسلمين فأجابه ملك الصين: إنه يمكنني أن أبعث لك جيشًا أوله في منابت الزيتون أي الشام. وآخره في الصين ولكن إن كان هؤلاء القوم كما تقول فإنهم لا يقوم لهم أهل الأرض فأرى لك أن تصالحهم، وتعيش في ظلهم وظل عدلهم [(١)].

وهذا هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقف وقفة صدق حازمة أمام البدع فينكرها ويزجر أهلها وهذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو السبب العظيم لبقاء الدين قويًا مكينًا، أما إن عطل هذا الغرض ضعف الدين في النفوس وحل الهلاك والعياذ بالله والأثر أخرجه الدارمي بسند حسن فقال: أخبرنا الحكم بن المبارك أخبرنا عمرو بن يحيى قال: سمعت أبي يتحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا فجلس معنا حتى خرج فلما خرج قمنا إليه جميعًا فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفًا أمرًا أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيرًا قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه قال: رأيت في المسجد قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مائة فيكبرون مائة فيقول: هللوا مائة فيهللون مائة ويقول: سبحوا مائة فيسبحون مائة

---

(١) «إفادة الأخيار ببراءة الأخيار» [١/ ٣٨] نقلًا عن «علو الهمة» [٨٨/ ٩٠].

قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك وانتظار أمرك قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع حسناتهم؟ ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصىً نعد بها التكبير والتهليل والتسبيح قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء.

ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم على ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضلالة قالوا: يا أبا عبد الرحمن والله ما أردنا إلا الخير قال: وكم من مريدٍ للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قومًا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وايم الله! لا أدري لعل أكثرهم منكم. ثم تولى عنهم فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج[1].

قلت: وهذا الأثر فيه فوائد:

١- توقير أهل العلم وتبجيلهم وأن هذا من تعظيم شعائر الله.

٢- وجوب إنكار المنكر لمن علمه واطلع عليه.

٣- إذا اشتبه شيء على المرء فإنه ينبغي أن يسأل الأعلم ويسعى إليه من أجل السؤال.

٤- التعاون على إنكار المنكر يكون أعظم أثرًا وآكد حصولًا.

٥- عصمة الصحابة من الوقوع في البدع وحِفْظ الله لهم من ذلك فلم يحفظ عن صحابي واحدٍ قط أنه تلبس ببدعة.

---

(1) «سنن الدارمي» برقم [٢٠٤] وحسن سنده الشيخ وحيد بالي في «الأخطاء الشائعة» [ص:٧].

٦- الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة، ولا يزداد صاحب البدعة كلما تعبد ببدعته من الله إلا بعدًا.

٧- كم من مريد للخير لا يبلغه، وسلامة النية وحدها لا تكفي في صحة العمل بل لابد من الاتباع.

٨- سوء عاقبة من تنكب عن طريق السنة وسوء خاتمته نسأل الله حسن الخاتمة.

وبعد،

عباد الله، كان الدين في حياة الصحابة هو قضية القضايا التي من أجلها يتحركون ويسهرون ويتعبون ويسافرون ويجاهدون، وكان حرصهم على هداية الخلق أشد من حرص الأم على حياة وحيدها فهم خير الناس للناس وأرحم الناس بالناس، ولهذا انطلق الصحابة في فجاج الأرض ينشرون الهدى حتى مات أكثرهم بعيدًا عن مولده لأن الدين هو الذي كان يحركه ويخرجه من بلده ويدفعه دفعًا لأداء الأمانة التي ائتمنه الله عليها وهي إبلاغ الحق للخلق بحق.

ثالث عشر - عظمة الصبر وروعة الثبات

إنه لا يُوفق للسير في الطريق إلى الله - جل وعلا - إلا الصادقون الموقنون. إن من طبيعة هذا الطريق أنه محفوف بالعقبات ليميز الله الخبيث من الطيب، والكاذب من الصادق قال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البَقَرَة :١٥٥].

وبين ربنا - جل جلاله - أن من صبر على البلاء ابتغاء وجه ربه أنه يفوز بمعية الله له وتسديده إياه فقال جل ذكره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[البَقَرَة :١٥٣].

والله - جل وعلا - حكيم عليم لا يبتلي إلا لحكمة؛ ففي البلاء نوع من التربية والتهذيب على أنواع من العبودية لا يتأتى حصولها إلا بالبلاء، ومن حكم البلاء تمييز الصف المسلم من كل دعيٍّ دخيل كما قال الحكيم الخبير جل جلاله: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

ومن حكمة البلاء رفعة الدرجات للمؤمنين وتأهيلهم للإمامة في الدين كما قال رب العالمين في كتابه الكريم المبين: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤] ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية - عليه رحمة الله -: إنما تنال الإمامة في الدين بالصبر واليقين.

ومن دقيق فهم الإمام القدوة الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما سئل: أيمكَّن الرجل أم يبتلى؟ فقال: لا يُمكَّن الرجل حتى يبتلى.

وفي الصبر رفعة الدرجات وزيادة الحسنات فيعطى الصابرون من الثواب ما لا يعد ولا يحصى كما قال الله جل وعلا: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

وقال سيد الأنبياء وقدوة الخلق أجمعين رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط**»(١).

(١) رواه الترمذي [٢٣٩٦] وحسنه الألباني في «الصحيحة» برقم [١٢٢٠].

وأشار النبي ﷺ إلى أن البلاء علامة خير، وأمارة صلاح، وإنما يتضاعف البلاء كلما كان صلاح العبد أكثر فالله سبحانه لا يبتلي ليعذب بل يبتلي ليهذب ويرفع الدرجات لأهل الفضل من الصالحين المتقين قال رسول الله ﷺ: «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه**»(١).

ولذا كان للصحابة الكرام الجانب الأكبر والحظ الأوفر من هذه البلاءات في بداية الدعوة وعلى طول الطريق فيها حتى مكن الله لهم في الأرض.

فمنذ أن بزغ نور الإسلام في غياهب التيه في مكة وأخذ يبدِّد ظلمات الكفر ويمحو آثار الضلال انفجرت مشاعر الغضب، وثارت ثائرة الكيد من تلك القلوب الفاجرة الكافرة الجائرة.

وتأججت في نفوسهم حمية الجاهلية وصبوا ألوان العذاب وصنوف الأذى على أولئك المستضعفين الذين آمنوا بالله ودخلوا في هذا الدين. لقد أبرقت مكة وأرعدت، وزلزلت قريش الأرض من تحت أقدام الصحابة واستباحت في الحرم الآمن دماءهم وأعراضهم وأموالهم. ولكن ثبت الصحابة ثبوت الجبال وصبروا صبرًا نادر المثال نعم كيف للقلوب التي عرفت ربها وآمنت به أن تعود إلى رجس الكفر؟! أنىَّ للنفوس التي سرت في عروقها ودمائها الزاكية محبة هذا الدين أن تصرف عنه؟! وما زادتهم المحن إلا تمسكًا بالحق واستيقانًا به، وما زادهم البلاء إلا حبًا للدين وانتماء إليه وتسليمًا لحكم الملك العلي جل في علاه.

---

(1) رواه الترمذي [٢٣٩٨] وابن ماجه [٤٠٢٣] وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم [١٤٣].

ولذلك كان هذا هو الوصف المعلوم الذي تأصل في نفوس الكافرين أن الصحابة صابرون ثابتون على هذا الدين العظيم فلما لقي أبو سفيان بن حرب وهو يومئذٍ على الشرك ملك الروم هرقل سأله هرقل عن مدى ثبات هؤلاء المؤمنين على الدين فقال له: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فقال أبو سفيان: لا فقال له هرقل في آخر حديثه وسألتك: أيرتد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب[(١)].

وهذه صورة تبين شدة البلاء الذي تعرض له الصحابة وتبين في المقابل كيف ربى الرسول ﷺ الصحابة على لزوم الصبر وحتمية الثبات ففي صحيح البخاري من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو متوسِّد بردة له وهو في ظل الكعبة ولقد لقينا من المشركين شدة فقلت: ألا تدعو الله؟ فقعد وهو محمرٌّ وجهه فقال: «**لقد كان من قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت ما يخاف إلا الله**»[(٢)].

ومما يبين شدة البلاء الذي وقع للصحابة الكرام ما رواه البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عن الهجرة فقالت: لا هجرة اليوم، كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ مخافة أن يفتن عليه، فأما اليوم فقد أظهر

---

(1) رواه البخاري برقم [٧].

(2) رواه البخاري برقم [٣٨٥٢].

الله الإسلام، واليوم يعبد ربه حيث شاء ولكن جهاد ونية[١].

وما رواه البخاري كذلك عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: وكان الإسلام قليلًا فكان الرجل يفتن في دينه، إما قتلوه، وإما يعذبونه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة[٢].

ولعلك تشهد صورة من صور هذا البلاء في هذا المشهد الذي يذكره عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث قال: كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه أبي طالب وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدرع الحديد، وصهروهم في الشمس فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالًا فإنه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد[٣].

وعن قيس قال: اشترى أبو بكر بلالًا وهو مدفون في الحجارة بخمس أواق ذهبًا فقالوا: لو أبيت إلا أوقية لبعناكه قال: لو أبيتم إلا مئة أوقية لأخذتُه[٤].

إنها النفوس الأبية والقلوب التقية التي امتلأت بحب هذا الدين وصدق الانتماء إليه، ومهما أبرق الكفر وأرعد وأرغى وأزبد فإن الإيمان في هذه القلوب أثبت وأرسخ من الجبال لا يزول وإن زالت، لا يتزلزل وإن تزلزلت فلله در النفوس التي جعلت دينها أغلى عليها وأثمن من كل شيءٍ.

---

(1) رواه البخاري برقم [٣٩٠٠].

(2) رواه البخاري برقم [٤٥١٤].

(3) رواه ابن ماجه في «المقدمة» برقم [١٥٠] وحسنه الألباني أورده الذهبي في «السير».

(4) «الحلية» لأبي نعيم [١/ ١٥٠] و«السير» للذهبي [١/ ٣٥٣] وقال الذهبي: إسناده قوي.

لما سئلت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت: كان المشركون رفعوا في المسجد عمدًا ليروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يقول في آلهتهم فبينما هم كذلك إذ أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاموا إليه بأجمعهم فأتى الصريخ إلى أبي بكر فقالوا: أدرك صاحبك فخرج من عندنا وإن له لغدائر[1] أربع وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلًا يقول: ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟! قال: فلَهَوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على أبي بكر رضي الله عنه قالت: فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمس من غدائره إلا جاء معه وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام[2].

قال ابن إسحاق: وحدثني نافع ابن عمر قال: لما أسلم أبي عمر قال: أي قريش أنقل للحديث؟ فقيل له: جميل بن معمر الجمحي قال: فغدا عليه قال عبد الله بن عمر: فغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل، وأنا غلامٌ أعقل كل ما رأيت حتى جاءه فقال له أعلمت يا جميل أني قد أسلمت ودخلت في دين محمد؟ فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعت أبي حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش - وهم في أنديتهم حول الكعبة - ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ.

قال: ويقول عمر من خلفه: كذب ولكني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

---

(1) أي: ضفائر الشعر.

(2) رواه الحميدي في «مسنده» رقم [٣٢٤] وقال الحافظ في «الفتح» [٧/ ١١٧] رواه أبو يعلى بإسناده حسن.

وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رءوسهم قال: وطلح - أي: تعب وأعيا - فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم فأحلفُ بالله أن لو قد كنا ثلاث مئة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا، قال: فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص مُوشى حتى وقف عليه فقال: ما شأنكم؟ قالوا: قد صبأ عمر فقال: فمه؟ رجل اختار لنفسه أمرًا فماذا تريدون؟ أترون بني عدي بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا!! خلوا عن الرجل.

قال: فوالله فكأنما كانوا ثوبًا كشط عنه قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبت، من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك؟ قال: ذلك أي بُني العاص بن وائل السهمي[(١)].

وهذه محنة من لون آخر تعرض لها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ليُصد عن دينه ويصرف عنه فثبت رضي الله عنه ثبوت الجبال الرواسي حيث إنه لما أسلم حلفت أمه ألا تأكل ولا تشرب حتى يكفر فكيف كان ثباته؟ روى مسلم في صحيحه عن سعد رضي الله عنه قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبدًا حتى يكفر بدينه ولا تأكل ولا تشرب قالت: زعمتَ أن الله وصاك بوالديك وأنا أمك وأنا آمرك بهذا قال: مكثت ثلاثًا حتى غشي عليها من الجهد فقام ابن لها يقال له عمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد فأنزل الله في القرآن هذه الآية: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٨][(٢)].

---

(1) «السيرة النبوية» لابن هشام [٢/ ٣٨-٣٩] ط دار إحياء التراث العربي. وقد صرح ابن إسحاق بالتحدث.

(2) رواه مسلم برقم [٥٤٢٨].

فهذه المحنة لسعد رضي الله عنه محنة عظيمة وموقفه موقف فذٌّ يدل على مدى تغلغل الإيمان في قلبه وأنه لا يقبل فيه أي مساومات مهما كانت النتائج والعقبات.

ومن ذلك ما ورد عنه رضي الله عنه حيث قال: ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه لأحدٍ قبلي ولقد رأيته يقول لي: ارم فداك أبي وأمي وإني لأول المسلمين رمى المشركين بسهم ولقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابع سبعة ما لنا طعامٌ إلا ورق السمر حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة[(١)].

وكان مصعب بن عمير رضي الله عنه أنعم غلامٍ بمكة وأجوده حلة وكان أبواه يحبانه وكانت أمه مليئة كثيرة المال تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقه، وكان أعطر أهل مكة يلبس الحضرمي من النعال، وبلغ من شدة كلف أمه به أنه يبيت وقعب الحيس عند رأسه فإذا استيقظ من نومه أكل، ولما علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام في دار الأرقم بن أبي الأرقم دخل عليه فأسلم وصدق به، وخرج فكتم إسلامه خوفًا من أمه وقومه فكان يختلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرًا فبصر به عثمان بن طلحة يصلي فأخبر أمه وقومه فأخذوه وحبسوه فلم يزل محبوسًا حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى[(٢)].

وانظر إلى هذا المشهد العجيب الفذ في صبر الصحابة - رضوان الله عليهم - وصبر أبي جندل على ما لاقاه في الله لما جاء سهيل بن عمرو يفاوض النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية كان من الشروط التي صالح عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن قال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا.

---

(1) متفق عليه. رواه البخاري برقم [٣٧٢٨]، ومسلم برقم [٢٩٦٦].

(2) «السيرة النبوية» للصلابي [١/ ٣٠٤] ط. دار الإيمان.

قال المسلمون: سبحان الله، كيف يُردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلمًا؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسُف في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل: هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إليَّ فقال النبي ﷺ: «**إنا لم نقض الكتاب بعد**». قال: فوالله إذًا لا أصالحك على شيءٍ أبدًا قال النبي ﷺ فأجزه لي قال: ما أنا بمجيزه لك قال: بلى فافعل قال: ما أنا بفاعل قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلمًا؟! ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب عذابًا شديدًا في الله قال: فقال عمر بن الخطاب فأتيت نبي الله ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقًا؟ قال: «**بلى**» قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنيَّة في ديننا إذًا؟ قال: «**إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري**». قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال قلت: لا. قال: فإنك آتيه ومطوف به قال: فأتيتُ أبا بكر فقلتُ: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقًا؟ قال: بلى **قلت:** ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذًا؟ قال: أيها الرجل، إنه لرسول الله ﷺ، وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق، فقلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى.

قال: «**أفأخبرك أنك تأتيه العام؟**». قلت: لا قال: «**فإنك آتيه ومطوف به**» قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالًا.

قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**قوموا فانحروا ثم احلقوا**». قال: «**فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات**» فلما لم

يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بُدْنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك: نحر بُدنه، ودعا حالقه فحلقه.

فلما رأوا الناس ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًا ثم جاء نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠].

فطلق عمر يومئذٍ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا: العهد الذي جعلت لنا فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمرٍ لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدًا، فاستله الآخر فقال: والله إنه لجيد، لقد جربتُ به ثم جربت به ثم جربت فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه فأمكنه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «**لقد رأى هذا ذعرًا**» فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قتل والله صاحبي وإني لمقتول فجاء أبو بصير فقال: يا رسول الله، قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم.

فقال النبي ﷺ ، «**ويل أمِّه مِسْعر حرب لو كان له أحدٌ**»، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سِيف البحر قال: وينفلت منهم أبو جندل ابن سهيل فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجلٌ قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل فمن أتاه فهو آمن فأرسل النبي ﷺ إليهم فأنزل الله تعالى: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**﴾ [الفتح:٢٤]. وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت(١).

وهذا الحديث وحده من بدايته يحتاج إلى عشرات الصفحات حتى يأخذ حقه من التعليق الكافي ولعلك إذا تدبرت الحديث تلمح ذلك في أكثر من شاهد فيه كما في موقف أبي جندل وموقف أبي بصير، وموقف الصحابة كلهم حين يصدون عن البيت وتفرض عليهم شروط شديدة ولكن النبي ﷺ كان من حكمته وحلمه وتعظيمه لشعائر الله يتجنب حدوث حرب بينه وبين قريش وقال ﷺ في أول هذا الحديث: «**والذي نفسي بيده! لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها**».

ومن صفحات صبر الصحابة وثباتهم ما ورد من نبأ المقاطعة الاقتصادية التي أجرتها قريش وهي حادثة المقاطعة العامة والصحيفة الظالمة التي قامت قريش بكتابتها

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم [٢٧٣١-٢٧٣٢].

وأذاقت الصحابة الكربات والآلام والتجويع الشديد لمدة ثلاث سنين حتى فرج الله الكرب وقد أشار البخاري في صحيحه إلى هذه المقاطعة العامة في حديثين.

الأول- حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال قلت: يا رسول الله أين تنزل غدًا - في حجته -؟ قال: «**وهل ترك لنا عقيل منزلًا**» ثم قال: «**نحن نازلون غدًا إن شاء الله بخيف بني كنانة**» يعني: المحصب. حيث قاسمت قريش على الكفر وذلك أن بني كنانة حالفت قريشًا على بني هاشم أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يؤوهم ثم قال عند ذلك: «**لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر**»(١).

والثاني- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمنى: «**نحن نازلون غدًا بخيف بني كنانة حين تقاسموا على الكفر**». وذلك أن قريشًا وبني كنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم **يعني ذلك المحصب**(٢).

قال الحافظ ابن حجر: ولما لم يثبت عند البخاري شيءٌ من هذه القصة اكتفى بإيراد حديث أبي هريرة لأن فيه دلالة على أصل القصة لأن الذي أورده أهل المغازي من ذلك كالشرح لقوله في الحديث: «**تقاسموا على الكفر**»(٣).

ومما ذكره أهل التاريخ في ذلك ما قاله ابن إسحاق والزهري وموسى بن عقبة: إن قريشًا لما رأت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هاجروا إلى الحبشة قد نزلوا بلدًا أصابوا فيها أمنًا وقرارًا وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم

---

(1) رواه البخاري برقم [٦٧٦٤]، ومسلم برقم [١٦١٤].

(2) رواه البخاري برقم [١٥٨٩]، ومسلم برقم [١٣١٤].

(3) «فتح الباري» للحافظ ابن حجر [٧/ ١٩٣].

obeikandl.com

وكان رجلًا ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ وبحمزة، وجعل الإسلام يفشو في القبائل فأجمعوا رأيهم واتفق رأيهم على قتل رسول الله ﷺ وقالوا: قد أفسد علينا أبناءنا ونساءنا فقالوا لقومه: خذوا منا دية مضاعفة وليقتله رجل من غير قريش وتريحون أنفسكم فأبى قومه بنو هاشم من ذلك وظاهرهم بنو المطلب بن عبد مناف.

فلما عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد منعه قومه فأجمع المشركون من قريش على منابذتهم وإخراجهم من مكة إلى الشعب، وأجمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب على أن لا ينكحوهم ولا ينكحوا إليهم ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم، ولا يقبلوا منهم صلحًا، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل، فلما اجتمعوا لذلك كتبوا صحيفة ثم تعاهدوا وتعاقدوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدًا على أنفسهم وقطعوا عنهم الأسواق ولم يتركوا طعامًا ولا إدامًا ولا بيعًا إلا بادروا إليه واشتروه دونهم، فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه مؤمنهم وكافرهم، فالمؤمن دينًا والكافر حمية.

قال ابن إسحاق: فأقاموا على ذلك ثلاث سنين حتى جهدوا لا يصل إليهم شيءٌ إلا سرًا مستخفيًا به من أراد صلتهم من قريش(١).

وهذا مشهد من مشاهد الثبات وموقف من مواقف الصبر واليقين عند الصحابة رضي الله عنهم تأمله فإن فيه عبرة تستجلب من القلب رقة وعبرة، والحديث في صحيح

---

(1) «وقفات تربوية مع السيرة النبوية» [ص:١١١-١١٢] ط. التوفيقية.

البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم سريةً عينًا وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ذُكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فتبعوهم بقريب من مائة رامٍ فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلًا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة.

فقالوا: هذا تمر يثرب فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصمٌ وأصحابه لجأوا إلى فدفد وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلًا فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك، فقاتلوهم حتى قتلوا عاصمًا في سبعة نفر بالنبل وبقى خبيب وزيد ورجل فأعطوهم العهد والميثاق، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث معهما: هذا أول الغدر فقتلوه، وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة، فاشترى خبيبًا بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر، فمكث عندهم أسيرًا، حتى إذا أجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحدَّ بها فأعارته قالت: فغفلت عن صبي لي، فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه، فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذاك مني، وفي يده الموسى فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذاك إن شاء الله. وكانت تقول: ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خبيب؛ لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذٍ ثمرة، وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزق رزقه الله فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال: لولا أن تروا أنَّ ما بي جزع من الموت لزدتُ، فكان أول من سنَّ الركعتين عند القتل هو ثمَّ قال: اللهم أحصهم عددًا ثم قال:

ما إن أبالي حين أقتل مسلمًا ... على أي شق كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزّع

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله، وبعثت قريش على عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه، وكان عاصم قتل عظيمًا من عظمائهم يوم بدر، فبعث الله إليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شيء[(١)].

ومن صفحات صبر المهاجرين رضي الله عنهم صبرهم على لأواء المدينة وحماها عندما هاجروا إليها فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وُعِك أبو بكر وبلال فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئٍ مصبّحٌ في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلالٌ إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بوادٍ وحولي إذخر وجليلُ

وهل أردن يومًا مياه مجنةٍ ... وهل يبدون لي شامة وطفيلُ

وقال: اللهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مُدِّنا، وصححها لنا، وانقُل حُمَّاها إلى الجحفة**». قالت: وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله، فكان بطحان يجري نجلًا. تعني: ماءً آجنًا[(٢)].

---

(1) رواه البخاري برقم [٤٠٨٦] وقد سبق ذكره.

(2) رواه البخاري برقم [١٨٨٩] ومجنة اسم سوق من أسواق العرب، وشامة وطفيل جبلان بقرب مكة.

وفي رواية عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قدمنا المدينة وهي وبيئة فاشتكى أبو بكر واشتكى بلال فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوى أصحابه قال: «**اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت مكة أو أشد وصححها، وبارك في صاعها وحَوِّل حماها إلى الجحفة**»(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**رأيت كأن امرأةً سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بهيعة وهي الجحفة، فأولتُ أن وباء المدينة نُقل إليها**» والحديث عند البخاري في كتاب التعبير.

ومن صفحات صبر الصحابة وثباتهم: صبرهم في المعارك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يدافعون عن حوزة الدين ويردون كيد الكائدين، ويتجرعون آلام الأسفار والجوع والعطش، كل هذا في سبيل الله والله - جل جلاله - لا يُضيع أجر العاملين، فكل ما يبذلون وما يقدمون في صحيفة أعمالهم محفوظ يلقون به ربهم يوم القيامة قال الله جل جلاله: ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ** ﴾ [التوبة: ١٢٠].

ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل الغزوات برغم ما أصابهم من إراقة دمائهم وتمزيق أجسادهم، ولست أدري ما أذكر الآن في هذا السياق أأذكر موقفهم في غزوة بدر أم أحد أم الأحزاب أم تبوك أم مؤتة وخيبر؟ خذ شاهدًا واحدًا يكون تذكرة وتنبيهًا على ما سواه.

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٩٢٦ ومسلم برقم ١٣٧٦.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه **قال**: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة فلم يكُن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال: اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمدًا على الجهاد ما بقينا أبدًا

وفي لفظ آخر قال: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم وهم يقولون:

نحن الذين بايعوا محمدًا على الجهاد ما بقينا أبدًا

قال: يقول النبي صلى الله عليه وسلم وهو يجيبهم: «**اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة، فبارك في الأنصار والمهاجرة**».

قال: يُؤتون بملء كفي من الشعير فيُصنع لهم بإهالة سنخة تُوضع بين يدي القوم والقوم جياع وهي بشعة في الحلق ولها ريحٌ منتن[(١)].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: إهالة الدهن الذي يؤتدم به سواء كان زيتًا أو سمنًا أو شحمًا[(٢)].

ومما ورد في صبر الصحابة ما ورد عن هذه الصحابية التي لا نعرف اسمها ولا نسبها ولكن يكفيها أن الله قد عرفها وهذا مشهد ينطق عنها ففي الصحيحين من حديث عطاء بن رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟

(1) رواه البخاري برقم [٤٠٩٩/ ٤١٠٠]، ومسلم برقم [١٨٠٥].

(2) «فتح الباري» [٧/ ٤٥٦].

قال قلت: بلى قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف. فقال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك**» قالت: أصبر فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها[١].

إنها صورة رائعة من صور الصبر على البلاء ابتغاء وجه الله. ويا للعجيب تصبر على الصرع ولكنها لا تصبر على التكشف وظهور بدنها أثناء صرعها برغم أنها امرأة سوداء فلست أدري بماذا أسمي نساء عصرنا اللائي يتكشفن بلا صرع؟!

إنها نكبة حقيقية حينما نرى مسلمة آمنت بالله ورسوله ثم هي تسيرُ في الشوارع والطرقات، وإلى المدارس والجامعات وقد أبرزت مفاتنها وكشفت عن سوءاتها. فأين الإذعان لأمر الله ورسوله؟!

أين الصبر على طاعة الله والالتزام بما فرض الله من الحجاب؟! ليتنا نأخذ من هذا الموقف عبرة بأن تلتزم المسلمة بالحجاب وترفض التبرج والتكشف والتعري. لا بد لك أيتها المسلمة أن تتركي هذا الذنب الشنيع واتقي الله واصبري على أمره فإن موعدك الجنة، اتق الله واصبري فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعة الله جل جلاله.

وهذا مشهد آخر عن صبر الصحابيات لكنه لمبشرة بالجنة، تلك الصحابية ذات الشخصية العجيبة وأظن أني أكثرت من ذكرها في ثنايا هذه الصفحات، وكم يتملكني الانبهار بعظمة إيمانها ورجاحة عقلها ورسوخ يقينها. إنها صاحبة أغلى مهرٍ في التاريخ، وأم البطلين أنس بن مالك والبراء بن مالك رضي الله عنهما وزوجها هو أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه لعلك عرفتها إنها أم سليم الرميصاء بنت ملحان.

---

(١) رواه البخاري برقم [٥٦٥٢]، ومسلم برقم [٢٥٧٦].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه **قال**: كان ابن لأبي طلحة رضي الله عنه يشتكي فخرج أبو طلحة، فقبض الصبي، فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم - وهي أم الصبي -: هو أسكن ما كان، فقربت إليه العشاء فتعشى، ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: واروا الصبي، فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: «**أعرستم الليلة؟**» قال: نعم قال: «**اللهم بارك لهما**» فولدت غلامًا، فقال لي أبو طلحة: احمله حتى تأتي به النبي صلى الله عليه وسلم، وبعث معه بتمرات، فقال: أمعه شيء؟ قال: نعم، تمرات فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم فمضغها، ثم أخذها من فيه فجعلها في فيِّ الصبي ثم حنَّكه وسماه عبد الله(١).

وفي رواية للبخاري قال ابن عيينة: فقال رجل من الأنصار: فرأيت تسعة أولادٍ كلهم قد قرؤوا القرآن يعني من أولاد عبد الله المولود.

وفي رواية لمسلم: مات ابنٌ لأبي طلحة من أم سليم فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه، فجاء فقربت إليه عشاءً فأكل وشرب ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها، فلما أن رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟

قال: لا فقالت: فاحتسب ابنك قال: فغضب ثم قال: تركتني حتى إذا تلطخت ثم أخبرتني بابني، فانطلق حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بارك الله لكما في ليلتكما**» قال: فحملت قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وهي معه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقًا فدنوا من المدينة فضربها المخاض، فاحتبس عليها

---

(١) متفق عليه. رواه البخاري برقم [٥٤٧٠]، ومسلم برقم [٢١٤٤].

أبو طلحة وانطلق رسول الله ﷺ قال يقول أبو طلحة: إنك لتعلم يارب أنه يعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتبستُ بما ترى.

تقول أم سليم: يا أبا طلحة، ما أجدُ الذي كنتُ أجد، انطلق، فانطلقا، وضربها المخاض حين قدما فولدت غلامًا فقالت لي أمي: يا أنس، لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله ﷺ، فلما أصبح احتملتهُ فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ وذكر تمام الحديث.

تلك صفحات من صبر الصحابة وثباتهم وما هي إلا لمحات وإذا استقصينا مواقف صبرهم لطال المقام جدًا ولعل فيما ذكرناه كفاية. وليتنا نتأسى بهم ونقتدي بهم في ذلك ونسير على دربهم المنير وهديهم القويم رضي الله عنهم أجمعين.

رابع عشر -الصدق في التوبة والإنابة إلى الله تعالى

الصحابة بشر من الناس لا ندَّعي لهم العصمة لكننا نوقن أنهم أسلم الخلق من المعاصي والسيئات وأبرأ الناس من الذنوب والخطايا ويتجلى جانب من جوانب العظمة في حياتهم في سرعة الإنابة وصدق اللجوء إلى الله ليرسموا لنا بذلك سبيلًا نقتفيه ويسلكه كل أواب تواب.

فتوبة التائبين منهم قدوة عملية ومثالًا يحتذى، ومنهجًا تربويًا بديعًا يسير عليه السائرون.

وقد قال رسول الله ﷺ: «**لله أفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على بعيره وقد أضله في أرض فلاة**»[(١)].

---

(١) رواه البخاري برقم [٦٣٠٩]، ومسلم برقم [٢٧٤٧].

فالله يفرح بتوبة التائبين ويحبهم ويدنيهم إليه كما قال جل جلاله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البَقَرَة:٢٢٢].

وإننا حين نقف على توبة من زلت قدمه فإننا حينئذٍ نرى صورة من عظمة الرغبة وصدق الإنابة، وحقيقة الخوف من الله والتعظيم لأمره.

وعندئذٍ يفقه أولو البصائر والألباب أن هذا جيل لن يتكرر ولن تعرف الدنيا له نظيرًا فالعصاة منهم وهم قلة قليلة جدًا لا تكاد تذكر قد تفوقوا في الإيمان على من بعدهم، وبذلوا لله من قلوبهم ما لم يبذله غيرهم، وضحوا بكل شيءٍ في سبيل أن يرضى الله عنهم، بذلوا أرواحهم رخيصة ليستجلبوا بذلك مغفرة ربهم وقد فعل جل جلاله.

فهذه قمة من الطهر وذرة من ذُرا العبودية، ومثالية فريدة لا تُطال.

وما كان لي أن أعرض عن الحديث عن هذا الجانب بزعم الاستحياء من ذكره، وفرارًا من سوء ظن المغرضين. بل إنني أذكره بكل عزة وفخار وأدلل به على عظمة هذا الجيل الفريد الذي لم يحفظ عنهم ذنوبٌ عامة، ولم يعرف بينهم عصاة إلا أفرادًا معدودين، وأولئك الأفراد القليلون جدًا سارعوا بتوبة صادقة إلى ربهم محوا بها ما كان منهم (١).

فبقي المجتمع كله نقيًّا طاهرًا ينبض بحقيقة الاستسلام والإذعان لحكم الله جل في علاه وإذا أردت أن تقف على ذلك أكثر فما عليك إلا أن تعقد مقارنة سريعة لا أقول بين مجتمع الصحابة ومجتمعنا نحن المسلمين في هذه الأيام.

---

(1) وبدلت إلى حسنات.

obeikandl.com

بل أقول اعقد مقارنة بين مجتمع الصحابة كله على مدار تاريخهم وقرية من القرى وأنظر كم فيها من مصِّرين على الإثم وهم يعلمون، وكم فيها من شاردين عن أمر الله مضيعين لفرائضه وحدوده!

إنه والله لا وجه للمقارنة أصلًا. بل إن المقارنة سوء أدب مع هؤلاء الأكابر الأفاضل الأطهار رضي الله عنهم.

وهذه صور من توبة التائبين نرى من خلالها اليقين فيما عند الله، وشدة التعظيم والإجلال لأمر الله ورسوله، وسرعة المبادرة إلى ما يرضي الله جل جلاله.

١- أبو لبابة بن عبد المنذر رضي الله عنه :

لما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة بعد خيانتهم المهينة لله ورسوله أرادوا أن يتصلوا ببعض حلفائهم من المسلمين لعلهم يتعرفون ماذا سيحل بهم إذا نزلوا على حكمه فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرسل إلينا أبا لبابة نستشيره وكان حليفًا لهم وكانت أمواله وولده في منطقتهم فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش النساء والصبيان يبكون في وجهه فرقَّ لهم وقالوا: يا أبا لبابة، أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم وأشار بيده إلى حلقه، يقول: إنه الذبح ثم علم من فوره أنه خان الله ورسوله فمضى على وجهه، ولم يرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المسجد النبوي بالمدينة فربط نفسه بسارية المسجد وحلف أن لا يحله إلا رسول الله بيده وأنه لا يدخل أرض بني قريظة أبدًا.

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه قال: «**أما إنه لو جاءني لاستغفرت له، أما إذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه**»(١).

---

(١) «الرحيق المختوم» للمباركفوري [٢٨٤] ط. مكتبة الإيمان بالمنصورة.

يقول عنه الإمام عز الدين ابن الأثير في أسد الغابة: وشهد أحدًا وما بعدها من المشاهد وكانت معه راية بني عمرو بن عوف في غزوة الفتح، وربط نفسه في سارية من المسجد بسلسلة فكانت تحله ابنته لحاجة الإنسان وللصلاة فبقى كذلك بضع عشرة ليلة وقيل سبعة أيام أو ثمانية أيام وكان سبب ذلك أن بني قريظة لما حصرهم رسول الله ﷺ وكانوا حلفاء الأوس فاستشاروه في أن ينزل على حكم سعد بن معاذ فأشار إليهم: إنه الذبح.

قال: فما برحت قدماي حتى عرفت أني خنت الله ورسوله فجاء وربط نفسه فقال: والله لا أحل نفسي ولا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتى يتوب الله عليَّ فمكث سبعة أيام لا يذوق شيئًا حتى خرَّ مغشيًا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له: قد تاب الله عليك فقال: والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ يحلني فجاء النبي ﷺ فحله بيده وقال أبو لبابة: إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ قال: «**يجزئك يا أبا لبابة الثلث**»(١).

٢- أبو محجن الثقفي رضي الله عنه:

قال ابن الأثير: كان أبو محجن شاعرًا حسن الشعر ومن الشجعان المشهورين بالشجاعة في الجاهلية والإسلام وكان كريمًا جوادًا إلا أنه كان منهمكًا في الشرب لا يتركه خوف حدًّ أو لوم، وجلده عمرُ مرارًا سبعًا أو ثمانيًا ونفاه إلى جزيرة في البحر وبعث معه رجلًا فهرب منه ولحق بسعد بن أبي وقاص وهو بالقادسية يحارب الفرس فكتب عمر إلى سعدٍ ليحبسه فحبسه(٢).

---

(1) «أُسد الغابة في معرفة الصحابة» لابن الأثير [٦/ ٢٨٠] ط. دار إحياء التراث العربي.

(2) «السابق» [٦/ ٢٩١].

فلما كان يوم القادسية رآهم يقتتلون واشتد القتال بين الفريقين فسأل أبو محجن امرأة سعدٍ أن تحل قيده وتعطيه فرس سعد البلقاء وعاهدها إن سلم عاد إلى حاله من القيد والسجن وإن استشهد فلا تبعة عليه فلم تفعل فقال:

كفى حزنًا أن تطعن الخيل بالقنا وأترك مشدودًا عليَّ وثاقيا

إذا قمت عناني الحديد وغلقت مصارع دوني قد تصم المناديا

وقد كنت ذا مالٍ كثيرة وإخوة فقد تركوني واحدًا لا أخاليا

حبسنا عن الحرب العوان وقد بدت وأعمال غيري يوم ذاك العواليا

فلله عهد لا أخيس بعهده لئن فرجت أن لا أزور الحوانيا

فلما سمعت سلمى امرأة سعد ذلك رقت له فخلت سبيله وأعطته الفرس فقاتل قتالًا عظيمًا، وكان يكبر ويحمل فلا يقف له أحد، وكان يقصف الناس قصفًا منكرًا فعجب الناس منه وهم لا يعرفونه.

ورآه سعد وهو فوق القصر ينظر إلى القتال ولم يقدر على الركوب لجراحٍ كانت به.

فقال: لولا أن أبا محجن محبوس لقلت: هذا أبو محجن وهذه البلقاء تحته فلما تراجع الناس عن القتال عاد إلى القصر وأدخل رجليه في القيد فأعلمت سلمى سعدًا بخبر أبي محجن فأطلقه، فتاب أبو محجن حينئذٍ فقال له سعد: لا أجلدك في الخمر أبدًا.

فقال أبو محجن: وأنا والله لا أشربها أبدًا فقد كنت آنف أن أدعها من أجل جلدكم، فلم يشربها بعد.

إنه قد تخيم على قلب المؤمن سحابة من شهوات الدنيا، ولكنها لا تعنى إلا مجرد

ظاهر لا حقيقة له لأن الباطن معمور بالتقوى مملوء بمحبة الله ورسوله، وقد تأصل فيه الإيمان وعند المواقف يظهر الإيمان وتتجلَّى الحقائق.

وفي هذا المشهد نلمح رهافة الحس، والعزم الجازم على ترك ما يستجلب عقاب الله في الآخرة.

٣- ماعز بن مالك والغامدية رضي الله عنهما:

الإيمان مواقف، ولا يوفق للمواقف النبيلة إلا النبلاء.

ولا يصطنع النوادر الإيمانية إلا اليقين والإيمان، وها نحن نرى موقفًا ينبض بالعزم الواثق، والحرص العظيم على التخلص من آثار الآثام ولو استدعى ذلك بذل الروح ومقاساة الآلام، والتجرع لغصص العذاب الأليم إذ إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، والغاية العظمى يهون كل شيءٍ في سبيلها.

فتعالوا نشاهد حادثة فريدة في تاريخ البشر تعالوا نرى الإصرار والإلحاح في طلب الموت لأن فيه طهرًا من معصية وقربة على الله جل جلاله.

في صحيح مسلم وغيره عن عمران بن الحصين رضي الله عنه أن امرأة من جهينة أتت نبي الله صلى الله عليه وسلم وهي حبلى من الزنا فقالت: يا نبي الله، أصبت حدًا فأقمه عليَّ فدعا نبي الله صلى الله عليه وسلم وليَّها فقال: «**أحسن إليها فإذا وضعت فأتني بها**» ففعل فأمر بها نبي الله صلى الله عليه وسلم فشدُّت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها. فقال له عمر: تصلي عليها وقد زنت. فقال: «**لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى**»[1].

---

(١) رواه مسلم برقم [١٦٩٦]، والترمذي برقم [١٤٣٥]، وأبو داود برقم [٤٤٤٠].

قال المباركفوري: هي الغامدية. فقال: «أحسن إليها» إنما أمره بذلك لأن سائر قرابتها ربما حملتهم الغيرة وحمية الجاهلية على أن يفعلوا بها ما يؤذيها فأمره بالإحسان تحذيرًا من ذلك «فشدت عليها ثيابها» لئلا تنكشف عند وقوع الرجم عليها لما جرت به العادة من الاضطراب عند نزول الموت وعدم المبالاة بما يبدو من الإنسان ولهذا ذهب الجمهور إلى أن المرأة ترجم قاعدة والرجل قائمًا لما في ظهور عورة المرأة من الشناعة(١).

وقد روى مسلم وغيره الحادثة بتفصيل أكثر وأرجو أن تقف على عظمة التوبة والصدق فيها من ماعز بن مالك والغامدية كلاهما وشهادة الرسول ﷺ بأن الله تعالى قد غفر لهما وقبل التوبة منهما وهو ﷺ لا ينطق عن الهوى فعن بريدة رضي الله عنه قال: جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله طهرني. **فقال: «ويحك، ارجع فاستغفر الله وتُب إليه»** قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال: يا رسول الله طهِّرني فقال رسول الله ﷺ مثل ذلك حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله ﷺ: «**فيم أطهرك؟**»فقال: من الزنا فسأل رسول الله ﷺ: «**أَبِهِ جنون؟**» فأخبر أنه ليس بمجنون.

فقال: «أشرب خمرًا؟» فقام رجل فاستنهكه فلم يجد منه ريح الخمر. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**أزنيت؟**» **فقال**: نعم. فأمر به فرُجم. فكان الناس فيه فرقتين: قائلٌ يقول: لقد هلك، لقد أحاطت به خطيئته.

وقائل يقول: ما توبة أفضل من توبة ماعز أنه جاء إلى النبي ﷺ فوضع يده في يده ثم قال: اقتلني بالحجارة قال: فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة ثم جاء

(١) «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي» [٤/ ٣٩٠] ط. التوفيقية.

رسول الله ﷺ وهم جلوس ثم جلس فقال: «**استغفروا لماعز بن مالك**» قال: فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك قال فقال رسول الله ﷺ: «**لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم**» قال: ثم جاءته امرأة من غامد من الأزد فقالت: يا رسول الله، طهِّرني فقال: ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه فقالت: أراك تريدُ أن تردني كما رددت ماعز بن مالك قال: «**وما ذاك؟**» قالت: إنها حبلى من الزنا فقال: «**آنت؟**»

قالت: نعم فقال لها: «**حتى تضعي ما في بطنك**» قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت قال: فأتى النبي ﷺ فقال: قد وضعت الغامدية فقال: «**إذًا لا نرجمها وندع ولدها صغيرًا ليس له من يرضعه**» فقام رجل من الأنصار فقال: إليَّ رضاعه يا نبي الله قال: فرجمها.

وفي رواية أخرى عند مسلم كذلك قال: فجاءت الغامدية فقالت: يا رسول الله إني قد زنيت فطهِّرني وإنه ردها فلما كان الغد قالت: يا رسول الله لم تردني؟ لعلك تردني كما رددت ماعزًا فوالله إني لحبلى قال: «**إما لا فاذهبي حتى تلدي**» فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة قالت: هذا قد ولدته قال: «**اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه**» فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبها فسمع نبي الله ﷺ سبَّه إياها فقال: «**مهلًا يا خالد، فو الذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغُفر له**» ثم أمر بها فصلي عليها ودُفنت(١).

---

(١) رواه مسلم برقم [١٦٩٥]، وأبو داود برقم [٤٤٣٣].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي هذا الحديث دليل على سقوط المعاصي الكبائر بالتوبة وهو بإجماع المسلمين إلا ما قدمناه عن ابن عباس في توبة القاتل خاصة والله أعلم. فإن قيل: فما بال ماعز والغامدية لم يقنعا بالتوبة وهي محصِّلة لغرضهما وهو سقوط الإثم بل أصرا على الإقرار واختارا الرجم؟ فالجواب: أن تحصيل البراءة بالحدود وسقوط الإثم متيقن على كل حال لا سيما وإقامة الحد بأمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأما التوبة فيخاف أن لا تكون نصوحًا وأن يخل بشيءٍ من شروطها فتبقى المعصية وإثمها دائمًا عليه، فأراد حصول البراءة بطريق متيقن دون ما يتطرق إليه احتمال[1] **قلت: ومما يدل على صدق التوبة وعظمتها في هذا الحديث أمور:**

١- مجيء ماعز والغامدية باختيارهما إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أجل الطهارة من الذنب.

٢- علمها أن العقوبة في ذلك القتل فآثر كل منهما الموت طلبًا لمغفرة الله ورضوانه.

٣- الإصرار على طلب العقوبة وعدم الاكتفاء بالاستغفار وقول الرسول لكل منهما «**ارجع فاستغفر الله وتب إليه**».

٤- في إقامة الحد عليهما تشهير بهما ولكنهما آثرا ذلك على فضيحة يوم القيامة فعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة.

٤- شهادة الرسول لكل منهما بمغفرة الله وصحة التوبة:

فقال في ماعز: «لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم»وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الغامدية: «**لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى**»؟!.

(1) «شرح النووي» على صحيح مسلم [٦/ ٢١٨] ط. دار الحديث.

٦- ومن ذلك أن أصرت الغامدية سنين وبقى العزم في قلبها وظلت حريصة على إقامة الحد عليها لتطهر نفسها به.

٧- صلاة الرسول ﷺ عليها واستغفاره لها.

وبالله تأمل في عظمة الإصرار والرجاء حتى بقيت تسعة أشهر ثم يأمرها الرسول بأن ترجع بعد فطامه وهذا يستغرق عامين أو أقل قليلًا فتأمل كيف تظل قرابة الثلاث سنوات مصرة على أن تطهر نفسها من ذنب مضى وانقضى فرضي الله عنها وأرضاها. ويا له من موقف لا يصطنعه إلا الإيمان!!

٥- توبة كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم:

قال الإمام البخاري: حدثنا يحيي بن بُكير حدثنا الليث عن عُقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بنيه حين عمي قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة بدر، ولم يعاتب أحدٌ تخلف عنها إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدرٌ أذكر في الناس منها كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورَّى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ في حرٍّ شديد، واستقبل سفرًا بعيدًا ومفازًا، وعدوًا كثيرًا، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجهه الذي يريد

والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ولا يجمعهم كتابٌ حافظ - يريد الديوان - قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله.

وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وتجهَّز رسول الله ﷺ والمسلمون معه فطفقت أعدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقضِ شيئًا، فأقول في نفسي: أنا قادرٌ عليه. فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئًا فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهممتُ أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت فلم يُقدر لي ذلك فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم، أحزنني أني لا أرى إلا رجلًا مغموصًا عليه في النفاق أو رجلًا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب بن مالك؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه بُرداه والنظر في عطفيه فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت والله يا رسول الله! ما علمنا عليه إلا خيرًا فسكت رسول الله ﷺ قال كعب ابن مالك: فلما بلغني أنه توجَّه قافلًا حضرني همي وطفقت أتذكر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخطه غدًا؟ واستعنتُ على ذلك بكل ذي رأي من أهلي.

فلما قيل: إن رسول الله قد أظل قادمًا زاح عني الباطل وعرفتُ أني لن أخرج منه أبدًا بشيءٍ فيه كذب فأجمعتُ صدقه وأصبح رسول الله ﷺ قادمًا، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس.

فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له - وكانوا بضعة وثمانين رجلًا - فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم

ووكل سرائرهم إلى الله تعالى فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسُّم المغضب ثم قال: تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي: «**ما خلَّفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟**» فقلت: بلى إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعُذر، ولقد أعطيت جدلًا، ولكني والله لقد علمتُ لئن حدثتُك اليوم حديث كذبٍ ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليَّ ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليَّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله ﷺ: «**أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك**»، فقمت وثار رجالٌ من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبًا قبل هذا ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المتخلفون قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك، فوالله مازالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي. ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهم مثلما قيل لك؟ فقلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي فذكروا لي رجلين قد شهدا بدرًا فيهما أسوة، فمضيت حين ذكروهما لي.

ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيَّروا لنا حتى تنكَّرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي: هل حرَّك شفتيه برد السلام عليَّ أم لا؟ ثم أصلي قريبًا منه فأسارقه

النظر إذا أقبلت على صلاتي أقبل إليَّ وإذا التفتُّ نحوه أعرض عني حتى إذا طال عليَّ ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إليَّ فسلمت عليه فوالله ماردَّ عليَّ السلام.

فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار قال: فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطيٌّ من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إليَّ كتابًا من ملك غسَّان فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحقْ بنا نواسك. فقلت لما قرأتها: وهذا أيضًا من البلاء.

فتيممت بها التنور فسجرته بها حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذارسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا بل اعتزلها ولا تقربها وأرسل إلى صاحبيَّ مثل ذلك فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع، ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: «**لا ولكن لا يقربك**». قالت: إنه والله ما به حركةٌ إلى شيءٍ، والله ما زال يبكي حتى كان من أمره ما كان إلى يومه هذا.

فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب، فلبث

بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا.

فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالسٌ على الحال التي ذكر الله قد ضاقت عليَّ نفسي وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر. قال: فخررت ساجدًا وعرفتُ أنه قد جاء فرج، وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبيَّ مبشرون وركض إليَّ رجل فرسًا وسعى ساعٍ من أسلم فأوفى على الجبل وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيَّ فكسوته إياهما ببُشراه والله ما أملك غيرهما يومئذٍ، واستعرتُ ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فيتلقاني الناس فوجًا فوجًا يهنوني بالتوبة.

يقولون: لتهنك توبة الله عليك! قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالسٌ حوله الناس فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور: «**أبشر بخير يومٍ مَرَّ عليك منذ ولدتك أمك**» قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: «**لا، بل من عند الله**».

وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله.

قال رسول الله ﷺ: «**أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك**». قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر. فقلت: يا رسول الله، إنما نجّاني الله بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت.

فوالله ما أعلم أحدًا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذبًا، وإني لأرجو الله أن يحفظني فيما بقيت، وأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١١٧]، إلى قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

فوالله ما أنعم الله عليَّ نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرَّ ما قال لأحدٍ فقال تبارك وتعالى: ﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [التوبة: ٩٥]. إلى قوله: ﴿يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦].

قال كعب: وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه بذلك قال الله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة: ١١٨].

وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه[(١)].

هذا الحديث العظيم يحتوي على فوائد جمة، ومعانٍ مهمة، يحتاجها كل أبناء هذه الأمة، لاسيما في هذه العصور المدلهمة، والشاهد الذي سقته من أجله صدق توبة كعب ابن مالك وصاحبيه، ومما يدلك على عظمة الصدق في التوبة هنا أمور:

١- صدقهم في إخبار الرسول ﷺ عن سبب التخلف.

٢- ثباتهم على طلب التوبة مدة طويلة بلغت خمسين ليلة.

٣- صبرهم على هجر الناس لهم وتنكُّر كل شيءٍ لهم واعتزالهم زوجاتهم بعد أربعين يومًا من هذه المدة.

٤- ثبات كعب على شدة الجواب الذي تلقاه من ابن عمه وأحب الناس إليه حينما قال: أنشدك الله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فقال: الله ورسوله أعلم.

٥- ثباته أمام فتنة ملك غسَّان ونظرته إلى هذه الرسالة على أنها من البلاء وسرعة التخلص منها بإحراقها.

٦- شدة بكاء هلال بن أمية وطول حزنه حتى تقول امرأته لرسول الله: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله مازال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا.

٧- نزول الوحي بتوبتهم وخلود ذكرهم في العالمين وتوبة الله عليهم حتى قال ربنا: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١١٨].

---

(١) رواه البخاري برقم [٤٤١٨]، ومسلم برقم [٢٧٦٩].

فوائد مهمة

في هذا الحديث فوائد كثيرة جدًا تستحق أن يفرد لها مصنف، وهذا الحديث وحده يكفي ويشفي في الدلالة على عظمة الصحابة.

وهذه فوائد منتقاة من كلام الإمامين النووي وابن حجر رحمهما الله ورفع في الجنة درجاتهما.

أولاً- الفوائد النووية

يقول الإمام المبارك المتقن البارع النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واعلم أن في حديث كعب هذا فوائد كثيرة.

١- إباحة الغنيمة لهذه الأمة لقوله «خرجوا يريدون عير قريش».

٢- فضيلة أهل بدر والعقبة.

٣- جواز الحلف من غير استحلاف في غير الدعوى عند القاضي.

٤- أنه ينبغي لأمير الجيش إذا أراد غزوة أن يوري بغيرها لئلا يسبقه الجواسيس ونحوهم بالتحذير إلا إذا كانت سَفْرة بعيدة فيستحب أن يعرِّفهم البعد ليتأهبوا.

٥- التأسف على ما فات من الخير وتمني المتأسف أنه كان فعله لقوله: فياليتني فعلت!

٦- رد غيبة المسلم لقول معاذ: بئس ما قلت!

٧- فضيلة الصدق وإن كان فيه مشقة فإنه يهدي إلى الجنة كما ثبت في الصحيح.

٨- استحباب صلاة القادم من سفر ركعتين في مسجد محلته أول قدومه قبل كل شيء.

٩- أنه يستحب للقادم من سفر إذا كان مشهورًا يقصده الناس للسلام عليه أن يقعد لهم في مجلس بارز هين الوصول إليه.

١٠- الحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، وقبول معاذير المنافقين ونحوهم ما لم يترتب على ذلك مفسدة.

١١- استحباب هجر أهل البدع والمعاصي الظاهرة وترك السلام عليهم ومقاطعتهم تحقيرًا لهم وزجرًا.

١٢- استحباب بكائه على نفسه إذا وقعت منه معصية.

١٣- أن مسارقة النظر في الصلاة والالتفات لا يبطلها.

١٤- أن السلام يُسمَّى كلامًا وكذلك رد السلام وأن من حلف لا يكلم إنسانًا فسلم عليه أو ردَّ عليه السلام يحنث.

١٥- وجوب إيثار طاعة الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مودة الصديق والقريب وغيرهما كما فعل أبو قتادة حين سلَّم عليه كعب فلم يرد عليه حين نهي عن كلامه.

١٦- أنه إذا حلف لا يكلم إنسانًا فتكلم ولم يقصد كلامه بل قصد غيره فسمع المحلوف عليه لم يحنث الحالف لقوله: الله أعلم فإنه محمول على أنه لم يقصد كلامه.

١٧- جواز إحراق ورقة فيها ذكر الله تعالى لمصلحة كما فعل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم بالمصاحف التي هي غير مصحفه الذي أجمعت الصحابة عليه وكان ذلك صيانة فهي حاجة، وموضع الدلالة من حديث كعب أنه أحرق الورقة وفيها لم يجعلك الله بدار هوان.

١٨- إخفاء ما يخاف من إظهاره مفسدة وإتلافه.

١٩- أن قوله لامرأته: الحقي بأهلك ليس بصريح طلاق ولا يقع به شيء إذا لم ينو.

٢٠- جواز خدمة المرأة زوجها برضاها وذلك جائزٌ له بالإجماع وأما إلزامها بذلك فلا.

٢١- استحباب الكنايات في ألفاظ الاستمتاع بالنساء ونحوها.

٢٢- الورع والاحتياط بمجانبة ما يخاف منه الوقوع في منهيٍّ عنه لأنه لم يستأذن في خدمة امرأته له وعلل بأنه شاب أي: لا يأمن مواقعتها وقد نهي عنها.

٢٣- استحباب سجود الشكر عند تجدد نعمة ظاهرة أو اندفاع بلية ظاهرة وهو مذهب الشافعي وطائفة وقال أبو حنيفة وطائفة: لا يشرع(١).

٢٤- استحباب التبشير بالخير.

٢٥- استحباب تهنئة من رزقه الله خيرًا ظاهرًا أو صرف عنه شرًا ظاهرًا.

٢٦- استحباب إكرام المبشر بخلعة أونحوها.

٢٧- أنه يجوز تخصيص اليمين بالنية فإذا حلف لا مال له ونوى نوعًا لم يحنث بنوع من المال غيره، وإذا حلف لا يأكل ونوى خبزًا لم يحنث بالتمر واللحم وسائر المأكول ولا يحنث إلا بذلك النوع وكذلك لو حلف لا يكلم زيدًا ونوى كلامًا مخصوصًا لم يحنث بتكليمه إياه غير ذلك الكلام المخصوص وهذا كله متفق عليه عند أصحابنا ودليله من هذا الحديث قوله في الثوبين: والله ما أملك غيرهما.

ثم قال بعده في ساعة: إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة، ثم قال: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر.

٢٨- جواز العارية.

٢٩- جواز استعارة الثياب للبس.

---

(١) قلت: والصحيح قول الشافعي ومن وافقه لدلالة هذا الحديث عليه وهو قول الجمهور، وقد دل عليه ما ورد عن أبي بكرة بسند حسن أن النبي ﷺ «كان إذا أتاه أمرٌ يسرُّه أو يُسرُّ به خرَّ ساجدًا شكرًا لله تعالى» رواه أبو داود [٢٧٥٧]، والترمذي [١٦٢٦] وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه [١١٤٣].

٣٠- استحباب اجتماع الناس عند إمامهم وكبيرهم في الأمور المهمة من بشارة ومشورة وغيرهما.

٣١- استحباب القيام للوارد إكرامًا له إذا كان من أهل الفضل بأي نوع كان، وقد جاءت به أحاديث جمعتها في جزءٍ مستقل بالترخيص فيه، والجواب عما يظن به مخالفًا لذلك.

٣٢- استحباب المصافحة عند التلاقي وهي سنة بلا خلاف.

٣٣- استحباب سرور الإمام وكبير القوم بما يَسرُّ أصحابه وأتباعه.

٣٤- أنه يستحب لمن حصلت له نعمة ظاهرة أو اندفعت عنه كُربة ظاهرة أن يتصدَّق بشيءٍ صالح من ماله شُكرًا لله تعالى على إحسانه.

٣٥- أنه يستحب لمن خاف أن لا يصبر على الإضاقة ألا يتصدق بجميع ماله، بل ذلك مكروه له.

٣٦- أنه يستحب لمب رأى من يريد أن يتصدق بكل ماله ويخاف عليه أال يصبر على الإضافة أن ينهاه عن ذلك، ويشير عليه ببعضه.

٣٧- أنه يستحب لمن تاب بسبب من الخير أن يحافظ على ذلك السبب فهو أبلغ في تعظيم حرمات الله، كما فعل كعب في الصدق والله أعلم[(١)].

***

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» [٩/ ١١٣-١١٥] ط. دار الحديث

ثانيًا: الفوائد العسقلانية

وقد استخرج الحافظ ابن حجر - عليه رحمة الله - فوائد كثيرة من هذا الحديث وافق النووي في بعضها، وسوف أنتقي مما لم يتفق فيه مع النووي جملة مختصرة منتقاة من هذه الفوائد:

١- عظم أمر المعصية. وقد نبه الحسن البصري على ذلك فيما أخرجه ابن أبي حاتم عنه قال: يا سبحان الله! ما أكل هؤلاء الثلاثة مالًا حرامًا ولا سفكوا دمًا حرامًا ولا أفسدوا في الأرض، أصابهم ما سمعتم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت فكيف بمن يواقع الفواحش والكبائر؟

٢- القوي في الدين يؤاخذ بأشد مما يؤاخذ به الضعيف في الدين.

٣- جواز إخبار المرء عن تقصيره وتفريطه وعن سبب ذلك وما آل إليه أمره تحذيرًا ونصيحة لغيره.

٤- جواز مدح المرء بما فيه من الخير إذا أمن الفتنة. وتسلية نفسه بما لم يحصل له بما وقع لنظيره.

٥- جواز ترك وطء الزوجة مدة.

٦- أن المرء إذا لاحت له فرصة في الطاعة فحقه أن يبادر إليها ولا يسوِّف بها لئلا يحرمها كما قال تعالى: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ومثله قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ [الأنعام: ١١٠].

ونسأل الله تعالى أن يلهمنا المبادرة إلى طاعته، وأن لا يسلبنا ما خوَّلنا من نعمته.

٧- جواز تمني ما فات من الخير وأن الإمام لا يهمل من تخلف عنه في بعض الأمور بل يذكره ليراجع التوبة.

٨- ترك السلام على من أذنب وجواز هجره أكثر من ثلاث، وأما النهي عن الهجر فوق الثلاث فمحمول على من لم يكن هجرانه شرعيًا.

٩- أن التبسم قد يكون عن غضب كما يكون عن تعجب ولا يختص بالسرور.

١٠- معاتبة الكبير أصحابه ومن يعز عليه دون غيره.

١١- فائدة الصدق وشؤم عاقبة الكذب.

١٢- العمل بمفهوم اللقب إذا حفته قرينة لقوله ﷺ لما حدثه كعب «**أما هذا فقد صدق**» فإنه يُشعر بأن من سواه كذب.

لكن ليس على عمومه في حق كل أحدٍ سواه لأن مرارة وهلال أيضًا قد صدقا فيختص الكذب بمن حلف واعتذر لا بمن اعترف. ولهذا عاقب من صدق بالتأديب الذي ظهرت فائدته عن قُرب، وأخر من كذب للعقاب الطويل.

١٣- تبريد حر المصيبة بالتأسي بالنظير(١).

هذه بعض الفوائد المستخرجة من هذا الحديث دلالة على أن حياة هؤلاء الصحابة هي أكمل مثال ويؤخذ منها التشريع ويستدل بمواقفهم وكلامهم على حقائق الشرع الشريف إذ لو خالفوا لنهاهم رسول الله ﷺ ولهذا تعمدت إيراد هذه الفوائد ولو استقصى العلماء أكثر وأمعنوا النظر أكثر لكانت هناك فوائد تزيد على ضعف المذكور.

---

(١) «فتح الباري» [٧/ ٧٢٩-٧٣٠] بتصرف كما هو واضح.

opeikandi.com

وقد كان موطن الشاهد صدق الصحابة الثلاثة في توبتهم إلى الله جل جلاله.

فانظر إلى هذه الصفحات الناصعة والبراهين القاطعة التي تتألق بروعة العبودية وتنطق باليقين العظيم فيما عند الله وصدق الرغبة فيما لديه. فاللهم ارض عن الأئمة الأطهار والصحابة الأخيار.

خامس عشر - روعة التربية النبوية وعظيم أثرها

من أبرز عوامل السمو والارتقاء في حياة الصحابة العظماء وجود الرسول ﷺ بينهم، فحقيق بمن خالط العظماء أن يكون عظيمًا، وجديرٌ بمن عاشر النبلاء الفضلاء أن يرتوي من هديهم ويتضلَّع من طيب معينهم .فكيف إذًا بمن عاشروا سيد الكل، وإمام الأئمة وقدوة الخلق، وأشرف الأنبياء والمرسلين ﷺ ؟!

إن الكواكب التي تحف بالشمس يراها كل ناظرٍ إليها وضاءة مشرقة متلألئة، وعلى حسب قربها يكون ضياؤها. وكذلك كان الصحابة الكرام الذين عاشروا رسول الله ﷺ فى أطوار حياته كلها وسرت إلى نفوسهم أخلاقه، وانطبعت في أرواحهم سلوكياتُه وهديه وسنته، فصاروا بها ينطقون، ومن خلالها يعملون، وبها يقتدون حتى صاروا شموسًا للهداية تضيء الكون حيثما حلت، وتبدد الظلمات أينما رحلت، فطابت بهم البلاد، وزكت بهديهم أخلاق العباد.

وقد امتن ربنا - جل جلاله - على الصحب الكرام ببعثة رسوله إليهم وتربيته لهم فقال جل ذكره: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وتلمح الأهمية العظيمة لجانب التزكية والتربية في دعاء الخليل إبراهيم ﷺ حينما يسأل ربه أن يبعث في ذريته من بعده رسولًا منهم يزكيهم ويربيهم ويعلمهم شرائع دينه فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وقد استجاب الله دعاء الخليل وبعث فيهم رسوله المصطفى محمدًا - صلوات الله وسلامه عليه- وطابت أرواحهم وصارت أطهر النفوس وأزكاها حتى فاض طهرها على من حولها ودهش الزمان لروعة ما يرى من النبل، وجلال ما يشاهد من الفضائل والمكارم والأخلاق والبطولات. فيالها من نفوسٍ زكية سرت فيها المعالم الإسلامية وزكت بزكاتها نفوس من عاشرها من البرية.

وإليكم بعض الصفحات من التربية النبوية الكريمة للصحابة رضوان ربي ورحماته عليهم أجمعين.

١- تعظيم الشعائر وحمايته جناب التوحيد:

إن أهم الأصول وآكد الواجبات، وركن الدين هو التوحيد وهو أول ما ينبغي أن يغرس ويؤصل في نفوس المحيطين بكل داعية لبيب أريب ولذا رأينا من رسول الله ﷺ حرصًا بالغًا واهتمامًا كبيرًا بهذا الجانب العظيم فكان يسد كل ذريعة توصل إلى الشرك ويقضي على كل لفظة تخدش التوحيد ومن المواقف النيرة البارزة في ذلك ما رواه الشيخان من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ يوم مات إبراهيم فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم فقال رسول الله ﷺ: «**إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد**

ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا الله»(١).

قال الحافظ ابن حجر - عليه رحمة الله -: قال الخطابي: كانوا في الجاهلية يعتقدون أن الكسوف يوجب حدوث تغيُّر في الأرض من موت أو ضرر فأعلم النبي ﷺ أنه اعتقاد باطل وأن الشمس والقمر خلقان مسخران لله ليس لهما سلطان في غيرهما ولا قدرة على الدفع عن أنفسهما. وفيه ما كان النبي ﷺ من الشفقة على أمته وشدة الخوف من ربه(٢).

ومن ذلك ما رواه الترمذي من حديث أبي واقد الليثى رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حُدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذاتُ أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر! إنها السُّنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾** [الأعراف: ١٣٨]، **لتركبن سنن من كان قبلكم**»(٣).

إنه قطع لمادة المشابهة للمشركين وإنكار من النبي ﷺ عن مشابهة أهل الغي والضلال يقول ابن عثيمين رحمه الله: «فهؤلاء طلبوا سدرة يتبركون بها كما يتبرك المشركون بها، وهؤلاء طلبوا إلهًا كما لهم آلهة فيكون في كلا الطلبين منافاة للتوحيد؛ لأن التبرك بالشجر نوعٌ من الشرك»(٤).

---

(1) رواه البخاري برقم [١٠٤٣]، ومسلم برقم [٩١٠].

(2) «فتح الباري» لابن حجر [٢/ ٤١٣] ط. دار الريان.

(3) رواه الترمذي برقم [٢١٨٠] وصححه الألباني في «تخريج السنة» لابن أبى عاصم برقم [٧٦].

(4) «القول المفيد شرح كتاب التوحيد» [١/ ١٦٠] ط: مكتبة العلم.

ومن ذلك أنه ﷺ نهى عن الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله أو في مكان يكون فيه اجتماع للمشركين وعيد لهم كما روى أبو داود عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: نذر رجلٌ أن ينحر إبلًا ببوانة فسأل النبي ﷺ ؟ فقال: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟**»، قالوا: لا قال: «**فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**» قالوا: لا فقال رسول الله ﷺ : «**أوف بنذرك؛ فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابنُ آدم**»(١).

ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال:صلَّى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انحرف أقبل على الناس فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم.قال: « **أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمنٌ بى كافر بالكواكب.وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافرٌ بى مؤمنٌ بالكواكب**»(٢).

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: قال الشافعي في «الأم»: من قال: مطرنا بنوء كذلك كذا وكذا على ما كان بعض أهل الشرك يعنون من إضافة المطر إلى أنه مطر نوء كذا فذلك كفر كما قال رسول الله ﷺ لأن النوء وقت، والوقت مخلوق،لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئًا، ومن قال: مطرنا بنوء كذا وكذا على معنى مطرنا في وقت كذا فلا يكون كفرًا وغيره من الكلام أحب إليَّ منه، يعنى حسمًا للمادة وعلى ذلك يُحمل إطلاق الحديث، وحكى ابن قتيبة في كتاب الأنوار أن العرب كانت في ذلك على

---

(1) رواه أبو داود [٣٣١٣] وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٢٥٥١].

(2) رواه البخاري برقم [٨٤٦]، ومسلم برقم [٧١].

مذهبين على نحو ما ذكره الشافعي قال: ومعنى النوء سقوط نجم في المغرب من النجوم الثمانية والعشرين التي هي منازل القمر قال:وكانوا في الجاهلية يظنون أن نزول الغيث بواسطة النوء إما بصنعه على زعمهم وإما بعلامته، فأبطل الشرع قولهم وجعله كفرًا. فإن اعتقد قائل ذلك أن للنوء صنعًا من ذلك فكفر كفر تشريك وإن اعتقد أن ذلك من قبيل التجربة فليس بشرك لكن يجوز إطلاق الكفر عليه وإرادة كفر النعمة(١).

ومن تربية الرسول للصحابة على حماية جناب التوحيد وتعظيم الشعائر ما ورد في الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدًا، وصوَّروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله**»(٢).

ومن ذلك ما رواه أحمد وابن ماجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلًا قال للرسول صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**ويلك أجعلتني لله عدلًا قل: ما شاء الله وحده**»(٣).

ومن ذلك التعظيم لشعائر الله ولاسم الله وتوحيد الله - جل جلاله - هذا الموقف الذي نهى فيه الرسول مرة الصحابة عن إجابة أبى سفيان ثم أمرهم بعد ذلك بإجابته

---

(1) «فتح الباري» بشرح صحيح البخاري [٢/ ٦٠٨] ط. دار الريان.

(2) رواه البخاري برقم [٤٢٧]، ومسلم برقم [٥٢٨].

(3) رواه أحمد برقم [١٨٣٩]، والنسائي في «الكبرى» واللفظ له برقم[١٠٨٢٤] وابن ماجه برقم [٢١١٧] وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» برقم [١٧٢٠].

والرد عليه فلماذا كان ذلك ؟ تأمل هذا المشهد لما انتهت معركة أحد أشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: «**لا تجيبوه**». فقال:أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: «**لا تجيبوه**» فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟[1] . فقال: إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله أبقى الله عليك ما يخزيك قال أبو سفيان: اعلُ هُبَل فقال النبى ﷺ «**أجيبوه**» قالوا: ما نقول؟ قال: «**قولوا: الله أعلى وأجل**». قال أبو سفيان: لنا الُعزَّى ولا عُزى لكم فقال النبي ﷺ: «**أجيبوه**» قالوا: ما نقول: قال: «**قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم**»[2] .

فلما كان الأمر متعلقًا بتوحيد الله - عز وجل - أمر بالإجابة في حين أنه لما تعلق بذوات النبي وصاحبيه لم يأمر بالإجابة وفى هذا بيان تعظيم النبي ﷺ لله وشعائره وأسمائه. وغرس ذلك المعنى في نفوس الصحابة من حوله.

ومن ذلك أيضًا ما رواه الشيخان عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا: من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حِبُّ رسول الله ﷺ ؟ فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ : «**أتشفع في حدٍّ من حدود الله تعالى ؟!**» ثم قام فاختطب ثم قال: «**إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»[3] .

---

(1) قلت: تأمل كيف تقرر عند المشركين أعداء الإسلام أن أفضل هذه الأمة بعد النبي هو أبو بكر ثم عمر!.

(2) رواه البخاري برقم [٤٠٤٣].

(3) رواه البخاري برقم [٦٧٨٨]، ومسلم برقم [١٦٨٨].

وها هو أسامة يتلقى درسًا آخر في تعظيم شعائر الله وكلمة التوحيد كما روى البخاري ومسلم من حديث أسامة رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة من جهينة قال: فصبحنا القوم فهزمناهم قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلًا منهم. قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله قال: فكف عنه الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال فقال لي: «**يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟**» قال: فما زال يكررها علىَّ حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم(١). إن هذه المواقف وغيرها تُشى وتشير إلى جانب من أخطر وأهم الجوانب في التربية والتي ينبغي علينا أن نقتدي ونتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فيها حتى ينشأ أبناؤنا ومن حولنا على التعظيم والتوقير والإجلال والتعزيز لشعائر الشرع المنير .

٢- تربية الصحابة على علو الهمة:

إن عظمة التربية تنبثق من عظمة المربي وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يربى صحابته على طلب معالي الأمور والتطلع إلى السمو الإيماني والارتقاء في كل جوانب الحياة أما التخاذل، والنكوص، والتثاقل والركود، والهمود والخمود، والانزوائية والانطوائية والانهزامية فليست من قاموس الإسلام في شيء ولا وجود لها في قلب ينبض بالإيمان واليقين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم معلمًا للصحابة ومربيًا لهم ولمن بعدهم: «**إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغرسها فليغرسها**». وفى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال: «**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه،**

(١) رواه البخاري برقم [٦٨٧٢]، ومسلم برقم [٩٧].

ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوًا»(١). وقال رسول الله ﷺ: «**إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن،ومنه تفجر أنهار الجنة»**(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها»**(٣).

ومن الصور الواقعية العلمية لتربية الصحابة على علو الهمة ما يلي:

ما رواه مسلم من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأعطين هذه الراية رجلًا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**» قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها. قال: فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجون أن يعطاها فقال: «**أين علي بن أبي طالب؟**» فقالوا: هو يا رسول الله يشتكى عينيه. قال: «**فأرسلوا إليه**». فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ، حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه. فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حمر النعم»**(٤).

فانظر كيف استحث الرسول ﷺ صحابته على طلب هذه المنقبة والتطلع إليها حتى باتوا يدوكون ويتحدثون ويتساءلون: من ذا الذي سينال هذه المنقبة

---

(1) رواه البخاري برقم [٦١٥] ومسلم برقم [٤٣٧].

(2) رواه البخاري [٢٧٩٠].

(3) سبق تخريجه.

(4)رواه مسلم برقم [٢٤٠٦].

العظيمة وقد كان من الممكن أن يقول الرسول لأعطين الراية عليًا، ولكن الحكمة النبوية تريد أن تُفجِّر في النفوس ينابيع الخير والبر وحب البذل والعطاء حتى ترتج قلوب أهل المدينة بالتطلع والتشوُّق إلى نيل ذلك الشرف العظيم، ثم ها هو النبي ﷺ تارة أخرى يستحث علياً على الدعوة والبلاغ وهداية الخلق فما شرع الجهاد إلا لذلك فهداية رجل واحد خير لك أيها المؤمن من السيارات والعقارات والدور والقصور ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه:١٣١].

ومن هذه التربية أيضًا ما رواه البخاري ومسلم عن عطاء بن أبى رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى قال:هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ قال: إنى أصرع وإني أتكشف فادع الله تعالى لي قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله تعالى**» قالت: أصبر ولكني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها (١). إنها النفوس الزاكية الطيبة التي تريد الجنة والوصول إلى رضوان الله بأي ثمن. ولما جاءت هذه المرأة إلى رسول الله تطلب منه الدعاء لم يقل سأدع لك وإنما علمها ورباها أن في قاموس المتقين معنى من معاني الإيمان إذا حققوه نالوا الدرجات العلا، وسموا في مراقي الهدى ألا وهو الصبر، بيَّن لها النبي أن ثمن صبرها على مرضها الجنة ثم خيرها بين هذا الصبر أو الدعاء فما ترددت ولا تلعثمت بل قالت في التَّوِّ والحال: بل أصبر، ذلك في حين أنها لا تصبر على شيء آخر ولا يمكن لصاحب فطرة نقية أن يصبر عليه ألا وهو التكشف برغم أنها امرأة سوداء ثم هي مريضة ليس عليها من حرج لكنها تأنف وتستحي أن يظهر شيء من بدنها ولو أثناء صرعها.فرضي الله عنها وأرضاها.

---

(١) رواه البخاري برقم [٥٦٥٢]، ومسلم برقم[٢٥٧٦] وسبق في باب الصبر.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفى الحديث فضل من يُصرع، وأن الصبر على بلايا الدنيا يُورث الجنة، وأن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة لمن علم من نفسه الطاقة ولم يضعف عن التزام الشدة وفيه دليل على جواز ترك التداوي، وفيه أن علاج الأمراض كلها بالدعاء والالتجاء إلى الله أنجع وأنفع من العلاج بالعقاقير، وأن تأثير ذلك وانفعال البدن عنه أعظم من تأثير الأدوية البدنية، ولكن إنما ينجح بأمرين: أحدهما من جهة العليل وهو صدق القصد والأخرى من جهة المداوى وهوقوة توجهُّه وقوة قلبه بالتقوى والتوكل (١).

ومن هذه المشاهد التربوية أيضًا ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عُرضت عليَّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد إذ رُفع لى سواد عظيم فظننتُ أنهم أمتي فقيل لي: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم. فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر فإذا سوادٌ عظيم. فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**». ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام، فلم يشركوا بالله شيئًا وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**ما الذي تخوضون فيه؟**» فأخبروه فقال: «**هم الذين لا يرقون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**».

(١) «فتح الباري» [١٠/ ١٢٠] ط: دار الريان.

فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «**أنت منهم**» ثم قام رجلٌ آخر فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم. فقال: «**سبقك بها عكاشة**»[1].

إنه مجلس تربوي رفيع المستوى يرى فيه الجالسون الجنة والنار، وحقائق الإيمان كأنها رأى عين وفى هذا المجلس الكريم العظيم يخبر النبي ﷺ بأن من أمته من يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم ترك الصحابة ودخل منزله فكان من الطبيعي جدًا في مجتمع التقى والهدى أن يتباحث أفراده عن كيفية الوصول إلى ذلك فخاضوا وتحدثوا لعلهم يصلون إلى وصف يسارعون إليه فخرج إليهم رسول الله ﷺ وسألهم فيما يتناقشون فلما أخبروه بيَّن لهم أوصاف أولئك السبعين ألف فاهتبل عكاشة بن محصن هذه الفرصة واقتنصها وسابق فسبق فنال ذلك الشرف وهو لا يزال على وجه الأرض. وهذا مشهد آخر تقف من خلاله على علو همة الصحابة وتسابقهم في الخيرات.

روى مسلم عن أبى ذر رضي الله عنه **أن ناسًا قالوا:** يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم.

قال: «**أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمرٌ بالمعروف صدقة، ونهيٌ عن المنكر صدقة، وفى بُضع أحدكم صدقة**».

---

(1) رواه البخاري برقم [٥٧٠٥]، ومسلم برقم [٢٢٠] وقد سبق تخريجه والتعليق على زيادة لا يرقون.

قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**»(١).

ومن ذلك ما رواه مسلم عن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال: كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: سل فقلت: أسالك مرافقتك في الجنة قال: «**أو غير ذلك؟**» قلت: هو ذاك. قال: «**فأعنيَّ على نفسك بكثرة السجود**»(٢). هكذا تربى الصحابة على تحرك القلوب بالإيمان وتدفق الأرواح بالبذل والعمل والدعوة. فصاروا كالسيل يجرف زبد الكفر ويسحقه ويلقيه في مهاوى النسيان، صاروا كضوء النهار إذا تنفَّس فى بقعة من بقاع المعمورة انتشر فيها ضياؤه ونوره فرضي الله عن هذه القمم الشماء والهمم العالية التي عاشت الإسلام واقعًا حيًا ملموسًا.

٣ - تربيتهم على الاجتهاد في العبادة والطاعة:

طاعة كل إنسان لربه وعبادته له هي رأس ماله ورصيده الذي يدخره ليوم القدوم عليه والوقوف بين يديه. وقد توقفنا مع بند سابق بينا فيه أن من أسرار عظمة هذا الجيل تزكيتهم أنفسهم بالطاعات ولكن تعالوا في هذه الإطلالة التربوية نظر كيف ربى الرسول ذلك في نفوس الصحابة. فبداية نرى أنه قد تكاثرت وتضافرت الأحاديث النبوية التي بين الرسول صلى الله عليه وسلم فيها فضل الصلاة والصيام والصدقة والذكر وغير ذلك من الإرشادات القولية للرسول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه. ومن المشاهد التربوية في ذلك ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن

---

(1) رواه مسلم برقم [١٠٠٦].

(2) رواه مسلم برقم [٤٨٩].

عمر رضي الله عنهما قال: كان الرجل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى رؤيا قصَّها على النبي صلى الله عليه وسلم فتمنيتُ أن أرى رؤيا أقصُّها على النبي صلى الله عليه وسلم قال: وكنتُ غلامًا شابًا عزبًا وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بى إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر،وإذا لها قرنان كقرني البئر. وإذا فيها ناس قد عرفتهم. فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار. قال: فلقيهما ملك فقال لي: لم تُرَع. فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم :«**نِعْمَ الرجلُ عبد الله لو كان يصلي من الليل**» قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا[(١)]. وفى الصحيحين أن الرسول صلى الله عليه وسلم طرق عليًا وفاطمة ليلًا فقال: «**ألا تصليان؟!**»[(٢)].

وفى صحيح البخاري عن أم سلمة رضي الله عنها **قالت**: استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فزعًا يقول: «**سبحان الله، ماذا أنزل الله من الخزائن؟ وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات - يريد أزواجه - كي يصلين؟ رب كاسية في الدنيا عارية في الأخرى**»[(٣)].

وفى الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها **قالت**: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجدَّ وشدَّ المئزر[(٤)].

---

(1)رواه البخاري برقم [١١٢١]، ومسلم برقم [٢٤٧٩].

(2)رواه البخاري برقم [١١٢٧]، ومسلم برقم [٧٧٥].

(3) رواه البخاري رقم [٧٠٦٩].

(4) رواه البخاري برقم [٢٠٢٤]، ومسلم برقم [١١٧٤].

قال الإمام النووى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اختلفت العلماء في معنى شد المئزر فقيل: هو الاجتهاد في العبادات زيادة على عادته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى غيره، ومعناه التشمير في العبادات يقال: شددت لهذا الأمر مئزري أي: تشمرت له وتفرغت، وقيل: هو كناية عن اعتزال النساء للاشتغال بالعبادات. وقولها: أحيا الليل أي استغرقه بالسهر في الصلاة وغيرها وقولها: وأيقظ أهله أي أيقظهم للصلاة في الليل وجد في العبادة زيادة على العادة(١).

ومن ذلك ما قاله رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لثوبان: «**عليك بكثرة السجود لله؛ فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة**»(٢).

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: أراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال لهم: «**إنه قد بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد؟**» فقالوا: نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال: «**بني سِلمة دياركم تكتب آثاركم. دياركم تكتب آثاركم**»(٣).وبنو سِلمة بكسر اللام قبيلة معروفة من الأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والآثار هي الخطا. وروى مسلم عن أبى المنذر أبى بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان رجلٌ لا أعلم رجلًا أبعد من المسجد منه، وكان لا تخطئه صلاة فقيل له - أو فقلت له -: لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء وفى الرمضاء فقال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد إني أريد أن يكتب لى ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي. فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قد جمع الله لك ذلك كله**». ومن ذلك أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال للصحابة يستحثهم على الغدو والرواح إلى بيوت الله كما في

---

(1) «شرح صحيح مسلم» للنووي [٤/ ٣٢٨] ط. دار الحديث.

(2) رواه مسلم برقم [٤٨٨].

(3) رواه مسلم برقم [٦٦٤].

opelkanda.com

الصحيحين من حديث أبى هريرة قال رسول الله ﷺ: **«من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلًا في الجنة كلما غدا أو راح»**[(1)].

٤- تربيتهم على حسن الخلق.

قال رسول الله ﷺ: **«ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق. وإن الله يبغض الفاحش البذي»**[(2)].

وقال رسول الله ﷺ: **«إن من أحبكم إليَّ وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا»**[(3)].

وقال رسول الله ﷺ: **«أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم»**[(4)].

وقال رسول الله ﷺ: **«أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»**[(5)].

وقال رسول الله ﷺ: **«اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»**[(6)].

---

(1) رواه البخاري برقم [٦٦٢]، ومسلم برقم [٦٦٩].

(2) رواه الترمذي برقم [٢٠٠٢] وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٥٧٢٦].

(3) رواه الترمذي برقم [٢٠١٨] وحسنة الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢٢٠١].

(4) رواه الترمذي برقم [١١٦٢] وأبو داود برقم [٤٦٨٢]. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [١٢٣٢].

(5) رواه أبو داود برقم [٤٨٠٠] وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [١٤٦٤].

(6) رواه الترمذي برقم [٢٠٧٠] وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» رقم [١٦١٨].

obeikandl.com

بهذه الأحاديث المباركة الكريمة كانت التوجيهات النبوية العظيمة للصحابة الكرام لتمثل هذه الأحاديث وغيرها مدرسة تربوية سامية عالية، وترسم منهجًا كاملًا كريمًا في جانب حسن الأخلاق. أما من الناحية العملية فقد امتلأت عيون الصحابة وقلوب الصحابة وآذانهم وكل جوارحهم بأحسن الأخلاق، وفاضت الأخلاق النبوية على من حولها فروَّت النفوس وطيبت السلوكيات وطابت بها وزكت الأرواح والضمائر والأخلاق ومن هذه المواقف العملية ما يلي:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلًا قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**ماذا عندك يا ثمامة؟**» فقال عندي يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان من الغد فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**» فقال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**أطلقوا ثمامة**» فانطلق على نخل قريب من المسجد واغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، يا محمد والله ما كان على وجه الأرض أبغض إليَّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليَّ، والله ما كان دين أبغض إليَّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إليَّ، والله ما كان من بلد أبغض إليَّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليَّ، إن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت ؟ فقال: لا والله

ولكنى أسلمت مع رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ [(١)].

ياله من موقف تربوي عالٍ يتربى فيه الصحابة على خلق العفو والحلم، وقد كان الرسول ﷺ يتألف القلوب ويلاطف من يرجى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير. وتأمل كيف انقلب بغض ثمامة حُبًّا في ساعة واحدة وذلك لما أسداه إليه النبي ﷺ من العفو والمن بغير مقابل. ومن تلك المواقف ما رواه مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بينا أنا أصلى مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجلٌ من القوم فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم تنظرون إليَّ؟!

فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتوننى، لكنى سكت فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فو الله ما كهرنى ولا ضربني ولا شتمني، قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**»[(٢)]. إن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها، ونحن لن نسع الناس بأموالنا فلنسعهم إذًا بأخلاقنا.

وتأمَّل كيف بقى أثر هذا الموقف في نفس معاوية رضي الله عنه ولهذا قال: ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه.

---

(1) رواه البخاري رقم [٤٣٧٢] ومسلم برقم [١٧٦٥].

(2) رواه مسلم برقم [٥٣٧].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليكم قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السام واللعنة. قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مهلًا يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله**» فقلت: يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا؟.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قد قلت: وعليكم**» (١). وفي باب الكرم والجود نجد من الأحاديث الكثيرة ومن ذلك ما رواه مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم غزا غزوة الفتح فتح مكة ثم خرج صلى الله عليه وسلم بمن معه من المسلمين، فاقتتلوا بحُنَين فنصر الله دينه والمسلمين وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ صفوان بن أمية مائة من الغنم، ثم مائة، ثم مائة. قال صفوان: والله لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليَّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي (٢). والأحاديث في الجوانب الأخرى كالصبر والثبات، والوفاء والعدل والشجاعة والغيرة وغير ذلك من المجالات كثيرة متعددة ولعله يكفى هنا هذه الإلماحة والإشارة. ثم هناك مجالات أخرى كثيرة تبرز روعة التربية النبوية للصحابة فمن أرادها وجدها مسطورة منثورة في كتاب التربية للدكتور أحمد فريد. فارجع إليه في ذلك تجد خيرًا كثيرًا وفيرًا.

أيها الأخوة، بعد أن عشنا هذه اللحظات ترى ما هو تأثيرك فيمن حولك؟ ما هي المراحل التربوية التي سلكتها مع أولادك؟ماذا غرست في أولادك من معاني النبل والخير ؟! ماذا أصَّلت في قلوبهم من معاني الإيمان؟! أين دورك في إقامة هذا الشرع

---

(1) رواه البخارى [٦٠٢٤].

(2) رواه مسلم برقم [١٨٠٦].

العظيم فيمن حولك وتربية من لك عليهم ولاية على أصوله وفروعه، وغرس التوقير والتعظيم لهذا الدين في النفوس. احذر أن تتغافل عن تربية ولدك فتتجرع مرارة العقوق وويلات الانحراف. احذر أن تتشاغل عن تربية امرأتك على معالم هذا الدين فينتهشك نشوزها ويضجرك عصيانها وتثاقلها عن طاعة ربها. اقتد برسول الله، كن مهتمًا بتزكية النفوس وتطهير القلوب، كن ناصحًا شفيقًا، كن بإخوانك رحيمًا وكن لهم محبًا، وخير الهدى هدى محمد ﷺ. بمثل هذا وغيره استطاع النبي ﷺ أن يبنى مجتمعًا مسلمًا أروع وأشرف مجتمع عرفه التاريخ فأصبح مجتمعًا يضرب به المثل في جميع الكمال الإنساني، وهذا بفضل تربية الله وحده، ثم بفضل هذا النبي الحكيم لهذا الجيل الكريم فحريٌّ بالدعاة إلى الله أن يسلكوا مسلكه، ويهتدوا بهديه ﷺ.

سادس عشر - تعظيم شعائر الله وحدوده

علامة تقوى القلب لله تعظيم شعائر دينه، وعلامة الحب لله الغيرة لحدوده وقد قال ربنا - جل جلاله -: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾

[الحج: ٣٢]

وأصحاب رسول الله ﷺ كانوا أشد الناس تعظيمًا لشعائر الله وأصدق الخلق غيرة لمحارم الله، فدينهم أعز عليهم من دمائهم وأثمن عندهم من أرواحهم دينهم هو كل شيءٍ في حياتهم، أيقنوا يقينًا جازمًا أنه فيه عزهم وشرفهم ومجدهم وفوزهم بجنة الله ونجاتهم من عذابه فكانت كل حياتهم إيمان وكل تحركاتهم بذل لإعزازه ونصره فيقدمون للموت نفوسهم رخيصة لكن ليبقى الدين عاليًا شامخًا وهذا هو معنى الحياة وحقيقة الحياة أن يحيا المرء لدين الله وفي طاعة الله جل جلاله.

opelkanaal.com

وهذا مشهد رائع صادق لامرأة انصدع العناد والكفر في قلبها وأشرق فيه نور الحق عندما رأت تعظيم الصحابة لشعائر الله، بعد أن كانت من ألد أعداء الدين، ومن أشد الناس حرصًا على الانتقام من المسلمين بعد أن قتل أخوها وأبوها بأيدي المؤمنين. بل يبلغ حقدها وغيظها أن تبقر بطن حمزة عم النبي ﷺ وتستخرج كبده لتمضغه بأسنانها ولتشفي بذلك بعض غيظها.

هذا الكفر وهذا الغيظ كله زال وانمحى لما وقعت عينها على مشهد من حياة الصحابة في تعظيمهم لحرمات الله، والمرأة هي هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه وعنها.

بعد عداوة دامت أكثر من عشرين سنة وإذ بقلبها ينفتح للإسلام وإذ بها تقول لزوجها أبي سفيان: أريد أن أتابع محمدًا قال: قد رأيتك تكرهين هذا الحديث بالأمس. قالت: إني والله ما رأيت أن عُبد الله حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة، والله إن باتوا إلا مصلين قيامًا وركوعًا وسجودًا.

قال سعيد بن المسيب: لما كان ليلة دخل الناس مكة ليلة الفتح لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا فقال أبو سفيان لهند: أترين هذا من الله؟ قالت: نعم هذا من الله(١).

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها **قالت:** جاءت هند إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، والله ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إليَّ من أن يذلهم الله من أهل خبائك، وأصبحت وما على ظهر الأرض أهل خباء أحب إليَّ من أن يعزهم الله من أهل خبائك فقال النبي ﷺ: **«وأيضًا والذي نفسي بيده»**(٢).

(1) البيهقي في «الدلائل» [٥/ ١٠٣] «البداية والنهاية» [٣/ ٦٧٤] ط. الإيمان.

(2) رواه مسلم برقم [١٧١٤].

أمثلة وشواهد

من شواهد تعظيم الصحابة للشعائر وحماية جناب التوحيد والغيرة للدين ما يلي:

عن المعرور بن سويد قال: خرجنا مع عمر في حجة حجها فقرأ بنا في الفجر: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ و ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾.

فلما قضى حجه ورجع رأى الناس يبتدرون فقال: ما هذا؟ فقيل: مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ فقال: «هكذا هلك أهل الكتاب اتخذوا آثار أنبيائهم بيعًا، من عرضت له منكم فيها الصلاة فليصل، ومن لم يعرض له منكم فيه الصلاة فلا يصل»(١) وهذا قطع لمادة الغلو وإغلاق لباب البدع المنحرفة.

قال أبو العالية: لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرًا عليه رجل ميت، عند رأسه مصحف له فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب، فدعا له كعبًا فنسخه بالعربية فأنا أول رجل من العرب قرأه، قرأته مثلما أقرأ القرآن. فقال خالد ابن دينار لأبي العالية: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرًا متفرقة فلما كان الليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس لا ينبشونه. فقلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون(٢).

عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما **قالت:** كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق كراهة أن يهجم منا على أمرٍ يكرهه قالت: وإنه جاء ذات يوم فتنحنح وعندي عجوز ترقيني من الحمرة فأدخلتها تحت السرير قالت: فدخل

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة [٢/ ٨٤] وصححه الألباني في «تحذير الساجد» [١٣٧].

(٢) «إغاثة اللهفان» [١/ ٣١٨].

فجلس إلى جانبي فرأى في عنقي خيطًا فقال: ما هذا الخيط؟ قلت: خيط رقي لي فيه فأخذه فقطعه ثم قال: إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**». قالت فقلت له: لم تقول هذا وقد كانت عيني تقذف فكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها فكان إذا رقاها سكنت فقال: إنما ذاك من الشيطان كان ينخسها بيده فإذا رقاها كف عنها، وإنما كان يكفيك أن تقولي كما قال النبي ﷺ: «**أذهب البأس رب الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادرُ سقمًا**»(١).

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا(٢).

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: ومن المعلوم أن الحلف بالله كاذبًا كبيرة من الكبائر لكن الشرك أكبر من الكبائر وإن كان أصغر(٣).

قال عكرمة: كنا جلوسًا عند ابن عباس فمرَّ طائرٌ يصيح فقال رجل من القوم: خير خير فقال ابن عباس: لا خير ولا شر؛ فبادره بالإنكار عليه لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر(٤).

وعن أبي عثمان النهدي عن جندب أنه قتل ساحرًا كان عند الوليد بن عقبة ثم قال: أتأتون السحر وأنتم تبصرون؟!(٥).

---

(1) رواه أحمد [٣٦٠٤]، وأبو داود [٣٨٨٣] وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٨٥٥].

(2) رواه الطبراني في «الكبير» [٨٩٠٢] وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» [٢٩٥٣].

(3) «فتح المجيد» [ص:٦٠٠] ط. قرطبة.

(4) البيهقي في «السنن» [٨/ ١٣٦] وصححه كمال سالم في «صحيح فقه السنة» [٤/ ١٥٩].

(5) «السابق» [ص:٤٣١].

وفي قصة تولية أبي موسى الأشعري:... ثم اتبعه معاذ بن جبل فلما قدم عليه ألقى له وسادة قال: انزل، وإذا رجلٌ عنده موثق قال: ما هذا؟ قال: كان يهوديًا فأسلم ثم تهوَّد ثم قال أبو موسى لمعاذ: اجلس فقال: لا أجلس حتى يقتل قضاء الله ورسوله «ثلاث مرات» فأمر به فقتل.

وعن نافع قال: بينما نحن عند عبد الله بن عمر جاءه إنسان فقال: إن فلانًا يقرأ عليك السلام لرجل من أهل الشام فقال ابن عمر: إنه قد بلغني أنه قد أحدث حدثًا فإن كان كذلك فلا تقرأن عليه مني السلام سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيكون في أمتي مسخ وخسف وهو في الزنديقية والقدرية**»(١).

وهذه شدة على أهل البدع والزيغ كان السلف والصحابة من قبلهم يأخذون بها كما فعل عمر بن الخطاب مع صبيغ العدواني الذي جاء يسأل عن متشابه القرآن فاشتد عليه عمر ضربًا حتى صدق الرجل في توبته.

عن السائب بن يزيد أنه قيل لعمر رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين إنا لقينا رجلًا يسأل عن تأويل القرآن؟ فقال عمر: اللهم مَكِّني منه قال: فبينما عمر ذات يوم جالسًا يغدي الناس إذ جاء عليه ثياب وعمامة فتغدى حتى إذا فرغ قال: يا أمير المؤمنين: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾ [الذاريات: ١-٢].

فقال عمر: أنت هو؟ فقام إليه وحسر عن ذراعيه فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته فقال: والذي نفس عمر بيده، لو وجدتك محلوقًا لضربت رأسك ألبسوه ثيابًا واحملوه على قتب ثم أخرجوه حتى تقدموا به بلاده ثم ليقم خطيب ثم يقول: إن صبيغًا

---

(١) رواه أحمد [٢/ ١٠٨]، وابن ماجه [٤٠٦١] وحسن سنده الألباني في «المشكاة» [١/ ٣٨].

ابتغى العلم فأخطأه فلم يزل وضيعًا في قومه حتى هلك وكان سيد قومه[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكذلك أمر عمر رضي الله عنه بهجر صبيغ بن عسل التميمي لما رآه من الذين يتبعون ما تشابه من الكتاب إلى أن مضى عليه حول وتبين صدقه في التوبة فأمر المسلمين بمراجعته[٢].

وهذا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه حتى في اللحظات الأخيرة من حياته ينهى عما حرم الله من الجزع ويبرأ إلى الله تعالى ممن برئ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فعن أبي بردة بن أبي موسى قال: وجع أبو موسى وجعًا فغشي عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله فصاحت امرأة من أهله فلم يستطع أن يرد عليها شيئًا فلما أفاق قال: أنا بريءٌ مما بريء منه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم برئ من الصالقة والحالقة والشاقة[٣]. والصالقة هي: التي ترفع صوتها عند المصيبة، والحالقة هي: التي تحلق رأسها عند المصيبة، والشاقة هي: التي تشق ثوبها.

وكذلك ورد عن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه مثله ففي صحيح البخاري أن عبد الله بن رواحة أغمي عليه فَجَعَلَتْ أُخْتُهُ عَمْرَةُ تَبْكِي وَا جَبَلَاهْ وَا كَذَا وَا كَذَا تُعَدِّدُ عَلَيْهِ فقال حين أفاق: ما قلت شيئًا إلا قيل لي: أنت كذلك؟ فلما مات لم تبك عليه[٤] نعم إنه لا مكان للانحراف بين قوم يعظمون دينهم وشعائره.

---

(1) رواه الدرامي [١٤٤]، والآجري في «الشريعة» [٢٠٦٤].

(2) «مجموع الفتاوى» [٢٤/ ١٧٤].

(3) رواه البخاري رقم [١٢٩٦]، ومسلم برقم [١٠٤].

(4) رواه البخاري برقم [٤٢٦٨].

والشعائر هي معالم الدين الظاهرة وتعظيمها وتوقيرها دليل على تقوى الله والإيمان به سبحانه، وفي هذه الأمثلة المذكورة قدوة لنا للحرص على إقامة الدين وهدم البدع والشركيات والمحرمات التي تستجلب غضب الله جل جلاله.

ولكن لابد أن يصحب ذلك حكمة وعلم وإخلاص كما كان حال الصحابة رضوان الله عليهم ومن ذلك غضب الصديق رضي الله عنه وقتاله لمانعى الزكاة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله**».

فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال. والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه. فقال عمر بن الخطاب: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله - عز وجل - قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق(١).

قال الإمام النووي رحمه الله: أهل الردة كانوا صنفين: صنف ارتدوا عن الدين ونابذوا الملة وعادوا إلى الكفر وهم الذين عناهم أبو هريرة بقوله، وكفر من كفر من العرب وهذه الفرقة طائفتان إحداهما أصحاب مسيلمة من بني حنيفة وغيرهم الذين صدقوه على دعواه في النبوة، وأصحاب الأسود العنسى ومن كان من مستجيبيه من أهل اليمن وغيرهم. وهذه الفرقة بأسرها منكرة لنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مدعية

---

(١) رواه البخاري برقم [٦٩٢٤] ومسلم رقم [٢٠].

النبوة لغيره فقاتلهم أبو بكر رضي الله عنه حتى قتل الله مسيلمة باليمامة والعنسي بصنعاء وانفضت جموعهم وهلك أكثرهم والطائفة الأخرى: ارتدوا عن الدين وأنكروا الشرائع وتركوا الصلاة والزكاة وغيرها من أمور الدين وعادوا إلى ما كانوا عليه في الجاهلية فلم يكن يسجد لله تعالى إلا في ثلاثة مساجد: مسجد مكة، ومسجد المدينة ومسجد عبد القيس في البحرين في قرية يقال لها (جواثا) ففي ذلك يقول الأعور الشني يفتخر بذلك:

والمسجد الثالث الشرقي كان لنا ... والمنبران وفصل القول في الخطب
أيام لا منبر للناس نعرفه ... إلا بطيبة والمحجوب ذي الحجب

وكان هؤلاء المتمسكون بدينهم من الأزد محصورين بجواثا إلى أن فتح الله سبحانه على المسلمين اليمامة فقال بعضهم وهو رجل من بني أبي بكر بن كلاب يستنجد أبا بكر الصديق رضي الله عنه :

ألا أبلغ أبا بكر رسولًا ... وفتيان المدينة أجمعينا
فهل لكم إلى قوم كرام ... قعود في جواثا محصرينا
كأن دماءهم في كل فج ... دماء البُدْن تغشى الناظرينا
توكلنا على الرحمن إنا ... وجدنا النصر للمتوكلين

والصنف الآخر هم الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة فأقروا بالصلاة وأنكروا فرض الزكاة ووجوب أدائها إلى الإمام وهؤلاء على الحقيقة أهل بغى وإنما لم يدعوا بهذا الاسم في ذلك الزمان خصوصًا لدخولهم في غمار أهل الردة فأضيف الاسم في الجملة

إلى الردة إذ كانت أعظم الأمرين وأهمها(١).

فرضي الله عن أبي بكر وأرضاه وجزاه عن أمة محمد خير الجزاء فإنه قد قام بما يجب عليه نحوها من ترسيخ معاني الإسلام في قلوب ونفوس وحياة أمة محمد ﷺ، وأمرها بالثبات على دين الله الذي جاء به النبي ﷺ من غير زيادة ولا نقص وطبق ذلك تطبيقًا عمليًا على نفسه وعلى جميع من بايعه وقاتل من أنكر شيئًا من ذلك فقد أعز الله به الإسلام والمسلمين، وخذل به أعداء الله وأعداء الدين، ولهذا لم ينقص الدين في حياته كما قال رضي الله عنه لعمر بن الخطاب حين أشكل عليه قتال مانعي الزكاة: إنه قد انقطع الوحي، وتم الدين أفينقص وأنا حي؟! والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة أليس قد قال رسول الله ﷺ: «**إلا بحقها**» ومن حقها إيتاء الزكاة، والله لو خذلني الناس كلهم لجاهدتهم بنفسي(٢).

وصدق رضي الله عنه فقد حفظ الله به الدين ولم ينقص وهو حي. ولهذا كانت خلافته مليئة بالأعمال الجليلة التي تحتاج إلى السنوات الطوال لإنجازها على الرغم من قصر مدة خلافته رضي الله عنه(٣).

وهذا أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه يسارع بجمع الأمة على مصحف واحد درءًا لاختلاف الناس في قراءتهم فيؤدي ذلك إلى الاختلاف فيما بينهم ففي صحيح البخاري أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة.

---

(1) «شرح النووي» على مسلم [١/ ٢٣٦-٢٣٧].

(2) «تاريخ الطبري» [٢/ ٢٤٥-٢٤٦] و«التاريخ الإسلامي» للشيخ شاكر [٣/ ٦٨].

(3) «الحكمة في الدعوة إلى الله» [ص:٢١٤-٢١٥].

فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك.

فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيءٍ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق[(١)].

وهذا الحسن بن على رضي الله عنه يعظم اجتماع كلمة المسلمين ويحرص عليها بكل سبيل وقد قال فيه رسول صلى الله عليه وسلم: «**إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[(٢)].

وأراد الحسن رضي الله عنه أن يحقن دماء المسلمين ويجمعهم على إمام واحد يلم شملهم فتنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه خال المؤمنين وكاتب وحي رب العالمين[(٣)].

يقول ابن جعفر رحمه الله: من أبرز الأدلة الواضحة على زهد الحسن في الدنيا الفانية ورغبته في الآخرة الباقية وحقنه دماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقد ترك الخلافة والملك

---

(1) رواه البخاري برقم [٤٩٨٧].

(2) رواه البخاري برقم [٢٧٠٤].

(3) «البداية والنهاية» [٨/ ٢٠].

obeikandl.com

لا لقلة ولا لزلة ولا لعلة، بل لرغبته فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة(١).

وسمي هذا العام الذي تنازل الحسن رضي الله عنه فيه لمعاوية عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على معاوية رضي الله عنه.

والمواقف في تعظيم شعائر الله كثيرة ولعل فيما ذكر إلماحة وإشارة لمعرفة شيءٍ من ذلك والله المستعان.

ولكن من خلال هذه المواقف لعلك رأيت مدى حرصهم على سلامة العقيدة وصفاء العبادة من الانحرافات والمخالفات وهكذا فليكن كل عامل للإسلام أن يهدم الشرك والبدعة وأن يغرس التوحيد والسنة فهذا هو أصل الدين وأساسه المكين إذ لو ضل الناس في ذلك فإلى أي شيءٍ ندعو الناس إذًا؟!

(١) «فتح الباري» [١٣/ ٦٦].

obeikandl.com

خاتمة

واجبنا نحو الصحابة

إن صحابة الرسول ﷺ هم أشبه الخلق به في هديه وسمته، وأعرف الخلق بدينه وأقوم الأمة بأمر الله. فهم حقًا الأئمة الهداة، والراشدون الناصحون الحداة، هم العابدون المتقون، والزاهدون الربانيون، والعاملون المخبتون الخاشعون.

دينهم عندهم أثمن من دمائهم وأغلى من أرواحهم، مزقت أجسادهم بالجراح في سبيل الله، وتجرعوا مرارات الهجر والجوع والنصب والآلام ليرضى ربهم عنهم وقد فعل.

كم من جاهل قد علَّموه!! كم من حائر تائه قد أرشدوه!! وكم من مَعْلم للحق قد شيَّدوه!! وكم من باطل قد أزهقوه! وكم من خير وعلم في العالمين قد نشروه! وهل عرفنا ديننا إلا من خلالهم؟! وهل وصلت إلينا سنة نبينا إلا من طريقهم؟! يكفيهم شرفًا ونبلًا وفضلًا أن اختارهم ربهم من بين الناس ليكونوا هم صحابة رسوله كما اختاره الله من بين رسله ليكون مسك ختامهم ولبنة تمامهم وأفضلهم وأكملهم ﷺ.

هؤلاء الصحابة قد رضي عنهم ربهم وزكاهم وأشاد بذكرهم فهل بعد هذا الفضل من فضل؟! هل بعد تلك الكرامة من كرامة؟!.

إنه لابد أن نعلم ما واجبنا نحوهم لنسارع إلى الوفاء به ولنسارع إلى ما يرضي ربنا بالدفاع عن شعائر ديننا وهذه نقاط فيما لهم علينا من واجبات.

١- حبهم وموالاتهم

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١].

حق على كل مؤمن أن يحب من أحبه الله ورسوله وأن يوالي من والى الله ورسوله. وحب الصحابة قربة إلى ربنا وتوقير لنبينا ﷺ وانتماء لأصول ديننا.

قال رسول الله ﷺ: «**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**»(١).

قال مالك بن أنس: وكان السلف يعلِّمون أولادهم حب أبي بكر كما يعلمون السورة من القرآن(٢).

وعن قبيصة بن عقبة قال: حب الصحابة كلهم سنة.

وعن مسروق بن الأجدع وطاووس كلاهما قال: حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة(٣).

وعن جعفر بن محمد أنه قال وهو مريض: اللهم إني أحب أبا بكر وعمر وأتولاهما، اللهم إن كان في نفسي غير هذا فلا تنالني شفاعة محمد ﷺ.

نعم حق علينا أن نحب أصحاب الرسول ﷺ نحبهم لأنهم أول من آمن بالله، وأول من أوذي في الله، وأول من دعا إلى الله وجاهد في سبيله، نحبهم لأنهم ناصروا رسول الله ودافعوا عنه وحفظوه من عدوه، نحبهم لصبرهم وثباتهم وإيمانهم

---

(1) سبق تخريجه.

(2) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي [٤/ ٤٨].

(3) «السابق» [٤/ ٤٨-٤٩].

العظيم، نحبهم لأنهم أصحاب الفضل علينا بعد الله ورسوله، نحبهم لحب الله لهم ولحب رسول الله ﷺ لهم.

ومن مقتضيات الحب أن تدافع عنهم، فمن سبهم فقد سبنا ومن آذاهم فقد آذى الله ورسوله، ومن حاربهم فقد حاربنا، هم أعز علينا من الآباء والأمهات؛ لأن مِنَّتهم أعظم وفضلهم أكبر فاللهم املأ قلوبنا بحبهم وثبتنا على حبهم وموالاتهم وزد حبهم في قلوبنا.

٢- الترضي عنهم والدعاء لهم والاستغفار لهم

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]. وقال تعالى فيهم: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾.

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة بن الزبير بن أختها أسماء: يا ابن أختي أُمِروا بالدعاء لهم فسبُّوهم(١).

نترضى عنهم لفضلهم وندعو لهم لبذلهم فهم أهل الفضل وأحق الناس بالدعاء لاسيما وهم أهل الإحسان إلينا، وهم الذين كافحوا ليصل هذا الدين إلينا ففي أعناقنا لهم وفاء لهذا الجميل وأقل الوفاء الدعاء والاستغفار لهم والترضي عنهم وتربية أولادنا على أننا لا نذكر صحابيًا إلا إذا قلنا رضي الله عنه لينشأ أبناء الأمة على توقيرهم ومعرفة قدرهم رضي الله عنهم أجمعين.

٣- الإمساك عما شجر بينهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]

---

(١) رواه مسلم برقم [٣٠٢٢].

فيجب على المؤمنين قاطبة سلامة قلوبهم وألسنتهم لصحابة نبيهم، ويجب وجوبًا أن نحسن الظن بهم فكلهم مجتهد مثاب إما له أجر واحد إن أخطأ في اجتهاده أو له أجران إن أصاب في اجتهاده.

قال عبد الله بن عباس: لا تسبوا أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن الله عز وجل قد أمر بالاستغفار لهم وهو يعلم أنهم سيقتتلون[١].

وعن ميمون بن مهران قال: قال لي ابن عباس: يا ميمون، لا تسب السلف وادخل الجنة بسلام[٢] وكان شتم السلف وسبهم عند أهل الحديث سببًا لترك حديث من يفعله ففي مقدمة صحيح مسلم [ص:١٦] عن عبد الله بن المبارك أنه كان يقول على رءوس الأشهاد: دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسبُّ السلف[٣].

وقال أبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث: ويرون الكف عما شجر بين أصحاب الرسول وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبًا لهم ونقصًا فيهم، ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه رَضِيَ اللهُ عَنْهُم والدعاء لهن، ومعرفة فضلهن والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين[٤].

وقال عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال: قال لي أحمد بن حنبل: يا أبا الحسن، إذا رأيت أحدًا يذكر أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسوء فاتهمه على الإسلام.

---

(1) رواه أحمد في «فضائل الصحابة» رقم [١٨]، وابن تيمية في «منهاج السنة» [٢/ ١٤].

(2) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» [٤/ ٦٥].

(3) مقدمة «صحيح مسلم» [ص:١٦].

(4) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» لأبي عثمان الصابوني [ص:٨١].

obeikandl.com

وقيل للإمام أحمد: ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية؟ قال: ما أقول فيهم إلا الحسن[1].

ومن عجيب ما ورد عن الأئمة عند الشيعة ما يلي: عن الباقر قال: أجمع بنو فاطمة على أن يقولوا في الشيخين أحسن ما يكون من القول.

وعن زين العابدين على بن الحسين أن رجلًا سأله: أخبرني عن أبي بكر؟ فقال: عن الصديق؟ قال: وتسميه الصديق؟ فقال: ثكلتك أمك قد سمَّاه صديقًا رسول الله ﷺ والمهاجرون والأنصار. ومن لم يسمِّه صديقًا فلا صدق الله - عز وجل - قوله في الدنيا والآخرة، اذهب فأحب أبا بكر وعمر.

وقال عبد الله الملقب بالمحض وهو والد النفس الزكية عند الشيعة قال: فعمر خير مني وملء الأرض مثلي فقيل له: هذه تقية؟ فقال: نحن بين القبر والمنبر اللهم هذا قولي في السر والعلانية.

وعن زيد بن على لما خرج وبايعه خَلق من الكوفة حضر إليه كثير من الشيعة فقالوا له: ابرأ من الشيخين ونحن نبايعك فأبى فقالوا: اذهبوا فأنتم الرافضة فمن حينئذٍ سُمُّوا الرافضة.

وعن على بن أبي طالب رضي الله عنه **قال**: لا أُوتى بأحدٍ فضَّلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته جلد المفتري.

هذه أقوال الأئمة عند الروافض الذين يعتبرونهم أئمتهم. هذه هي أقوالهم فما لهم يصرون على اعتقادهم الخبيث الذي سوف يجرهم على دركات الجحيم والعذاب الأليم.

---

(1) «البداية والنهاية» [٥/ ٨١٥].

ونحن نبرأ إلى الله تعالى من عقائد الروافض الخبيثة التي تدل على موت قلوبهم وخبث نواياهم وقبح طواياهم. وكذلك نبرأ إلى ربنا من طريقة النواصب أهل الجفاء والأذى لأهل بيت رسول الله ﷺ ونؤمن ونوقن أن الصحابة هم أكمل الخلق وأطهر الخلق قلوبًا وأزكاهم نفوسًا.

وحبهم تمسك بالعروة الوثقى وانتماء إلى الله ورسوله، هذا ما ندين الله به وندعوه أن يتوفانا عليه.

٤- اتباع سبيلهم والاهتداء بهديهم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا** ﴾ [النساء: ١١٥].

توعد الله من اتبع غير سبيل المؤمنين فيدل ذلك على أن اتباع سبيل المؤمنين واجب وهو الحق الواجب الإتباع وغيره هو الباطل الواجب تركه، وما ينفقون عليه يكون هو سبيلهم قطعًا(١).

وقال رسول الله ﷺ: «**اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن مسعود**»(٢).

وسبق معنا حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه وفيه قال رسول الله ﷺ: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها**

---

(1) «الوجيز في أصول الفقه» د. عبد الكريم زيدان [ص:١٨٢]، «معالم أصول الفقه» [ص:١٦٠] لمحمد بن حسين الجيزاني ط. دار ابن الجوزي.

(2) رواه الترمذي [٣٨٠٥] وصححه الألباني في «السلسلة» برقم [١٢٣٣].

بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور» وفي هذا الحديث دلالة على أن عمل الصحابة سنة يعمل بها.

ومما يدفع إلى ضرورة الاهتداء بهم واتباع سبيلهم أنهم انفردوا بما جعلهم أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقهم علمًا وأقلهم تكلفًا فقد خصهم الله بتوقُّد الأذهان وفصاحة اللسان، فالعربية طبيعتهم وسليقتهم، والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرهم وعقولهم. ولا حاجة بهم إلى النظر في الإسناد وأحوال الرواة فليس في حقهم إلا أمران أحدهما قال الله تعالى كذا وقال رسول الله ﷺ كذا والثاني: معناه كذا وكذا.

هم أسعد الناس بهاتين المقدمتين وأحظى الأمة بهما، لذلك كان قولهم أقرب إلى الصواب وأبعد عن الخطأ، فإنهم حضروا التنزيل، وسمعوا كلام رسول الله ﷺ منه، وهم أعلم بالتأويل وأعرف بالمقاصد وأقرب عهدًا بنور النبوة، وأكثر تلقيًا من المشكاة النبوية.

ثم إن أفتى الصحابي فتوى فهي تحتمل وجهًا من خمسة أوجه:

الأول- أن يكون سمعها من رسول الله ﷺ .

الثاني- أن يكون سمعها ممن سمعها منه ﷺ فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يهابون الرواية عن رسول الله ﷺ ويعظمونها ويقللونها خوف الزيادة والنقصان.

الثالث- أن يكون فَهِمها من آية من كتاب الله فهمًا خفي علينا.

الرابع- أن يكون قد اتفق عليها ملؤهم ولم ينقل إلا قول المفتي بها وحده.

الخامس- أن يكون لكمال علمه باللغة ودلالة اللفظ على الوجه الذي انفرد به عنا أو لقرائن حالية اقترنت بالخطاب أو لمجموع أمور فهمها على طول الزمان من رؤية

النبي ﷺ ومشاهدة أفعاله وأحواله وسيرته وسماع كلامه والعلم بمقاصده فيكون فهم ما لا نفهمه نحن.

وعلى هذه التقادير الخمسة تكون فتواه حجة يجب اتباعها(١).

كن كالصحابة في علم وفي ورع القوم هم مالهم في الناس أشباه

عباد ليل إذا جنّ الظلام بهم كم دامع دمعه في الخد أجراه

وأسد غاب إذا نادى الجهاد بهم هبوا إلى الموت يستجدون رأياه

يارب فابعث لنا من مثلهم نفرًا يشيدون لنا مجدًا قد أضعناه

٥- نشر فضائلهم ومدارسة مناقبهم.

وهذا من لوازم الحب والولاء لهذا الجيل العظيم وعلى قدر الحب يكون الانتماء والولاء. فلزامًا عليك أيها المحب أن تكثر من حديثك عنهم ودفاعك عنهم ودلالة الناس على مناقبهم وفضائلهم.

لابد من برهان واقعي عملي يترجم حقيقة هذا الحب. وإذا كان المهازيل من البشر وأهل السفاهة والضلالة يعظمون أسلافهم فيشيدون لهم التماثيل ويكتبون عنهم الروايات ويسمون بأسمائهم فنحن أولى وأحق لاسيما ونحن أهل الحق.

فلابد أن تتعطر مجالسنا ومساجدنا وبيوتنا بالحديث عن الصحابة ومآثرهم، لابد أن يستشعر الناس قدر حبك لهم وتوقيرك لهم وتعظيمك لهديهم. ومن مظاهر ذلك أن نسمي أولادنا بأسماء الصحابة وبناتنا بأسماء نساء الصحابة.

---

(١) «إعلام الموقعين» [٤/ ١٤٨]، «معالم أصول الفقه» للجيزاني [٢١٩/ ٢٢١].

وأن نستشهد في المواقف المختلفة بأقوالهم وأخلاقهم وسيرهم، وأن نرى المقالات في الصحف والبرامج في القنوات، والمحاضرات في المساجد وحتى مجلات الحائط التي يقيمها الموفقون من الدعاة الصالحين لابد أن يتخصص في كل ذلك مساحة كبيرة للحديث عن هذا الجيل العظيم.

الوالد مع أولاده والمدرس مع تلاميذه لابد أن ينتشر بينهم الحديث عن الصحابة فهم أولى وأحق من أن أقول قال الشيخ فلان أو الأستاذ فلان بل نريد أن نسمع حتى في حواراتنا الجارية قال الصِّدِّيق... قال الفاروق، قال ذو النورين عثمان، قال أبو الحسن وهكذا فيبقى ذكر الصحابة بيننا ويبقى هديهم متدفقًا في قلوبنا ويتجدد الحب لهم كلما ذكرناهم وتحدثنا عنهم.

فيا من تريد الهدي، هذا سبيلهم وهذا هديهم فسر عليه تصل إلى رضوان ربك، ودعك من بُنيات الطريق حتى لا تغرق في لجة بحر عميق. ها هو الضياء والهدى، ها هو الوضوح والبيان، ها هي الاستقامة والكرامة، فاسلك سبيل المؤمنين من صحابة النبي الأمين تكن معهم في جنات النعيم فمن تشبه بقوم فهو منهم، ومن أحب قومًا حشر معهم ومن سار على الدرب وصل.

يا باغي الإحسان يطلب ربه ... ليفوز منه بغاية الآمالِ
انظر إلى هدى الصحابة والذي ... كانوا عليه في الزمان الخالي
واسلك طريق القوم أين تيمموا ... خُذ يمنة ما الدرب ذات شمال
تالله ما اختاروا لأنفسهم سوى ... سبل الهدى في القول والأفعال
درجوا على نهج الرسول وهديه ... وبه اقتدوا في سائر الأحوال
نعم الرفيق لطالب يبغى الهدي ... فمآله في الحشر خير مآل

القـــانتين المخبـــتين لـــربهم النـــاطقين بأصـــدق الأقـــوال
التـــاركين لكـــل فعـــل ســـيءٍ والعـــاملين بأحـــسن الأعمـــال
أهـــواؤهم تبـــع لـــدين نبـــيهم وســـواهم بالـــضد في ذي الحـــال
مـــا شـــابهم في ديـــنهم نقـــص ولا في قـــولهم شـــطح الجهـــول الغـــالي
عملـــوا بمـــا علمـــوا ولم يتكلفـــوا فلـــذاك مـــا شـــابوا الهـــدى بـــضلال
وســـواهم بالـــضد في الأمـــرين قـــد تركـــوا الهـدى ودعـوا إلى الإضـلال
فهـــم الأدلـــة للحيـــارى، مـــن يَـــسِرِ بهـــداهم لم يخـــش مـــن إضـــلال
وهـــم النجـــوم هدايـــة وإضـــاءة وعلـــو منزلـــة وبُعـــد منـــالِ
يمـــشون بـــين النـــاس هونًـــا، نطقهـــم بـــالحق لا بجهالـــة الجُهّـــالِ
حلمًـــا وعلمًـــا، مـــع تقـــى وتواضـــع ونـــصيحة مـــع رتبـــة الإفـــضال
يحيـــون ليلـــهم بطاعـــة ربهـــم بـــتلاوة وتـــضرع وســـؤال
وعيـــونهم تجـــري بفـــيض دمـــوعهم مثـــل انهمـــال الوابـــل الهطـــال
في الليـــل رُهبـــان وعنـــد جهـــادهم لعـــدوهم مـــن أشـــجع الأبطـــال
وإذا بـــدا لهـــم علـــم الرهـــان رأيـــتهم يتـــسابقون بـــصالح الأعمـــال
بوجـــوههم أثـــر الجـــود لـــربهم وبهـــا أشـــحة نـــوره المـــتلالى
ولقـــد أبـــان لـــك الكتـــاب صـــفاتهم في ســـورة الفـــتح المـــبين العـــالي
وبرابـــع الـــسبع الطـــوال صـــفاتهم قـــوم يحـــبهم ذوو إدلال
وبـــراءة والحـــشر فيهـــا وصـــفهم وبهـــل أتـــى وبـــسورة الأنفـــالِ

اللهم إنا نحبهم فلا تحرمنا صحبتهم في الجنة، اللهم إنا نحبهم لحبك لهم وحب نبيك لهم؛ فاجعل حبنا لهم سببًا لحبك لنا، اللهم اجمعنا بهم في جنات النعيم ونسألك ربنا من فضلك العظيم؛ فإنك أنت الغني الكريم العزيز الحكيم وارزقنا معهم لذة النظر إلى وجهك الكريم في دار النعيم المقيم. ولك الحمد على ما وفقتنا إليه وهديتنا إليه من الحديث عمن تحبهم وتحب من يحبهم فاجعلنا ربنا أهلًا لحبك وقربك.

ولك الحمد أولا وأخرًا ، ظاهرًا وباطنًا عدد ما خلقت وذرأت وبرأت.

وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد وآله والحمد لله رب العالمين

وكتبه

سيد عطوة

غفر الله له

٦ من جمادى الآخرة سنة ١٤٢٩هـ

١٠ من يونيو سنة ٢٠٠٨ م

opeikandl.com